

٢٤٤
١٤٠٧
٩٩٧

الجامعة الأردنية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

=====

ابراهيم بن هرمة

(حياته وشعره)

إعداد

شكري ذيب عبد جبار

إشراف

٧٨٥٥٣٦

الأستاذ الدكتور : حسين عطوان

"قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية"

١٤٠٧ - ١٩٨٧ م

فهرس الموضوعسات

<u>المفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٤ - ١	المقدمة
٣٠ - ٥	الفصل الأول : نسبه وأسرته
٢٢ - ٦	أولا : نسبه
٣٠ - ٢٣	ثانيا : أسرته
٧٤ - ٣١	الفصل الثاني : حياه ونشأته
٣٨ - ٣٢	أولا : مولده
٤٤ - ٣٩	ثانيا : نشأته
٤٧ - ٤٥	ثالثا : صفاته الجسميه
٥٩ - ٤٨	رابعا : سلوكه
٦١ - ٦٠	خامسا : ظرفه
٦٥ - ٦٢	سادسا : ثقافته
٦٨ - ٦٦	سابعا : تشيعه
٧٤ - ٦٩	ثامنا : وفاته
١١١ - ٧٥	الفصل الثالث : مواقفه السياسيه
٨٧ - ٧٦	أولا : موقفه من الأمويين
١٠١ - ٨٨	ثانيا : موقفه من العباسيين
١١١ - ١٠٢	ثالثا : موقفه من العلويين

١٩٤٦

١١٢ - ١٦٢	الفصل الرابع : أغراضه الشعرية
١١٢ - ١٣٧	أولا : الغزل
١٢٨ - ١٣٤	ثانيا : الهجاء
١٣٥ - ١٤١	ثالثا : الفخر
١٤٣ - ١٤٩	رابعا : المدح
١٥٠ - ١٥٣	خامسا : الرثاء
١٥٤ - ١٦٠	سادسا : الوصف
١٦١ - ١٦٣	سابعا : الشيب والخمر والحكمة
١٦٤ - ٢٠٥	الفصل الخامس : الدراسة الفنية
١٦٥ - ١٨٢	أولا : بنية القصيدة
١٨٤ - ١٩٢	ثانيا : اللغة
١٩٣ - ٢٠٥	ثالثا : الصورة الشعرية
٢٠٦ - ٢١١	الخاتمة
٢١٢ - ٢٢٤	المصادر والمراجع

المقدمة

• إبراهيم بن هرمة أحد الشعراء المشهورين ممن أدركوا الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مقدما على كثير من الشعراء المعاصرين له ، قدمه بعض علماء الشعر على بشار وأبي نواس وغيرهما
من المحدثين .

وكان ابن هرمة يقف على رأس طبقة من الشعراء المحدثين وجعل الاصمعي عروة ابن
أذينة وطفيلا الكناني في طبقتهم وهما دونه في الشعر .
وعده ابن شاعر الكتبي (- ٥١٧هـ) شيخ الشعراء في زمانه ، وذهب الذهبي (٤٨٧هـ) في سير
أعلام النبلاء إلى أنه شاعر زمانه ، وأحد البلغاء من شعراء الدولتين .

واهتم القدماء بأخباره وأشعاره ، ووضعوا فيها كتبا كثيرة . ومن الذين جمعوا
أخباره إسحاق بن إبراهيم الموصلي (- ٢٣٥هـ) في كتاب أسماه " أخبار ابن هرمة " والزبير بن بكار (٢٦٥هـ)
في كتاب " آخر يحمل ذات الاسم .

وممن جمع أخباره وأشعاره ابن طيفور (- ٢٨٠هـ) في كتاب أسماه " أخبار ابن هرمة
ومختار شعره " والصولي (- ٢٣٥هـ) في كتاب يحمل نفس العنوان .

وذكر ابن الغديم (- ٣٨٥هـ) في الفهرست أن المرزبان له كتاب " المونق في أخبار
الشعراء المشهورين من الجاهلية والمخضرمين ومن تبعهم من الإسلاميين وأورد محاسن أشعارهم في
أول الدولة العباسية ، وذكر ابن هرمة والحسين بن مطير .

وذكر أيضا أن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور له كتاب " في أخبار وأشعار شعراء
مخضرمي الدولتين بدأ فيه ببشار وابن هرمة .

وممن اهتم بجمع شعره فقط من القدماء أبو سعيد السكري (٢٧٥هـ) جمعه في مثني
ورقة مجردا من أخباره .

ولم يصل إلينا من هذا الكتاب شيء، فقد ضاع ديوانه كما ضاعت أخباره .
وكانت لابن هرمة شهرة واسعة وخطوة متميزة عند الخلفاء والأمراء والولاة ، فقد اتصل
بالأمويين وارتبط ببعضهم وأخذوا عليه الأمدح غيرهم .

واتصل بالعلويين ومدح زعماءهم ، كما كانت له عند المنصور مكانة خاصة إذ عفا عنه ووصله
وصار من ندمائه بعد أن كان نقم عليه لاتصاله بالأمويين والعلويين ومدحه لهم .

ولم تقف حدود شهرته عند هذا الحد ، بل إن بعض الشعراء تقربوا عند الولاة والأمراء بمساعي
يروون من شعره .

ذكر الصولي في كتاب الأوراق أن أبان بن عبد الحميد اللاخفي كتب قصيدة للفضل بن يحيى البرمكسي
يفخر فيها بقدرته الشعرية وصفاته المتعددة في كل الفنون ، وزاد عليها بأنه يروي شعرا لابن هرمة .

وتجاوزته شهرته بلاد المشرق لتصل إلى بلاد الأندلس وعلى الرغم من هذه الشهرة في زمانه
إلا أنه لم يظفر من الدارسين المحدثين باهتمام كثير ، إذ كل ما كتب عن ابن هرمة في الدراسات
الحديثة فصول قصيرة متناثرة في ثلاثة كتب .

أولها : كتاب الدكتور نجيب البهيبي " تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري " وفيه حديث
قصير عن بديع ابن هرمة تناول فيه التشبيه والاستعارة في شعره مقارنا بينه وبين بشار في استخراجه
الصورة .

وثانيها : ما كتبه الدكتور حسين عطوان في كتابه " الشعراء من مخزومي الدولتين الأموية
والعباسية " .

ولكن كتاب الدكتور عطوان على ما فيه من اللمحات الموقفة والدراسة المركزة لم يخصص حديثا
عن ابن هرمة ، إذ كان همه أن يتحدث عن الشعراء من مخزومي الدولتين في مواقفهم السياسية مع الأمويين
والعلويين والعباسيين ، وتمثل هؤلاء الشعراء لنظرياتهم في الحكم والترويج لها من خلال أشعارهم .

ثم عقد الدكتور بابا للحديث عن الخصائص الفنية لشعر هؤلاء الشعراء في كل غرض من أغراضهم مما جمعوا فيه بين التقليد الشعري في الصور والألفاظ والأساليب ، وما جددوا فيه من الأوزان والمعاني مما فرضته طبيعة المجتمع الجديد ، وما أثمرته الحركات السياسية في المراحل الثلاث .

وثالثها : كتاب " الشعر والشعراء في العصر العباسي " للدكتور مصطفى الشكعة وفيه عنوان " لإبراهيم ابن هرمة وأخباره وأشعاره ، وهو كتاب " وصفي انطباعي وسبب ذلك ، أن مؤلفه أراد أن يجمع أخبار الشعراء كلهم في العصر العباسي ومواقفهم السياسية وأغراضهم الشعرية وخصائصهم الفنية في كتاب مدرسي واحد .

ولشهرة ابن هرمة في زمانه وقيمة شعره عند علماء اللغة والنحو والبلاغة . وانعدام الدراسات العلمية المتخصصة التي تتناول أخباره وأشعاره ، رأيت أن أجعل حياته وأشعاره موضوعاً لرسالتي في نيل درجة الماجستير .

وقد أقمت هذه الدراسة في خمسة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن نسبه وأسرته ، وأقمت الفصل الثاني للحديث عن حياته ونشأته ، فتناولت تاريخ ولادته ومكانها ، ونشأته في أول حياته ، ثم تنقلاته الدائمة إلى ممدوحيه وعطاياهم له . وتحدثت عن صفاته الجسمية ، وما كان لها من أثر في نفسيته وعلاقاته بالناس . وعرضت لسلوكه الاجتماعي وتقلبه واضطرابه ، ثم تحدثت عن ثقافته وتعددتها وأشرت إلى ميوله الشيعية قولاً وابتعاده عنها سلوكاً ومواقف . وأخيراً حققت في تاريخ وفاته ومكانها ، وحددت سني حياته من مجموعة أخبار وروايات .

وعقدت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعلويين والعباسيين . وخصمت الفصل الرابع لأغراض شعره التقليدية وما أضاف إلى بعضها من تجديد في الصور والألفاظ والمعاني . ودرست في الفصل الخامس شعره دراسة فنية ، فتناولت بناء القصيدة عنده ، وعرضت للفتة وأهتمام العلماء بها في معاجمهم وختمت الفصل في الحديث عن صورته الشعرية .

أما مصادر أخبار ابن هرمة وأشعاره فهي مصادر الثقافة العربية كلها ، ولكن يمكن توزيعها على خمسة أقسام رئيسية :

أولها : ديوان ابن هرمة طبعة الدكتور حسين عطوان ومحمد نفاع وطبعة الدكتور محمد جبار المعيبدي وبعض

المجموعات الشعرية التي حوت شعرا لابن هرمة أو أشارت إلى شيء له علاقة بشعره وأخباره كديوان
عبيد الله بن قيس الرقيات، وشرح أشعار الهذليين، وكتب الحماسة .
وثانيها : كتب الأنساب وأهمها جمهرة النسب لابن الكلبي، ونسب قريش للمصعب الزبيرى وأنساب
الأشراف للبلذرى وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .
وثالثها : كتب التراجم مثل الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز وكتاب الأغاني، على أن أهم هذه الكتب
جميعا كتاب الأغاني فإن فيه أوسع ترجمة لابن هرمة إذ ترجم له في الجزء الرابع ترجمة واسعة وذكر بعضا
من أخباره وأشعاره في الخامس والسادس والثاني عشر .
ورابعها : الكتب الأدبية والنقدية والبلاغية والنحوية كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل للمبرد
والعقد الفريد ومعجمي العباب الزاخر والتكلمة للحسن الصغاني، وشرح شواهد المعنى للسيوطي وشرح
أبيات مغني اللبيب وخرانة الأدب لعبد القادر البغدادي .
 وخامسها : الكتب التاريخية مثل تاريخ خليفة بن خياط وأخبار الدولة العباسية وتاريخ الطبري .

وواجب علي في هذا المقام أن أتوجه بالشكر خالصا من أعماق نفسي إلى الأستاذ
الدكتور حسين عطوان الذي أشرف على هذا البحث وهو الذي طالما رعاني بعطفه وأحاطني
بتوجيهاته الماثية وتتبعه الذقيــــــــق .

وواجب علي، أيضا، أن أتوجه بعظيم الشكر إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوا من جهد
في قراءة هذا البحث وصبر على أخطائه، وما سبظونني به من ملاحظات سيتقيم بها .
وبعد : فإني أرجو أن أكون أسهمت بهذا العمل في كشف بعض المعالم من سيرة شاعر من أشهر
شعراء الدولتين الأموية والعباسية ودراسة شعره .

وهذا العمل المتواضع محاولة أولى في طريق البحث، ولست أراه فصل الخطاب فيما تناوله من القضايا .
وحسبي أني بذلت له من الجهد قدر ما أطق، والله حسيبي .

أولا : نسبه

=====

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح
ابن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر " .

هذا هو كامل نسبه في أكثر المصادر التي عرضت له . وزاد عليه أبو الفرج الاصفهاني روايته
عن العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي فقال بعد فهر " ابن مالك
بن النصر بن كنانة بن خزيمه بن مدركسة بن إلياس بن مضر (٤) .

ويكنى ابن هرمة ، وأبا أحسق ، ولكن الكنية الأولى هي الغالبة عليه . ذكرها
الشاعر في معرض حديثه عن نفسه لما جاءه نعي إبراهيم بن محمد (٥) (الأمم) .

(١) ، انظر في ترجمته :

جمهرة النسب ١ : ١٨٠ ، ونسب قريش ٤٤٣ ، والشعر والشعراء (لابن قتيبة) ٢ : ٧٣٠ ، والمعارف ٣١ ،
وطبقات ابن المعتز ٢٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٦ ، والأغاني (دار الكتب) ٤ : ٣٥٦ ، وجمهرة أنساب
العرب ١٧٦ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٢٧ ، وسهط اللآلي ١ : ٣٩٨ ، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٣٨ ،
وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧ ، وشرح شواهد المغني (السيوطي) ٢ : ١٨٢ . وشرح أبيات مغني اللبيب
(للبغدادي) ٥ : ١٥٢ ، وخزانة الأدب (البغدادي) ١ : ٣٨٢ .

(٢) زرد في السيرة النبوية (لابن هشام) " عبدالله " فصحة المحققون بـ" علي " وهو الصواب ، انظر
السيرة ٢ : ٣١٠ .

(٣) انفرد الصغاني في " العباب الزاخر " بزيادة " محمد " بعد علي ، ذكر ذلك في أماكن مختلفة ، وعنه أخذ
السيوطي فيما يبدو في شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢ .

(٤) الأغاني ٤ : ٣٦٧ .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، أخو أبي جعفر المنصور ، وأبي العباس
السفاح .

فقال (١)

والناس قد ثقلت يوماً مفاجعهم
إلا ابن هرمة أحيأ الليل يقظاناً

وقال أيضاً (٢)

بالله ربك إن دخلت فقل له
هذا ابن هرمة واقفاً بالباب

وبهذه الكنية كان يعرف بين الناس .

(٣) وهرمة أحد أجداده ، كما يظهر في سلسلة النسب ، وإليه تُسب الشاعر ، كما قال السيوطي (٣)
وذهب الأستاذ سامي مكّي (٤) إلى أن هذه الكنية نسبة إلى أمّه لا إلى جده . والهرم ضرب من النبتات
فيه ملوحة ، سُمي بذلك كما سُمي ضرب آخر منه " أبيض الشيحة " لبياضه (٥).
والهرم الضعف ، واحدته هرمة (٦) ، وقيل الهرم أخسر ولد الشيخ والشيخة (٧) . وأما كنيته
الثانية " أبو إسحاق " فلم يكن لها من الشهرة والذبول ما كان للأولسي .

(١) أخبار الدولة العباسية ٤٠٦ ، والديوان (المعبيد) ٢٢٦ .

(٢) الأحاجي النحوية ٥١ ، والصناعتين ٦٨ ، والديوان ٦٧ .

(٣) انظر شرح شواهد المغنّي ٢ : ٦٨٢

(٤) انظر معجم القاب الشعراء ٢٥٤٠

(٥) تهذيب اللغة (هرم) ٦ : ٢٦٦ ، والصحاح (هرم) ٥ : ٢٠٥٧ وتاج العروس (هرم) ٩ : ١٠٢

(٦) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ٥٥

(٧) تهذيب اللغة (هرم) ٦ : ٢٦٦ ، ومقاييس اللغة (هرم) ٦ : ٤٨ ، والتكملة (هرم) ٦ : ١٧٠

وتاج العروس (هرم) ، ٩ : ١٠٢ .

ولا أدري على وجه اليقين هل كان إسحق هو الابن الأكبر للشاعر ، وأنه هو الذي سأل أباه " لِمَ شمت نفسك " يوم أنكر أبياته (١) في بني فاطمة ؟ ولكن المصادر التي بين أيدينا لا تؤيد ذلك ولا تنكره .
و " أبو إسحق " كنية كان ينادى بها في المجالس الرسمية ، فمن ذلك أن السري (٢) بن عبد الله الهاشمي ، قال لابن هرمة بعد أن مدحه في القميصة التي مطلعها .

عوجا على ربع ليلي أم محمود
مرحبا بك يا أبا إسحاق .
كما نساؤه من دون عبسود (٣)

ونُسب ابن هرمة إلى قبيلته فهر ، فقبل له الفهري ونُسب إلى الخُلق فقبل له الخُلجي ، ونسب إلى المدينة مكان سكناه ، فقبل له المدني ، ونسب إلى الحجاز ، فقبل له الحجازي ، ونسب إلى قريش فقبل له القرشي (٤)

وتدور حول نسبة قبيلته " الخُلق " في قريش ، ونسبته في قبيلته روايات وأخبار تشكك في محسنة هذه النسبة ، مصدر الشك فيها طريقتان :
أولهما : ما تناقلته بعض كتب الأنساب والتراجم واللغة .
وثانيهما : تشكك ابن هرمة نفسه في هذه النسبة ، وترووجه لهذا الادعاء .

(١) الأبيات هي :

ومهما ألام على حبيهم
فإني أحب بني فاطمة
بنيت بنت من جاء بالمحكما
ت وبالدين والسنة القائمة
ولست أبالي بحبي لهم
سواهم من النعم السائمة

انظر الأغاني ٤ : ٢٨٦

(٢) هو السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، كان واليا للخليفة المهدي على خراسان ثم صار واليا لمكة سنة ١٤٣هـ . وعزل عنها سنة ١٤٦هـ . ثم عين واليا على اليمامة . انظر تاريخ الطبري تحقيق أبي الفضل إبراهيم ٧ : ٥١١ ، ٥١٥

(٣) انظر الأبيات كاملة في الأغاني ٤ : ٢٨٦ ، والديوان ١٠١ ، وعبود وصفر جبلان مابين المدينة والسيالة ، يطل أحدهما على الآخر وبينهما طريق المدينة .

(٤) انظر في نسبه : طبقات ابن المعتز ٢٠ ، والأغاني (دار الكتب) ٤ : ٣٩٣ ، وعيون التواريخ (مخطوط) ٢ : ٦١ وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦ : ٢٠٧ والبداية والنهاية ١٠ : ١٧٠ وشرح شواهد المغني (للسيوطي) ٢ : ٦٨٢ .

اما الطريق الاول المتمثل في بعض كتب التراجم والأنساب واللغة ، فأكاد أقول : إن تسمية قيس ابن الحارث بالخلج كان واحداً من أسباب الشك في نسبه . ذلك أن من معاني الخلج في كتب اللغة الشك في النسبة . فقالوا : " قوم " خلج " بضمين " القوم المشكوك في نسبهم المتنازعون فيه (١) وقيل : " الخلج " الذين انتقلوا بنسبهم إلى غيرهم ، ورجل " مختلج إذا تنوزع في نسبه (٢) ولعل من أسباب تسمية قيس بن الحارث " بالخلج " أنه كان في قريش فاختلج منهم (٣) ويقال إن قيساً كان من عدوان ، فألحقهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحارث بن مالك بن النضر بن كنانة ، فسَمُوا خلجاً لذلك . (٤)

وقيل إنهم كانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن بكر بن هوازن (٥) وقيل سمو " الخلج " لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بَطْحان ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خلج (٦) (جمع خليج) .
وذهب القلقشندي إلى سبب آخر في تسميتهم بالخلج ، فقال " سمو الخلج لأنهم ممن عدوان (٧)

وأحسب أن في عبارة القلقشندي حذفاً أو نقماً ، وتقدير الحذف ، فيما أظن ، هكذا " ... لأنهم (اختلجوا) من عدوان " .

فإذا صح التقدير لهذه العبارة استقام التعليل كما ذكر سابقوه . فالتقلب بالنسب بين عدوان وغيرهم من القبائل كان سبباً من أسباب اتهامهم في نسبهم .

(١) تهذيب اللغة (خلج) ٧: ٦٠ والتكملة (خلج) ١ : ٤٢٤ ، ولسان العرب (خلج) ٢ : ٨٥

(٢) لسان العرب (خلج) ٢ : ٨٥

(٣) الشعر والشعراء ٢ : ٧٣٠

(٤) المعارف ٣١ ، والمصاح (خلج) ١ : ٣١١ ولسان العرب (خلج) ٢ : ٨٥ والقاموس المحيط (خلج) ١ : ١٩٣

(٥) الأغاني ٤ : ٣٦٧ ، وسمط اللآلي ١ : ٣٩٨

(٦) سمط اللآلي ١ : ٣٩٨ وخزانه الأدب ٢ : ٢٥٤

(٧) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٥٣

ويبدو أن أبا الفرج الأصفهاني أخذ ذلك عن ابن قتيبة ، ولكنه فهم عنه غير ما أراد حين قال " فلما استخلف عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أتوه ليفرض لهم ديوانا ، فأنكر نسبهم " (١) والحقيقة أن ابن قتيبة لم يقل إن عمر قد أنكر نسبهم ولكنّه قال إنّه الحقهم بالحارث " (٢)

وعن أبي الفرج أخذ البكري فيما يبدو ، ونقل القلقشندي (٤) قول ابن قتيبة من أن الخلع من قيس عيلان . وذكر البغدادي ذلك مرجعا القول إلى ابن قتيبة من غير أن يبدي رأيا فقال " قال ابن قتيبة في الطبقات هو - ابن هرمة - من الخلع من قيس عيلان ، ويقال إنهم من قريش (٥) غير أنا نجد من أصحاب كتب التراجم والأدب والأنساب واللغة لم يقفوا هذا الموقف المتشكك في نسبة الخلع إلى قريش ، بل إنهم ذهبوا إلى صحة النسبة إليهم ، من ذلك ما ذكره ابن دريد في الجمهرة من أن الخلع " قبيلة ينسبون في قريش " (٦)

وذكر أبو عبيد البكري هذا في ترجمته لابن هرمة قبل أن ينقل رأي أبي الفرج ، فقال " إبراهيم ابن علي بن سلمة بن هرمة من خلع قريش " (٧)

(١) الأغانى ٤ : ٣٦٧

(٢) المعارف ٣١

(٣) سمط اللآلي، ١ : ٣٩٨

(٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٥٣

(٥) خزنة الأدب ٢ : ٢٥٤

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٦٣

(٧) سمط اللآلي، ١ : ٣٩٨

وقال ابن منظور " الخليج - هكذا بالياء - قبيلة يُنسبون في قريش ، وهم قوم " من العرب " (١) . وعنه نقل الفيروز ابادي فيما يبدو . (٢)

ونقل القلقشندي عن صاحب تاريخ حماة " أن الخلع في عداد قريش (٣) . ونقل الزبيدي قول ابن منظور وذكر مصدره (٤)

فالشك في نسبة قيس بن الحارث - الخلع - إلى قريش شك ضعيف ، ذلك أن فهرا هو أبو الحارث ، والحارث هو ابو قيس ، وفهر هو أبو قريش باتفاق النسابين ، ذكر هذا الكلبي فقال " فولد مالك بن النضر فهرا ، وإليه جماع قريش ، وولد فهر (وهو قريش) غالباً وأُسداً (٥)

وقال مُصعب الزبيري " اسم فهر بن مالك قريش ومن لم يلد فهر فليس من قريش . فولد مالك بن النضر فهرا وهو قريش " . (٦)

وذكر مثل هذا ابن قتيبة ، فقال " وأما فهر بن مالك فمنه تفرقت قبائل قريش فقبيل لهم بنسبهم فهر (٧)

وقال أبو الفرج " الفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدَّ من قريش " (٨)

(١) لسان العرب (خلع) ٣ : ٨٥

(٢) القاموس المخيط (خلع) ١ : ١٩٣

(٣) نهاية الأرب ٥٣

(٤) تاج العروس (خلع)

(٥) جمهرة النسب ١ : ١٨٠

(٦) نسب قريش ١٢

(٧) المعارف ٣١

(٨) الأغانى ٤ : ٣٦٧

وقال ابن حزم " ٠٠٠ وهو لاء، ولد فهر بن مالك بن النضر وهم قريش لا قريش غيرهم ، ولا يكون قريشي (هكذا بالياء) إلا منهم ، ولا من ولد فهر أحد إلا قريشي " (١)

وثاني هذه المصادر ما روجه ابن هرمة نفسه من أن هرمة دعي في الخُج ، والخُج أدعياء في قريش " (٢) وكرر ذلك مرارا ، فمنه ما يروى من " أنه لما وفد على المهدي في رجال من بني هاشم ، وكان ابن هرمة يأكل الناطق فمر (٣) موكب أحد الوزيرين أبي عبيدالله أو يعقوب بن داود فحاول ابن هرمة أن يتخلص من الناطق فجعل يتوسل لمن معه من بني هاشم أن يأخذه منه ، فعنفوه على ذلك فقال " قد علمت أنه لا يُبتلى بهذا إلا دعي أدعياء " (٤)

ومنه أيضا ، قوله " أنا أُمُّ العرب دعي أدعياء ، هرمة دعي في الخُج والخُج أدعياء فـي قريش " (٥)

وتلقف الناس عنه هذا الاتهام ، فرموه به حين أرادوا العبث به أو السخرية منه ، من ذلك أنه لما بعث إلى إبراهيم (٦) بن حسن بن حسن برقعة يطلب فيها نبيا ، فلما قرأ إبراهيم الرقعة قال " أمني يطلب الدعي الفاعل نبيا " (٨)

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٢

(٢) الأغانى ٤ : ٣٦٨

(٣) نوع من الحلوى

(٤) الأغانى ٤ : ٣٧٢

(٥) المصدر نفسه ٤ : ٣٧٢

(٦) روى أبو الفرج أن ابن هرمة بعث بالرقعة إلى الحسن بن الحسن بن علي ولكن محققى الأغانى نفوا أن يكون

الحسن بن الحسن بن علي هو المعنى بها لتقدم عصره على عصر ابن هرمة ، وقالوا " والصحيح أنها مع ابنه

إبراهيم بن الحسن وكان متصلا به ، وصحيح ما ذهب إليه المحققون ، فقد ذكرت الرواية في ج ١١ - ٣٥١ (دار الكتب)

على أن المعنى بها إبراهيم بن حسن .

(٧) كتب فيها بيتين من الشعر هما :
إني استحييتك أن أفوه بحاجتي

فإذا قرأت صحيفتي فتفهم

أهل السيادة إن فعلت وإن لم

وعليك عهد الله إن أنبأته

(٨) الأغانى (دار الكتب) ٦ : ٩٨

وهجا محمد بن عمران لبخله في أبيات منها قوله :-

مثل ابن عمران آباء له سلغوا يجزون فعل ذوي الإخسان بالدون

فصُرب على أنفه ، وقيل له " عنيت من آباءه أبا سليمان محمد بن طلحة
يادعي " (١)

واجتمع قوم من قريش أحبوا أن يأتوا ابن هرمة في منزله فيعبثوا به ، فتزودوا كثيرا ، ثم أتوه زاعمين
أنهم يريدون ضيافته في بيته ، فامتنع فقالوا له " ياعدو الله يادعي " (٢)

ولسنا نعدّ ما قاله ابن هرمة عن نفسه من أنه دعي ، ولا ما قاله غيره صوابا ، لاعتبارين
رئيسيين :-

أحدهما : يتعلق بابن هرمة وطبيعة حياته ومكونات شخصيته .

وثانيهما : أننا نجد أخبارا وروايات تقول بغير الشك ، وثبت انتسابه إلى قبيلته ، وثبتت
صحة انتساب قبيلته في قريش .

وأما الاعتبار الأول ، فنستطيع القول " إن الظروف النفسية والشخصية التي أحاطت
بابن هرمة جعلت منه شخصية غير طبيعية ولا سوية في سلوكها مع الناس : ذلك أن ابن هرمة
ذاق الفقر ، وعرف الحرمان ، وأحس باليأس ، فأدمن الخمر ، وجعل يستدين من الناس (٣)

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٩١

(٢) المصدر نفسه ٥ : ٢٦٢

(٣) انظر الأغاني ٤ : ٣٧٦ ، ٦ : ١٠٨ ، ١٢ : ٢٢٥

وأن طبيعة حياته ، وسوء سلوكه - فيما أظنّ - وإهمال قبيلته له ، وتجراًء عليهم ، وترويجه لاتهامهم بنسبهم في قريش دفعهم إلى أن يفكروا بنفيه ، فهاهم . (١)

أحار بن فهر كيف تطرحونني

وجاء العدى من غيركم تبتغي نصري

وأكاد أزعم أن في أسرة ابن هرمة عيباً لسوء سلوك فيهم أو لعدم رضاهم عن واقعهم الاجتماعي .

فقد كان لابن هرمة عم يقال له " هرمة الاعور " أرادت الخلع نفيه ، فقال " أمسيت الأم العرب ، دعي أدعياء ، ثم هجاهم بقولـه (٢)

رأيت بني فهر سباطا أكفهم
ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم
على ذي أيادي الدهر أفلح جدهم
فما بال ، أنبوني أكفكم قفدا (٣)
من المجد إلا دعوة ألحقت كدا
وخبتم فلم يصرع لكم جدكم جدا

وأما الظروف الشخصية ، فكان لها أثر في تركيبه النفسي وإن صح لي أن أستعمل مصطلحات علم النفس فإني أقول إن ابن هرمة كان معقدا نفسيا بسبب شكله . فقد روى أبو الفرج أنه كان قصيرا دميما أريمص . (٤)

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٨

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٧

(٣) قفوا : القفد : ميل في الكف ، يريد أنهم بخلا

وسبطا : جمع سبط ، ويكنى بسبوط الكفين عن الكرم والسخاء

(٤) الأغانى ٤ : ٣٨٣ . وأريمص : تصغير أرمص ، وهو وصف من الرخص في العين ، وهو ماسسال مما

• تلفظ به العين

ولعل هذه الظروف الشكلية كوّنت عنده ظاهرة الظرف والعبث ، اصطنعهما ليستر بهما نفسيته ،
فيقول ما يريد ويبعث متى يشاء ، وما إدمانه الخمر ، فيما أظن إلا وسيلة من وسائل الهروب النفسي .
وأكاد أزعّم أن سلوكه الاجتماعي كله كان من هذا الجانب . . .

ومن هذا المنطلق الشكلي والنفسي يُفسّر سلوك عمه أيضا ، فقد كان أعور فيمسا
روى (١) .

كان ابن هرمة ضعيف النفس ضعيف المكانة في المجتمع ، فليس عنده ما يواجه به الناس والمجتمع
سوى هذا اللون من الحياة ليرضي نفسه ويرضى غيره .

وعرف الناس فيه هذا الجانب ، فتجرأوا عليه ، وعبثوا به ، وكانوا يفتعلون الأحداث ، ويمشون المسافات
ليضمهم بابن هرمة مجلس ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، أسوق بعضها شواهد على ما قلت .

أتى ابن ميادة (٢) ابن هرمة ، فقال له : لا بد أن نتهاجى ، فقال ابن هرمة : بش ما دعوت إليه ،
ولم يزل ابن ميادة يلح في الطلب ، حتى قال ابن هرمة يهجو نفسه ، أما والله انني للذي يقول (٣) :

وَإِنِّي لَمِيمُونَ جَوَارًا وَإِنَّمِي	إِذَا زَجَرَ الطَّيْرَ الْعِدَا لِمَشُومٍ
وَإِنِّي لَمَلَّانُ الْعَنَانَ مَنَاقِلَ	إِذَا مَا وَفَى يَوْمَا الْفُكِّ سَوْومٍ (٤)
فَوَدَّ رَجَالٌ أَنْ أَمِّي تَقْنَعَتْ	بَشِيبٍ يُغْشَى الرَّأْسَ وَهِيَ عَقِيمٌ

فقال له ابن ميادة : شكلك أمك ، أنت الأم من ذلك . ما قلت إلا ما زحما .

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٧

(٢) ابن ميادة ، هو ابو شراحيل ، واسمه الرماح ، وميادة : أمه ، وهي أم ولد بربرية ، وهو شاعر مقدم فصيح ،
لكنه كان متعرضا للشر طالبا لمهاجاة الناس ومصابة الشعراء ، كان في أيام هشام بن عبدالملك وبقي إلى
زمن المنصور .

انظر في ترجمته : خزنة الأنب (البغدادى) ١ : ١٥٢

(٣) الاغانى ٤ : ٣٦٩

(٤) ملآن العنان : يقال : ملأ فلان عنان جواده : إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد .
والمناقل : السريع نقل القوائم
والألف : الثقيل البطيء

وقصة المجلس الذي ضم ابن هرمة والأسلمي شاهد آخر ، ذكره أبو الفرج رواية عن الزبير بن بكير عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال :-

" زار ابن هرمة عبد الله بن حسن بباديته ، وجاءه رجل من أسلم ، فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : سل الأسلمي أن يأذن لي في أن أخبرك خبري وخبره ، فأذن الأسلمي له ، فقال ابن هرمة : خرجت أبغي ذوداً^(١) لسي فضفت الأسلمي ، فذبح لي شاة وأكرمني . ثم غدوت من عنده ، ثم خرجت في بغاء ذود لي ، فأوحشت^(٢) فضفته فقراني بلبن وتمر . ثم غدوت من عنده ، ثم خرجت في بغاء ذود لي ، فقلت : لو ضفت الأسلمي ، فاللبن والتمر خير من الطوى ، فجاءني بلبن حامض .

فاستأذن الأسلمي ليخبر لم فعل هذا بابن هرمة ، فأذن له ، فقال " ضافني فسألته من هو ؟ فقَالَ : رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التي ذكر . ثم غدا من عندي ، وغدا علي الحي ، فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : رجل من قريش ، فقالوا لا والله ما هو من قريش ، ولكنه دعيت فيها ، ثم ضافني الثانية على أنه دعيت في قريش فجئت به بلبن وتمر ، وقلت : دعيت قريش خير من غيره ، ثم غدا من عندي ، وغدا علي الحي فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : الرجل الذي زعمتم أنه دعيت في قريش ، فقالوا : لا والله ما هو بدعيت في قريش ، ولكنه دعيت أدعياء قريش ، ثم جاءني الثالثة ، فقريت بها لنا حامضاً ، والله لو كان عندي شراً منه لقريته إياه .

قال : فانخذل ابن هرمة ، وضحك عبد الله وضحكنا معه " ^(٣) وأرجح أن يكون هذا الخبر مَلْفَقاً مضموعاً غايته اتهام ابن هرمة في نسبه ، فمننعوا له هذا الحكاية من ضيافته الأسلمي وضياع ذود له ثلاث مرات ، ليُنزل في كل مرة ضيفاً عليه ، وفي كل مرة يكتشف القوم فيه علة ، فمرة هو دعيت في قريش ، ومرة هو دعيت أدعياء في قريش .

(١) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع ، وقيل ما بين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث

دون الذكور .

(٢) يقال " أوحش الرجل : إذا جاع ونغد زاده " .

(٣) انظر الخبر كاملاً في الأغاني ٤ : ٣٦٨

ثم ، ما كان ضر الحي لو أنهم أخبروا صاحبهم الأسلمي بنسب ضيفه أول مرة ، ليريحوا صاحبهم ويخففوا عنه عبء الضيافة ؟ ولكن الخبر ، فيما أظن ، قائم على هذا الاتهام .

عرف الناس فيه ظاهرة ، الضعف ، فعبثوا به وتجرأوا عليه في شخصيته ونسبه فقالوا له : يادعسي ، صراحةً إن غضبوا عليه وألغزوا بالاتهام إن حسدوه في شاعريته .

وكلّ الأخبار التي وصلت إلينا عن اتهام الناس له في نسبه قائمة على هذين الأمرين .

زاره جماعة من قريش ليعبثوا به فتنبه لهدفهم فرفض طلبهم فقالوا لــــه :
ياعدو الله يادعسي . (١)

وحسده كثير يوم سمع شعرا له فأعجبه ، فلم يستطع أن يعيب الشعر فعاب عليه نسه ، والخبر ذكره أبو القاسم الزجاجي (٢) في أخباره رواية عن المعنوي نسوقه كاملا .
" أخبر المعنوي ، قال : أخبرنا مسيح بن حاتم عن أبي الفضل الرياشي قال : وقف ابن هرمة على أبي وعنده نصيبٌ و (كثير) (٤) فقال له : يا أبا عامر ، إني قد عملتُ أبياتا ، وقد غدوت

(١) الأغاني ٥ : ٢٦٣

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة

(٣) أخبار أبي القاسم الزجاجي (تحقيق . الدكتور عبد الحسين المبارك) ٤٣

(٤) هذه زيادة ليست في أصل الكتاب ، وإنما اقتضتها طبيعــــة
الخبر فقدرتها .

بها إليك وأحب أن يسمعا هذان الشيخان ، قال هاتهما ، فأنشأ :-
طرقت عليه محبتي وركابي أهلا بطيف عليه المنتاب
حتى أتى على قوله (١)

هلا سألت اذ الكواكب أمحلت
وعفت مطية طالب الأسباب
وغدا الرعاة معطلني أقدامهم
لثعالب يشوونها وذئباب
هل ذم من أحد أراد خليعتي
أم هل تعدوا ساحتني وجنايتي

فقال له كثير : يا ابن هرمة ، شعرك هذا يدل على غير البيت الذي انتسب إليه ، يعني أن شعر قريش
ضعيف وهذا شعر فحل جيد .

قال المعنوي " حمل حسد الصناعة على أن قدح في نسبه حين لم يجد في شعره مغمسرا " .
وإذا تجاوزنا هذا كله ، وجدنا أن التقاليف بالأسباب والالتهام فيها كان عادة متفشية في ذلك العصر ،
أو لنقل إن ابن هرمة كان يلقي بهذه التهمة على نفسه وعلى غيره من الناس . فكما اتهم نفسه وقومه
في نسبهم اتهم غيره كذلك ، فقال يهجو قوما (٢)

هجوت الأعداء فخاصيتني معاشر خلتها عربا صحاحا
فقلت لهم وقد نبخوا جميعا علي فلم أجب لهم نباحا

(١) هذه الأبيات ليست في ديوان ابن هرمة ط (الدكتور عطوان) ولا في ط (الاستاذ المعبيد) .

(٢) الأخبار الموقفيات ٤٩٠ ، والديوان (المعبيد) ٨٢

أَأَنْتُمْ مِنْهُمْ فَأَصَدَّ عَنْكُمْ وَأَنْسَبَكُمْ لِنَسَبِهِمْ صُرَاحِيَا
وَالْأَفَاحِمِدُوا رَأْيِي فَإِنِّي أَزْجُرُحُ عَنْكُمْ الْإِبْنَ الْقَبَاحِيَا
وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ لِمُصْحِحِ قَوْمِ يَمُدُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جِنَاحِيَا

وأما الاعتبار الثاني - في رفض اتهام ابن هرمة في نسبه فهو أننا وجدنا أخبارا تثبت نسبه في قومه
الحارث بن فهر ، وتثبت ، أيضا ، صحة انتساب هرمة في الخُجج .

وهذه الأخبار لها مصدران اثنان :-

أولهما : من أشعار ابن هرمة نفسه

وثانيهما : أخبار النسابة والشعراء المعاصرين له .

أما أشعاره فتشهد صراحة على صحة نسبه ، من ذلك أبياته في مدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
التي مطلعها : (١)

صَرَمْتُ حَبَابِلًا مِنْ حَبِّ سَلْمِي

لِهِنْدٍ وَأَعَمَدْتُ لِمُسْتَرَاخٍ

يقول فيها :

لَعَمْرِكَ إِنِّي وَبَنِي عَدِيٍّ

وَمِنْ يَهُوَى رِشَادِي أَوْ صِلَاحِي

إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَمَلَّنِي

لَفِي حَيِّنِ أَعْمَالِ جِسْمِهِ مَتَاحٍ

وبنو عدي هم قوم الشاعر ، وهو عدي بن قيس بن الحارث بن قيس بن فهر . (٢)

(١) الأغاني ٦ : ١٠٧

(٢) انظر جمهرة النسب (ابن الكلبي) ١ : ١٨٠

ومن ذلك ، أيضا ، قوله في عبد الواحد :

إذا قيل من عند ريب الزمان

لمُعترٍ فهِرٍ ومُحتاجِها (١)

وأبياته التي مدح فيها الحكم بن عبد المطلب تدل دلالة مريحة على نسبه في قريش
إذ يعترف بقربته للحكم ، يقول له : (٢)

لا عيب فيك تعاب إلا أنفسي

أمسي عليك من العيون شقيقا

إن القرابة منك يأمن أهلها

ملة ويأمن غلظة وعقوقها

وثاني المصادر التي تثبت سلامة انتمائه القرشي ، تلك التي ذكرها الشعراء والمعاصرون

لابن هرمة .

وأول هذه الأخبار مارواه أبو الفرج من أن جريرا قدم المدينة ، وأتاه ابن هرمة وابن أذينة ، فأنشده .
فقال جرير " القرشي أشعرهما والعربي أفصحهما " (٤)

(١) البيان والتبيين ٢ : ٣٧٢ ، والأغاني ٦ : ١١١ . وهذا البيت وأبيات أخرى تليه وردت في شعر ابن هرمة

ط . الدكتور عطوان ٨٥ ، ولم ترد في ط . المعيب .

والمعتر : الذي يتعرض ليصيب خيرا من غير سؤال .

(٢) هو الحكم بن عبد المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب المخزومي ، من أجواد قريش ، من أهل

المدينة ، وكان من سادة قريش ووجهها . انظر في ترجمته (نسبه قريش) ٢٤٩

(٣) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٤٠٢

(٤) الأغاني ٤ : ٣٩٣

وثانيهما : ماروي عن السري بن عبدالله الهاشمي ، أنه قال لابن هرمة بعد أن مدحه بقصيدته
التي أولها : (١)

عوجا على ربع ليلي أم محمد سود

كما نسائله من دوننا عبود

قال له : مرحبا بك يا أبا إسحق ، ما حاجتك ؟

قال : جئتك عبدا مملوكا .

قال السري : لا ، بل حرا كريما وابن عم .

وثالثهما : ماروي عن الحسن بن زيد أنه لما ولي المدينة أتاه ابن هرمة ، فهدده الحسن إن لم يتب عن
شرب الخمر قائل له " وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر وحدا للسكر
ولأزيدن لموضع حرمتك بي " (٢)

والأمثلة على ذلك كثيرة ولكننا نكتفي بما أوردنا .

(١) المصدر نفسه ٤ : ٢٨٣

(٢) انظر الخبر كاملا في الشعر والشعراء ٧٣٠ والكامل (المبرد) ١ : ٢٠٧

والأغاني ٤ : ٣٧٥ ، وزهر الآداب وثمر الالباب ١ : ٨٨

ثانياً : أسرته

ليس بين أيدينا من أخبار أسرته تفصيلات كثيرة تسعفنا في الوقوف على أفرادها ، وكل الذي استطعنا الوقوف عليه من أمر هذه الأسرة أن ابن هرمة تزوج مرتين ، كان زواجه الأول من أم عياله ، ولكننا لم نستطع الوقوف على اسمها أو على مزيد من التفصيلات تبين لنا وضعها في أسرته أو علاقتها بزوجها وأبنائها ، لأن المصادر التي بين أيدينا قد سكنت عن ذلك ، وأن أخبار هذه الزوجة قد ضاعت فيما ضاع من أخبار زوجها .

ولكننا نستطيع القول إن زوجته هذه لم يكن سلوكها كسلوك ابن هرمة ، بل إنها لم تكن راضية عن تصرفات زوجها من سكر ومجون وانحراف ، وكانت حريصة على أن ترده إلى جادة الصواب .

رأته مرة على حالة من السكر فلامته على ذلك وعاتبته بروى أبو الفرج قال " قال عبدالله بن حسن لإبراهيم بن هرمة: يا ابن هرمة ، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قدم ابن هرمة المدينة . وجّه عياله لينقلهم إلى عبدالله بن حسن ، فبينما هو قد شدّ متاعه وحمله إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحق ، عندي والله نبيذ يسقط لحم الوجه ، فقال ويحك أما ترانا على مثل هذه الحال ؟ أعليها يمكن الشراب ؟ فقال : إنما هي ثلاثة لاتزد عليهن شيئاً ، فمضى معه وهم وقوف ينظرون ، فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صهراً صالح ، ثم أتى به وهو سكران نطرح في شق المحمل وعادلته^(١) زوجته ومضوا . فلما أسحروا^(٢) رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله وقالت : قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك ، فلو تعللت عنه بهيئة الألبات ، فرفع رأسه إليها وقال :

لا تبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعمار^(٣)

(١) عادلته : كانت معه في الشق الآخر من المحمل

(٢) أسحروا : وقت السحر

(٣) الأغانى : ٤ : ٢٧٢

ولست أشك في أن زوجته هذه قد تحمّلت معه هموم الحياة ، من ذلك مارواه أبو الفرج ، أيضا ، من أن ابن هرمة أصابته أزمة في المدينة فاستنهضته زوجه للخروج إلى دمشق عند عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ولم يكن عند ابن هرمة ما ينهضه ، فقالت له : أنا أنهضك بما أمكنني " (١)

ولست أشك ، أيضا ، في أنها أنجبت منه أبناءه وبناته . أما زوجته الثانية ، فلست أعرف من أخبارها شيئا سوى أنه فهرها نعليه حين قالت له " أعطني شيئا ، فقال والله ما معي إلا نعلان فدفعهما إليها ، ومضى معها " (٢)

وليس يعرف هل استمر في علاقتهما الزوجية ، أو أنه طلقها ، فالمصادر لاتزيد على هذا الخبر شيئا .

وأقدّر أن له ولديين أحدهما اسمه (إسحق) والثاني اسمه (عيسى).

أما ولده إسحق ، فلست أعرف عنه شيئا ولم يذكره أبوه في شعره قط .

وربما كان إسحق من حفظه شعر أبيه ورواته ، وأنه هو الذي سأل أباه يوم أنكر أبياته في بني فاطمة قائلا : " يا أبت ألسن قائلها " (٣) ولكني لا أملك دليلا واحدا يقوي هذا التقدير .

(١) الأغاني ٦ : ١٠٨ وتاريخ دمشق (مخطوط) لابن عساكر ١ : ٢٢٨

(٢) الأغاني ٤ : ٣٩٥

(٣) والأبيات هي قوله :

فاني أحب بني فاطمة

ت وبالدين والسنة القاسمة

سواهم من النعم السائمة

ومهما ألام على حبيهم

بني بنت من جاء بالمحكما

ولست أبالي بحبي لهم

انظر في ذلك الأغاني ٤ : ٢٨٧

وأما ولده عُبَيْيٌّ ، فقد ذكره ابن هرمة في شعر له مرتين مرة في قصيدة مدح بها السري بن عبد الله يوم كان واليا على اليمامة^(١) وكان الشاعر قمده هناك فمدحه وأقام عنده أياما ثم قال له السري :
قل شعرا تشوق فيه ، فقال قصيدته التي مطلعها .^(٢)

أ أ الحمامة في نخل ابن هداج
هاجت مياحة عاني القلب مهتاج
وفيها يقول: ^(٣)

هاج العُبَيْيُّ إلى شوق فشوقني

فعبجت من قلب ماض غير منعاج

والمرة الثانية التي ذكر فيها (عُبَيْيًّا) هي قوله: ^(٤)

الله جار عُبَيْيٍّ دعوة شققا

من الزمان وشر الأقرب الوالي

ووهم محققو الأغاني حين ذكروا اسم (عُبَيْيٍّ) مصحفا مرتين . مرة حين رسموا (العُبَيْيِّ) بشكل الصبي ، فأوردوه هكذا :

هاج (الصبي) إلى شوق فشوقني . . . البيت ^(٥)

وعنه نقل جامع شعر ابن هرمة ، حين أورد هذا البيت كما هو عند أبي الفرج .

(١) كان ذلك سنة (١٤٤) هـ ، تاريخ الطبري ٧ : ٥٥١

(٢) الأغاني ٤ : ٢٨٦

(٣) المصدر نفسه ١٣ : ٢٨٥

(٤) الأغاني (ط : الثقات) ١٩ : ٢٨٥

(٥) المصدر نفسه ١٣ : ٢٨٥

ولم يشر أبو الفرج في أغانيه إلى أن (العُبَيَّي) هو ابن إبراهيم بن هرمة وكذلك لم يفعل الأستاذ المعيبد. (١)

والحق أن الصغاني هو أول من صرح باسم عُبَيَّي على أنه ابن إبراهيم بن هرمة ، فقال " عُبَيَّة - مفسرة - بنت إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الشاعر ، وأخوها عُبَيَّي " (٢)

والمرة الثانية التي وقع فيها تمحيض عُبَيَّي كانت في الأغاني ، أيضا ، وذلك فسي قوله " (٣)

الله جار (عتي) دعوة شفا ٠٠٠٠ البيت

وعنه أخذ الأستاذ المعيبد مرة أخرى ، ولكنه زاد في الحاشية تعديلا ظن فيه الصواب حين قال " ولعل الصواب (الله جار معني) " (٤)

ويظن أن عُبَيَّي مات في حياة والده ، وأن أباه رثاه في قصيدة لم يبق منها إلا بيتان هما : (٥)

الله جار (عُبَيَّي) دعوة شفا	من الزمان وشر الأقرب الوالسي
من كل أحميد عنه لا يقربُّه	وسط النجبي ولا في المجلس الخالي

ويخيل إلي أن هذين البيتين من قصيدة واحدة إلا أنهما غير متتاليين .

(١) ديوان ابن هرمة : ٧٧

(٢) التكملة ٦ : ٤٦٦

(٣) الأغاني ١٩ : ٢٨٥ وفي طبعة الساسي (جار عتني) ١٨ / ١٠٠ وهذا وهم كما ترى

(٤) ديوان ابن هرمة حاشية (١) ، ص ١٩٨

(٥) الأغاني ١٩ : ٢٨٥

وبيزيد من ظني هذا ماتناقلته بعض الكتب التي ذكرت أبياتا لابن هرمسة ، فوقفت عنـــــــه
قوله : (١)

وأنت من الغوايسة حين تُرمى
ومن ذم الرجال بمنـتـزاح (٢)
فقالوا فيه " قاله في رثاء ابنه " . (٣)

وهذا وهمّ منهم أجمعين ، ذلك أن هذا البيت قيل في مدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك مــــن
قميدة بلغت تسعة عشر بيتا في الديوان . (٤)

وعلى الرغم من هذا الوهم القائم إلا أن في البيت دليلا على ما ذهب إليه من أن واحدا من أبناؤه
- وأظنه عُبَيّا - قدم في حياة أبيه ، وأن أباه رثاه بقصيدة لم يصل إلينا منها إلا البيتان السابقان .

ويقوي من ظني ، أني وقفت على بيت شعر لابن هرمة أُقدّر أنه وجهه لابنه وكان مريضا ، وكان ابن هرمة ،
حينذاك ، صافرا إلى اليمامة ليمدح السري بن عبدالله .

يقول ابن هرمة في البيت . (٥)

ولقد نذرتُ لئن لقيتك سالما

أن لا أعالج بعدك الأسفارا

وأما بناته فهن غير اثنتين فيما يبدو ، وقد ورد ذكرهن بصيغة الجمع غــــير
مرة .

(١) الخصائص ٣: ١٢١

(٢) بمنـتـزاح : أراد بمنـتـزح ، مفتعل من النازح ، والألف : منشأة عن إشباع الفتحة . المصدر السابق ٣: ١٢١

(٣) الحماسة البصرية ١: ١٨٩ ، وأمالى الشجرى ٢: ٥٥٨ ، والخصائص ٣: ١٢١ والمصاحح ١: ٤١٠

(٤) الديوان ٨٤

(٥) الديوان ١١١

ذكر ابن عساکر في تهذيبه فقال " قال بعضهم : نزلت ببينات ابن هرمة بعد أن مات فرأيت حالتهن سيئة ... " (١)

وعن إبراهيم بن محمد قال " نزلت ببينات ابن هرمة بعد أن هلك فرأيت حالتهن سيئة ، فقلت لبعض بناته ... " (٢)

ولم تقفنا المصادر التي بين أيدينا على مزيد من المعلومات عن بنات الشاعر ، وكل ما استطعت الوقوف عليه أنهن كن يعشن في مشقة وحرمان ، والخبران السابقان يدلان دلالة واضحة على ذلك .

وانفرد الصغاني في التكملة بذكر واحدة من أسماء بناته وهي (عُبَيْة) قال " عبية - مصفرة - بنت إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الشاعر " . (٣)

ووهم محققو الأغاني مرة أخرى حين ذكروا اسمها مصحفا كما فعلوا من قبل في أخيها
(عُبَيْة) .

ففي خبر عن ابن هرمة أنه " لما مدح أبا الحكم المطلب بن عبدالله عاتبه بعض الناس في ذلك ، وقالوا له " أتمدح غلاما حديث السن يمثل هذا ؟ قال نعم . وكانت له ابنة يلقبها (عيينه) .

(١) تهذيب ابن عساکر ٢: ٢٣٩

(٢) ذيل الأمالي ٢: ١١٠

(٣) التكملة ٦ : ٤٦٦

وقال الزبير (١) كان يلقبها (عينه) فقَالَ: (٢)

كانت عِيْنَةً فِينَا وهي عاطلة

بين الجوارى فغلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له

كان العلیم وكنا نحن لم نلیم (٤)

ويبدو أن (عِيْنَةً) قد كبرت حتى صارت من الفتيات اللواتي يُنظَرُ إليهن بعين الاهتمام كما فعل أبو الحكم .

ويبدو ، أيضا ، أن ابن هرمة ترك بعد وفاته بُنْيَةً صغيرة لم تبلغ الحلم . روى الأُصمعي قال " قال رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقامت منزل إبراهيم بن هرمة ، فاذا بُنْيَةً صغيرة تلعب بالطين " . (٥)

وكان لابن هرمة عم اسمه علي بن هرمة ، وقد نُسب إليه خطأ في كتاب شرح نهج البلاغة هـ ———
البيتان : (٦)

ومن لم يرد مدحي فإن مدائحني

توافق عند الأكرمين ———

توافق عند المشتري الحمد بالندی

تفاق بنات الحارث بن هشام

(١) هو الزبير بن بكار

(٢) هكذا بياء واحدة مثناة ونون

(٣) الأغانى (دار الكتب) ٤ : ٣٩٤

(٤) المُلیم : من الام الرجل إذا أتى مايلام عليه

ولم نلیم : لم نأت مايلام عليه

(٥) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٢٩

(٦) شرح نهج البلاغة (تحقيق أبي الفضل إبراهيم) ١٨ : ٢٨٨

والحقيقة أن البيتين ثابتا النسبه لإبراهيم بن هرمة (١) ولا أدري هل علي هذا هو نفسه هرمة الأعرور الذي أرادت الخلع نفيه فهجاهم (٢).

ولابن هرمة ابن أخ اسمه محمد بن مالك بن علي ابن هرمة ، وكان يكنى (أبا مالك) وقُدروى عمن عمه إبراهيم بن هرمة شيئا من شعره (٣) والبيتان السابقان من مروياته .

وأما مالك بن علي بن هرمة ، أبو محمد ذلك ، فهو أخو إبراهيم بن هرمة ، كما يظهر لنا ، وليس بين أيدينا أخبار عنه أو ذكر له .

ومما تجدر ملاحظته أن ابن هرمة لم يذكر أبويه في شيء من شعره . ولست أدري إن كان ذكرهما بشعر له ولكنه ضاع فيما ضاع من أشعاره وأخباره .

وكل الذى بين أيدينا من أخبارهما بيت من الشعر ، ذكر فيه أمه ، ولكننا ذكرنا به .

(٤) قال ابن هرمة في أبيات - ذكرناها - هجا فيها نفسه حين طلب منه ابن ميادة أن يتهاجى بها :
فود رجال أن أمي تقنعت بشيب يغشي الرأس وهي عقيم

(١) انظر في ذلك : ثمار القلوب (للشعالبي) ٢٩٨ . وتاريخ مدينة دمشق (قسم تراجم النساء) تحقيق .

سكينة الشهابي ١١٩ ، وبيع الأبرار (السيوطي) ٢ : ١٧٠ .

(٢) انظر الأبيات ص ١٥ من هذه الدراسة .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (قسم تراجم النساء) ١١٩ . وتاج العروس ٩ : ١٢ .

(٤) الأغاني ٤ : ٣٧٠ .

الفصل الثاني

(حياته ونشأته)

مولده :

اختلف المترجمون لابن هرمة في تحديد سنة ولادته وبلغ الاختلاف بينهم ثلاثين سنة .

ذكر ولادته سنة ستين ابن شاعر الكتبي^(١) ، وذكرها سنة سبعين صلاح الدين الصفدي^(٢) والسيوطي^(٣) وعبد القادر البغدادي^(٤) . وتابعهم في ذلك بعض المحدثين^(٥)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني^(٦) رواية عن البلاذري أنه ولد سنة تسعين . واختار هـ ذا التاريخ فريق من المحدثين^(٧)

وتفرد محمد جبار المعيبد بتحديد سنة ولادته على أنها سنة ثمانين .^(٨)

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٣ : ٦١

(٢) الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩

(٣) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٤) خزنة الأدب ١ : ٢٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٥ : ١٥٢

(٥) منهم الدكتور محمد عبد الجواد محقق كتاب (المسلسل في غريب لغة العرب) حاشية الصفحه ٤٩ .

والدكتور علي توفيق الحمد محقق كتاب (الجمل في النحو) للزجاجي حاشية الصفحه ٢٧٨ .

(٦) الأغانى ٤ : ٣٩٧

(٧) منهم بر وكلمات في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٠ ، والدكتور عادل جمال سليمان محقق (الحماسة البصرية)

١ : حاشية الصفحه ٣١٦

(٨) ديوان ابن هرمة المقدمة ص ١٤ .

وأحسب أن هذا التاريخ لا يستقيم لنا لاعتبارات ثلاثة :-

أولها : أن ابن شاعر ذكر هذا التاريخ لولادة الشاعر بصيغة التجهيل ، فقال " ويقال إنه ولد سنة ستين " (١).

وثانيها : أن ابن شاعر تفرد بذكر هذا التاريخ . فلم أجد أحدا ، فيما أعلم ، ذكره قبله ، ولم أجد أحدا تابعه عليه ممن جاء بعده .

وثالثها : أن ابن شاعر ذكر غير هذا في تحديد ولادة الشاعر فقال " ويقال إنه ولد سنة سبعين " (٢).

وأظن أن هذا التاريخ في تحديد السنة مصحّف من سبعين أو تسعين .

أما تحديد أبي الفرج الأصفهاني ، أنه ولد سنة تسعين فهو رواية نقلها عن البلاذري ، وهو اجتهد بني علي بيت شعر قاله ابن هرمة ، وهو : (٣)

إنَّ الخوانكي قد أعرضن مقلبة

لما رمى هدف الخمسين ميلادي

وكان ابن هرمة أنشد أبا جعفر المنصور قصيدة منها هذا البيت ، كما ذكر أبو الفسرج

وكان ذلك سنة أربعين ومئة فحسبوا فتم لهم الرقم تسعون .

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٦١ : ٣

(٢) فوات الوفيات ١ : ٣٤

(٣) الأغاني ٤ : ٣٩٧

وهذا الاستنتاج يُدفع به دليلين :-

أولهما : أن أول لقاء كان بين المنصور وابن هرمة ، فيما أظن ، يوم بنى المنصور بغداد سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين ومئة ، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هم ، فكان ممن وفد عليه ابن هرمة .

وخبر الخطيب البغدادي يشير إلى أن هذا هو اللقاء الأول بينهما ، ولم يثبت أنهما التقيا من قبل . وأورد الخبر كاملا ليدل على ما ذهبت إليه . قال الخطيب البغدادي :
" أخبرنا أبو القاسم الأزهرى ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفسة قال : وفي هذه السنة - يعني سنة خمس وأربعين ومئة - تحول المنصور إلى مدينة السلام ، واستتم بناء ههنا سنة ست وأربعين ، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هم ، فكان فيمن وقسده عليه إبراهيم بن هرمة . قال : فلم تكن في الدنيا خطبة أبغض إلي من خطبة تقرّني منه . واجتمع الخطباء والشعراء من كل مدينة ، وعلى المنصور ستريرى الناس من وراءه ولا يرونه ، وأبو الخميص ، حاجبه قائم يقول : يا أمير المؤمنين ، هذا فلان الخطيب فيقول : اخطب . ويقول هـذا فلان الشاعر ، فيقول انشد . حتى كنت آخر من بقي .
فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن هرمة . فسمعتة يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ، ولا أنعم الله به علينا . فقلت : يا نفس هذا موقف إن لم تشتدّي فيه هلكت . فقال أبو الخميص انشد . فأشده :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل
وقرب للبين الخليط المزابل

حتى انتهت إلى قولتي :

له لحظات في حفاقي سريره
إذا كرها فيها عقاب وناثل

فأما الذي امنتّه يا من السردى

وأما الذي حاولت بالثكل تاكل

فقال : يا غلام ، ارفع عني الستر ، فرفع فإذا وجهه كأنه فلقمة قمر . (1)

فلو كان هناك لقاء سابق على هذا بين الخليفة والشاعر لما كره المنصور لقاءه ، ولما اضطربت
نفسية ابن هرمة ، ولو كان هناك لقاء لتمت المعاتبة فيه .

وثانيها : أن هذا البييت :

أَنَّ الْغَوَانِيَّ قَدْ أَعْرَضَنَ مَقْلِبَةً

لَمَّا رَمَى هَدَفَ الْخَمْسِينَ مِيلَادِي

يشترك مع أبيات أخرى موجودة في الديوان . وهذه الأبيات أصلها قصيدتان متباعدتان في الزمان .
إحدهما بقي منها ثلاثة أبيات كان ابن هرمة أنشدها في حضرة دواد بن علي (١) عم الخليفة السفاح في مجلس
بالرؤيثة (٢) والأبيات في هجاء مروان بن محمد الخليفة الأموي ، قال فيها : (٣)

فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً

وَلَا أُمِيَّةَ بَنِي الْمَجْلِسِ النَّادِي

كَانُوا كَعَادٍ فَأَمْسَى اللَّهُ أَهْلَكَسَرْمَ

بِمَثَلِ مَا أَهْلَكَ الْغَاوِيَيْنِ مِنْ عَادٍ

فَلَنْ يَكْذِبَنِي مِنْ هَاشِمٍ أَحَدٌ

فِيَمَا أَقُولُ وَلَوْ أَكْثَرْتُ تَعْدَادِي

(١) ويكنى أبا سليمان ، وكان لسنا خطيبا ، ولي مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وكان المتكلم

يوم استخلف أبو العباس وكان داود في أيام بني أمية مع خالد بن عبدالله القسري .
انظر : أنساب الاشراف (تحقيق . الدوري) ٣ : ٨٧

(٢) مكان علي بعد ليلة من المدينة . معجم البداية (الرويثة)

(٣) الأغانى ٤ : ٢٤٧ ، وشرح نهج البلاغه (تحقيق أبي الفضل إبراهيم) ٧ : ١٤٠

وثاني هاتين القصيدتين لم يبق منها إلا بيت واحد ، وهو البيت الذي أورده ثعلب رواية عن الأصمعي مستدلاً به على أن ابن هرمة نشأ في ديار تميم ، وأنه أنشد الرشيد بلغتها ، فقال : (١)

أَعَنَّ تَغَنَّتْ عَلَى لِقَاقِ مَطْوَوِّقَةٍ

ورقاء تدعو هديلاً فوق أعواد

وليس بين أيدينا من أبيات ابن هرمة على هذه القافية إلا هاتان القصيدتان .

وأما قول محمد جبار المَعْبُود أن ابن هرمة ولد سنة ثمانين ، فيبدو أنه تحديد لا يستقيم لنا ، لأنني وجدت

أبياتا لعبيدالله بن قيس الرقيات يخاطب فيها ابن هرمة ، وهي ، فيما يبدو نصيحة كبير إلى شاب متسرّع .
قال فيها : (٢)

وقومك لا تجهل عليهم ولا تكفن

بهم هرشاً تغتابهم وتقاتل (٣)

فإن امرءاً في معشر غير قومه

ضعيف الكلام سخمه متفائل

إذا شاء لم يبسط لساناً ولا يدا

ولم تنب عن ذي صفحتيك المعابل (٤)

وإذا علمنا أن ابن قيس الرقيات توفي سنة خمس وثمانين وإذا قدرنا أنه نصح ابن هرمة في هذه الأبيات

وابن قيس في آخر حياته فيكون عمر ابن هرمة عند ذلك خمس سنوات . ولا اظن طفلاً في مثل هذا السن يقف من نفسه ومن قبيلته موقف الشك والارتياب .

(١) مجالس ثعلب ٨١ ، والخمائص ١١:٢ ، وسر صناعة الإعراب ١:٢٣٥

(٢) ديوان ابن قيس الرقيات ٥١

(٣) هرشاً : نبي الخلق

(٤) المعابل : جمع معبلة وهي نمل طويل عريض

وإذا قدرنا أن ابن قيس الرقيات قال هذه الأبيات قبل وفاته بعام أو عامين نكون وملنا إلى رفس
قاطع للسنة التي قدرها المعيب .

بقي من هذه التواريخ تاريخ واحد ، وهو سنة سبعين . وهو أكثرها قبولا فيما أظن . وبه أحدد سنة
ولادة الشاعر .

والأدلة على ذلك كثيرة، منها :

أولا : أن ثلاثة من المؤرخين اعتمدوه ، وأنهم لم يعتمدوا تواريخ أخرى ذكرها مصنفون آخرون في ترجمتهم
لابن هرمة .

ثانيا : أن أبيات ابن قيس الرقيات السابقة تقبل هذا التاريخ ولا تتعارض معه .

فلو قبلت سنة سبعين تاريخا لولادة ابن هرمة ، وسنة خمس وثمانين تاريخا لنصيحة ابن قيس
الرقيات له ، فيكون عمر ابن هرمة ، عند ذلك ، خمسة عشر عاما ، وهو عمر مقبول " لشاب في أوج شبابه
يقف من نفسه ومن قومه هذه المواقف .

سنة سبعين ، إذن ، هي أنسب السنوات لتحديد ولادة ابن هرمة .

أما مكان ولادته ، فلست أعرف على تيقن أين كانت ، ذلك أن جزءا كبيرا من حياة ابن هرمة
ضاع ، وأن غموضا كبيرا يكتنف مرحلة طفولته وبداية شبابه .

وليس يعرف من أخباره إلا مرحلة الشباب المبكر ، وهو ابن خمسة عشر عاما فيما قدرت من أبيات
ابن قيس الرقيات .

ولقد تتبعنا ترجمة ابن هرمة وأخباره ، فلم نجد ما يريحا يشير إلى مكان ولادته . غير أن المدينة
وما حولها كانت أماكن تنقله الدائم واستقراره المؤقت .

وقد حوى ديوانه أسماء قرى كثيرة تحيط بالمدينة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ،
وذكرها ابن هرمة في شعره . إلا أن الملاحظ أن قرية السَّيَالَة (١) من أكثر أسماء القرى دورانا في شعره
وأخباره ، من ذلك ما ذكره أبو الفرج من " أن ابن هرمة أتى عبدالله بن حسن وهو بالسيالة فأنشده مديحا
له " (٢) .

وروى الزبير بن بكار عن عمران بن عبدالعزيز " أنه وجماعة وافوا الحج فأصبحوا بالسيالة فإذا إبراهيم
ابن هرمة يأتيهم " (٣) . وذكر ابن عساكر " أن نصيبا الشاعر اجتاز بالسيالة وبها منزل إبراهيم بن هرمة
فناداه يا أبا اسحق " (٤) .

فتكون السيالة هي مركز إقامة ابن هرمة ، وهي أكثر الأماكن ترجيحاً
لتكون مكان ولادته .

(١) السَّيَالَة : قرية على بُعد مرحلة من المدينة . بحسب البداية (السيالة)

(٢) الأغاني ٤: ٣٧٢

(٣) المصدر نفسه ٤: ٣٨٩

(٤) تهذيب ابن عساكر ٢: ٢٤٠

نشأته :

ليس بين يدي من أخبار نشأة ابن هرمة وطبيعة حياته شيء يمكن الاعتماد عليه في تكوين صورة واضحة عن حياته وأخباره .

وكل الذي استطعت الوقوف عليه أخبار في مرحلة شبابه وهي أخبار قوامها رفضه لقبيلته ، واتهامه لها ومخالفته إياها . قيل له : " إن قريشا لاتهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهرمها كلها بلسان قريش فأنشأ : (١)

ان سَلِمَى واللَّهُ يَكْلُوها ضَمَّتْ بشيء ما كان يَرزُوها (٢)

واتهامه لقبيلته أشهر من أن يعاد القول فيه .

واشتهر ابن هرمة بهذا ، وعوتب فيه . عاتبه ابن قيس الرقيات بأبيات ذكرتها في معرض تحديدي لسنة ولادته .

وقد وقفت على خبر ذكره ثعلب في مجالسه رواية عن الأصمعي من أن ابن هرمة ربي في ديار تميم ، وأنه أنشد الرشيد قصيدة بلغتها .

ولست أعرف مزيدا من التفصيل عن هذه النشأة سوى أنه ربي في تميم طفلا . أما لم نشأ في تميم دون غيرها من القبائل فلست أعرف سببا له .

ولست أعرف ، أيضا ، إن كان نشأ في تميم وحيدا ، أم كان بمحبة أسرته .

(١) شرح شواهد المغني (للسيوطي) ٨٢٦ والديوان ٤٨

(٢) يكلؤها : يحرسها ويحفظها

وضمت : بخالت

ويرزوها : ينقصها

ولست أشكُّ في أنه قضى شطرا كبيرا من حياته في الجزيرة العربية ، وفي منطقة الحجاز خاصة .

فمن يرجع إلى معجم البلدان لياقوت يجد أن معظم قرى الحجاز ذُكرت في شعره ، وهو ذكر يدل على معرفة لها أو مرور بها أو إقامة فيها .

وكانت له علاقات اجتماعية واسعة ، وهي علاقات كانت مع مستويين من الناس ، مستوى الخلفاء والأمراء والولاة ، ومستوى الناس العاديين من شعراء ونقاد وأصدقاء .

أما علاقاته بالمستوى الأول ، فسأترك له مكانا في معرض الحديث عن ممدوحيه .

وأما علاقاته بالناس العاديين من طبقته ، فاستطيع القول إن ابن هرمة لم يكن راضيا عن الناس من حوله ، وأنه كان يتمنى لو لم ير أحدا منهم أو لو أنه عاش السباع فهي أخف طباعا وأقل ضرا : (١)

ليت السباع لنا كانت مجاورة
وأنا لا ترى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدا عن فرائسها
والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

ولم يكن راضيا عن الدنيا لإحسانه باليأس منها ولعدم تحقيق رغباته فيها : (٢)

وما نال مثل اليأس طالبُ حاجةٍ
إذا لم يكن فيها نجاحٌ لطالبٍ

(١) لسان العرب (هدأ) والديوان ٩٦

(٢) التذكرة السعدية ٣٤٨ والديوان ٦٤

ولعل برمةً بالدنيا وسخطه قد حددا أسلوب علاقته معهم ، فوقف الناس منه مواقف ووقف منهم

مثلها .

هجا بعضهم وهجوه . وسالم آخرين لحاجته إليهم ، وسالموه خوفاً منه ، وعاملوه بمثله شفقة

عليه .

هجا معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب^(١) لأنه عودته البر ، فجاءه ابن هرمة يوماً وقد ضاقت
يده وأخذ خمسين ديناراً يدين ، فرفع إليه رقعة يسأله فيها برا . فقال له معاوية " أيدينا ضيقة وما عندنا
شيء إلا شيء أخذناه بكلفة " ، فكتب إليه ابن هرمة^(٢) :

فَاتِي وَمَدْحَكَ غَيْرَ الْمَعْبُودِ * حَيْكَالْكَلْبِ يَنْبِغُ ضَوْءُ الْقَمَرِ
مَدْحُكَ أَرْجُو لَدَيْكَ الثَّوَابِ فَكُنْتُ كَعَاصِرِ جَنْبِ الْحَجَرِ

وهجها عبد العزيز بن المطلب لأنه لم يعطيه مالا ، فقال فيه^(٣) :

أَبَا لِبِخْلِ تَطْلُبُ مَا قَدَّمْتُ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأَمْوَالِهَا
فَهِيهَاتُ خَالَفْتُ فَعَلَ الْكِرَامِ خِلَافَ الْجِمَالِ بِأَبْوَالِهَا

وهجها ابن الكوذج مولى آل حنين حين بلغه قول ابن هرمة .^(٤)

لَا أَمِيعَ الْعُودِ بِالْفِصَالِ وَلَا ابْتِغَاءَ الْأَقْرَبِيَّةِ الْأَجَلِ

فقال ابن الكوذج :^(٥)

مَا يَشْرِبُ الْبَارِدَ الْقِرَاحَ وَلَا يَذِيحُ مِنْ جَفْرَةٍ وَلَا حَمَلِ^(٦)

(١) هو أحد الطالبين ، ولد سنة ٤٥ هـ . وتوفي سنة ١١٠ هـ . ترجم له المزرباني في معجم الشعراء ص ٣١٤

(٢) الأغانى ١٢ : ٢٢٤ ، والديوان ١٠٩

(٣) الأغانى ٥ : ٣٩٥ ، والديوان ١٩٩

(٤) الأغانى ٥ : ٢٦٤

(٥) المصدر نفسه ٥ : ٢٦٤

(٦) الجفرة : من أولاد الشاء اذا عظم واستكشر ، وقيل إذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه ، وقصيل
عن أمه ، وأخذ في الرعي ، فهو جفر والأنثى جفرة .

كأنه قرده يلاعبها قرد بأعلى الهضاب من قَلل (١)

وسالم الناس خوفاً منهم أو طمعاً في عطائهم ، فمن ذلك أنه هجا محمد بن عمران
بأبيات منها قوله : (٢)

مثل ابن عمران آباء له سلفوا يجوزون فعل ذوى الإحسان بالدون

فضرب على ذلك ثم أجبر على مدحه ، فقال : (٤)

ذممت امرءاً لم يطبع الذمُّ عرضه

قليلاً لدى تحميله من يشاكله (٥)

فما بالحجاز من فتى ذي إمارة

ولا شرف إلا ابن عمران فاضله

وسالمه الناس خوفاً من سلاطة لسانه ، منهم ابن مصعب وكان فضل عليه ابن أذينة ، فلقبه ابن
هرمة يوماً ، فقال له : (٦)

يا ابن مصعب أتفضّل عليّ ابن أذينة ؟ أما شكّرت قولــــي :

(١) ملل : موضع في طريق مكة على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة . معجم البلدان (ملل) ١٩٤

(٢) هو محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد الطلحي ، يكنى أبا سليمان ، وهو أخو الحسن بن الحسن

ابن علي بن أبي طالب لأمه ، كان قاضياً لزياد بن عبيدالله الحارثي على المدينة ، وكان يرمى بالبخل ،

توفي سنة ١٤٥ هـ .

انظر : نسب قريش ٢٨٠ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢٧٢ .

(٣) الأغاني ٤ : ٣٩١

(٤) انظر الخبر كاملاً في الأغاني ٤ : ٣٨٩ وما بعدها

(٥) لم يطبع : لم يسمّه بما يشينه

(٦) الأغاني ٤ : ٢٨٠

فما لك مختلاً عليك خمامة كأنك لم تنبت ببعض المنابت
كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر ولا مصعباً ذا المعكرات بن ثابت

فقال له مصعب : يا أبا إسحق ، أقلني وروني من شعرك ، مما شئت .

وسالته محمد بن عمران أيضاً يوم أتته ابل تحمل علفاً ، فأرسل ابن هرمة في اثر الحمولة رسولا حتى وقف
على ابن عمران ، فأبلغه رساله ابن هرمة ، فأعطاه الابل بما عليها ، وقال له : " إن احتجت إلى غيرها زدناك " . (٢)
وخافه عمر بن القاسم حين أتاه تمر من صدقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجاءه ابن هرمة
يطلب تمرا فخافه فأعطاه . (٢)

وعومل معاملة حسنة شفقة عليه ، من ذلك أنه لما مدح الحسن بن زيد ، وعرض بأبناء الحسن ابن
الحسن بن علي بقوله : (٣)

والله أعطاك فضلا من عطيته
علي هن وهن فيما مضى وهن (٤)

جفاه عبدالله بن حسن ، وكان يجري عليه رزقا فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه ابن هرمة يعتذر
فنجي وطرد ، فمكث ماشاء الله ، ثم مرّ عشية وعبدالله على زربية (٥) في ممر المنبر فلما رأى ابسسن
هرمة عبدالله تضاء ل وتماغر ، وأسرع المشي فكان عبدالله رقه له ، فأمر به فردّ عليه ،
وعاتبه على فعلته ثم أمر أن تردّ عليه جرابته .

(١) الأغانى ٤: ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه ٤: ٢٩٣

(٣) انظر الخبر كاملا في الاغانى ٤: ٣٧٧

(٤) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم إنسان ، وذكر الشاعر ثلاثا لأنه أراد بها ثلاثة أشخاص معنيين هم الحسن

ابن الحسن بن علي وأخوه عبدالله بن الحسن وإبراهيم بن الحسن .

(٥) الزربية : هي البساط أو النمرقة ، وقيل هي كل ما يبسط ، ويبتكأ عليه ، والجمع : زرابي .

ومنه ، أيضا ، أنه لما نَقَدَ مامعه من المال ، وطُرد من سوق النبط^(١) بسبب ذلك ، أتتني
عبدالله بن حسن ، فقال له : إني مدحتك فاستمع لي ، قال عبدالله : لا حاجة لي بذلك ، أنا أعطيتك
ماتريد ، ولا أسمع . قال ابن هرمة : إذن أسقط ويكسد سوقن ، فسمع منه وأمر له بمئتي دينار .^(٢)

(١) انظر قصته مع الرجل بسوق النبط في الأغانبي ٤ : ٣٨٨

(٢) الأغانبي ٤ : ٣٨٩

صفاته الجسمية :

جماع القول في صفاته الجسمية ما ذكره أبو الفرج من أنه كان قميًّا دميمًا
أريمض " (١)

ولعل هذه الصفات كانت السبب في نفسيته المحظمة ، وكان لها التأثير في سلوكه مع نفسه
ومع قومه ، ومع الناس جميعا .

كان الرجل عدوانيا في مواقفه ، يائسا من الدنيا ، شاكيا في الناس ، وكان مجال تندر الآخريين ،
ومحط أنظار العابثين ، فهجا نفسه ليرضي غيره . (٢)

وأظن أن عيوبه الجسمية لم تقف عند حد القمكر ، ودمامة الوجه ، وضعف البصر ، بل لعلها
تجاوزت هذه إلى عيوب في النطق أيضا .

ولعل قبح صوته في الإنشاد كان سببا في اتخاذه راوية ينشد له أشعاره في
المجالس .

وكان رلويته يرافقه في حلّه وترحالته .
وصحّف محققو الأغاني اسم رلويته ، فقالوا عنه " ابن ربيح " هكذا براء مضمومة وياء (موحّدة)
مفتوحة وياء (مثناة) ساكنه وحاء (مهملة) .

(١) الأغاني ٤: ٣٨٣ ، وأريمض تصغير أرمض ، وصف من الرقص في العين ، وهو كالغمض ، وقيل الرمص :
ماسال مما تلفظ به العين .

(٢) وذلك حين طلب منه ابن ميادة أن يتهاجيبا .

انظر الأغاني ٤: ٣٦٩

ذكروا هذا غير مـرره^(١) ، على الرغم من أنهم أشاروا في الحاشية إلى أن إحدى المخطوطات التي اعتمدوا عليها في التحقيق ذكرت " ابن زبيج"^(٢) هكذا بزاي ونون وياء (مثناة) .

وزعم الدكتور يوسف بكار^(٣) أن اسمه " ابن ربيع " براء مضمومة وباء (موحدة) مفتوحة وياء (مثناة) ساكنة ، وعين (مهمله) . وهذا ما لم يقل به أحد .

والمصواب ان اسمه " ابن زبيج " بزاي مفتوحة ، وباء (موحدة) مفتوحة ونون مشددة وجيم .

ذكره ثعلب بهذا في مجالسه فقال " أخبرنا محمد ، قال حدثنا أبو العباس قال حدثني عمر بن شبعة قال أخبرني أبو سلمة قال أخبرني ابن زبيج رواية ابن هرمة ... " (٤)

وذكره الصَّغَانِي في التكملة فقال " زبيج : أهمله الجوهري وابن زبيج رواية ابن هرمة على وزن سَفَج " . (٥)

وذكر ابن هرمة اسم رُوَيْتِه في شعر له ، حين وفد على السري بن عبدالله في اليمامة ، فكتب شعرا يتشوق فيه . قال (٦)

وابن الزبيج مما قد يهيجني

بحلقٍ منتحبٍ بالليل نَشَاجِ

(١) انظر الأغاني ٤: ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣

(٢) الأغاني ٤: ٣٧٤

(٣) اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٩٩

(٤) مجالس ثعلب ١: ٢٦

(٥) التكملة ٣: ٢٥٠

(٦) الأخبار الموفقيات ١٥٦ ، والديوان ٧٧

وكان ابن الزينج طويلاً جسيماً نقي الثياب (١) ولعله لجمال شكله وحسن موته اتّخذ

ابن هرمة رواية له ، ومنشدا لشعره .

ولما وفد ابن هرمة على السري في اليمامة سلم عليه ، ثم قال له : اني قلت شعراً اثنيت فيسه

عليك . قال السري : أنشد . قال ابن هرمة : هذا ينشد ، فجلس وأنشد ابن زنج قصيدته التي أولها : (٢)

عوجسا على ربح ليلي أم محمود

كيما نساكله من دون عبود (٣)

وحين مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحي ، بعث إليه بالمديح

ابن زنج (٤)

(١) الأغاني ٤: ٣٨٣

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٨٣

(٣) عبود وصغر جبلان متقابلان ما بين المدينة والسيالة ، بينهما طريق المدينة

والغريب أن الدكتور يوسف بكار جعل هذه القصيدة لابن زنج مدح بها السري بن عبد الله .

انظر اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٩٩ .

(٤) الأغاني ٤: ٣٧٤

سلوكه :

الغالب على سلوكه أنه كان عابثاً لاهياً ، ماجناً أدمن الخمر ، وحُدّ عليهما .
غير مرة .

وأخبار سكره كثيرة ، حتى أنه وصف بأنه منهوم في الشراب لا يكاد يمس منه .
عنه .

دعاه صديق له ليشرب الخمر وهو مزعم السفر إلى الحسن بن زيد ، فشرب حتى سكر وحُمِلَ
مطروحاً . (١)

وبعث إلى إبراهيم بن الحسن بن حسن بن علي برقعة فيها بيتان من الشعر يلمح فيهما أنه يريد
نبيذا ، قال فيهما : (٢)

اتِّي أجلك أن أفوه بحاجتي
فإذا قرأت صحيفتي فتفهم
وعليك عهد الله إن أنبأتك
أهل السّيالة إن فعلت وإن لم

ومدح أبا جعفر المنصور ، وطلب منه أن يحتال في إباحة الشراب ، فكتب أبو جعفر إلى واليه على المدينة
" من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مئة واجلد ابن هرمة ثمانين " . (٣)

(١) الأغانى ٤: ٢٧٢

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٨٩ ، والأغانى ٦: ٩٨ ، وفي تهذيب ابن عساكر ٢: ٢٤٣ أنه خاطب الحسن بن الحسن
ابن علي .

(٣) الأغانى ٤: ٢٧٥ ، وعيون التواريخ (مخطوط) ٣: ٦١

وفي رواية العقد الفريد أنه جعل ابن هرمة خاطب المهدي ، وطلب أن يحتال له في إباحة الشراب .
انظر العقد الفريد ٦: ٣٥١ وعنه أخذ فؤاد البستاني في دائرة المعارف ٤: ١٢٢ .

وسكر مرة سكرًا شديدًا ، فزاره جيرانه وعاتبوه على ذلك فقال لهم " لقد كنت في طلب هذه منذ حين ، ألم تسمعوا قولي : (١)

أَسْأَلُ اللّٰهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي

وَصِيَاحُ الصَّبِيَّانِ يَاسْكِرَانِ^٢

وَحَدَّةٌ فِي الْخَمْرِ خَثِيمٌ بِنِ عِرَاكٍ مَاحِبِ شَرْطَةِ الْمَدِينَةِ لَزِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ فِي وِلَايَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ فَهَجَاهُ ابْنُ هَرْمَةَ بِقَوْلِهِ : (٢)

عَقَّقْتُ أَبَاكَ ذَا نَشَبٍ وَيَمِيرٍ فَلَمَّا افْتَتِحَتِ الدُّنْيَا أَبَاكَ
عَلَّقْتُ عِدْوَاتِي هَذِي لِعَمْرِي ثِيَابُ الشَّرِّ تَلْبَسُهَا عِرَاكَا

وَهَدَّهَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى شَرْبِهِ الْخَمْرَ قَائِلًا لَهُ " وَأَنَا أَقْسَمُ لِنَنْ أُتَيْتُ بِكَ سَكِرَانٌ لِأَجْلَدَنَّكَ حَسَدًا لِلْخَمْرِ وَحَدًا لِلسُّكْرِ ... " (٣)

ولم يقف انحرافه عند شرب الخمر ، بل دخل سوق النبط عند رجل معه زوجته وابنتاه .

ولست أعلم هل عاد ابن هرمة إلى جادة الصواب ، فتاب عن أفعاله تلك ، شأنه في ذلك شأن غميره ممن ضلوا أول حياتهم ثم استقاموا في آخرها . فإن صحّت الأبيات التي نسبت إليه فإنه يكون

(١) الأغاني ٤: ٣٩٣ والإيناس بعلم الأنساب ١٩٢ والوافي بالوفيات ٦: ٥٩ ، وعيون التواريخ (مخطوط) ٣: ٦١

(٢) الشعر والشعراء ٢: ٧٣٠ والعقد الفريد ٦: ٣٥١ ، وزهر الآداب ٨٨ وخزانة الأدب ١: ٣٨٢

(٣) عيون الأخبار ٣: ٣٠١ والعقد الفريد ٦: ٣٤٠ والكامل ٢: ٢٠٧

ترك الخمر وتاب عنها • والأبيات هي :

تركتُ الخمرَ لأربابها وأصحتُ أشربُ ماء قراحا
وقد كنتُ حيناً بها مُعجبا كحبِّ الغلامِ الفتاةَ الرِّاحا (١)
فلمْ يَبْقَ في الصدرِ من حبِّها سوى أن إذا ذُكرتُ قلتُ آحا

ولكن هذه الأبيات نُسبت إليه وإلى غيره (٢).

ولعل هذه الأبيات له ، لأنها تمثّل نفسه الشعري في آخر حياته ، ولأنها تشبه أبياتا أخرى ثابتة النسبة إليه ، أوردها ياقوت الحموي (٣).

ووجه الشبه بينهما أن النية في ترك السوء قائمة ، ولكن نفسه ما زالت تحن إليه كلما رأت ما يذكرها به ، قال :

أقمّرتُ عن جهلي الأنثى وحطّمني
زرعٌ من الشيب في الفودين منقود (٤)
حتى لقيتُ ابنةَ السعديّ يوم سفا
وقد يزيدُ صباي البدنَ الغيّد (٥)
واستوقفتني وأبدتُ موقفا حنا
بها وقالتُ لقناصِ الصبيّ صيدوا
وإن الغواني لاتنفكُ غانيّة
منهنّ يعتانني من حبها عيّد

فالبيتان الأخيران في القطعتين متشابهان إلى حد بعيد .

- (١) الفتاة الرّواح : الثقيلة الأوداف والتامة الخلق
(٢) نسبت هذه الأبيات إلى ابن هرمة في سمط اللآلي، ٢: ٧٦٢ ونسبت إلى أبي الهندي في الشعر والشعراء، ٢: ٥٧٠ وعيون الأخبار ١: ٢٦٠ و (ألف با) للبلوي ١: ١٤١
(٣) معجم البلدان (سفا)
(٤) الفودان : جانبا الرأس
(٥) البدن الغيّد : جمع بادنة وهي السمينة الجسم . والغيد : جمع غيدا، وهي الفتاة الناعمة

ولكنني لا أستطيع الجزم بتوحيته وملاحه من خلال شعره فقط ، لأن بعض الشعراء غير ثابت النسبة إليه من جهة ، ولأن ابن هرمة لا يعتد بأقواله في كل المواضع (١) من جهة أخرى .

ولعل سوء سلوكه أوقعه في ضيق مالي شديد ، فعانى الفقر ، واستدان كثيرا على الرغم من كثرة ما كان يصل إليه من ممدوحيه ومعارفه ، وهذا بيان ببعض العطايا من الأموال والمتاع .

مدح عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا باثنين فسارهما (٢) وخرجا فأعطياه مالا كثيرا (٣)

ومدح إبراهيم بن محمد (الإمام) وهو في المدينة ، ففضي عنه دينه . (٤)

ومدح أبا جعفر المنصور بأبياته التي مطلعها . (٥)

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل

وقرب للبين الخليل المزايل (٦)

فأمسره له بعشرة آلاف دينار .

(١) سبق الحديث عن اتهامه لنفسه بأنه دعي ، واتهامه لقومه بأنهم أدعياء في قريش ، ولأنه معروف بالتقلب

في الآراء والمواقف .

(٢) سارهما : تحدث إليهما سرا

(٣) الأثافي : ١٢ : ٢٢٤

(٤) أخبار الدولة العباسية (تحقيق . الدوري) ٣٨٠ وتهذيب ابن عساکر ٢ : ٢٨٩

(٥) ذيل الأمالي ٢ : ٤١

(٦) سرى ثوبه : إذا كشفه

ومدح السريّ بن عبدالله حين كان واليا لليمامة ، ففضي عنه دينه وهو سبعمئة دينار ، وأمر له بمسال غير ذلك بلغ ألف دينسار . (١)

وخافه محمد بن عمران الطلحي فأعطاه قافلة من العير كانت تحمل غلّة جاءه ته منــــــــــــــــــــن الفرع أوخيبر . (٢)

وأشد عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك وهو إذ ذاك أمير الحجاز فأمر له بثلاثمئة دينار وخلصه موشاة وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقحة ومئة شاة ، وسأله عما يكفيه ويكفي عياله سنة من البرّ والتمر ، وقال له " هذا لك عليّ مادمت ومادمت حيا ، ولست بمحوجك إلى غيري أبدا " (٣)

وكان عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بجري عليه رزقا (٤) .
وأعطاه الحكم بن عبدالمطلب سبعين شاة فيها (الفراء) وكان لا يعطيها لأحد . (٥)

هذا قليل من كثير من الأموال والأرزاق التي أجريت على ابن هرمسة .

وعلى الرغم من كل هذا . فقد كان يشكو الفقر واقترض كثيرا .

(١) الأغاني ٤: ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٩٣

(٣) المصدر نفسه ٦: ١٠٤

(٤) المصدر نفسه ٤: ٣٧٧

(٥) انظر الخبر كاملا في الاغاني ٤: ٣٩٤

وهذا بيان ببعض الديون التي كانت عليه .

جاء ابنُ هرمة يوماً معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، وقد ضاقت يده ، فأخذ خمسين ديناراً
بدين . (١)

وأصابته شدة وهو في المدينة ، فاستنهضته زوجته للخروج إلى دمشق عند عبد الواحد بن سليمان ، فلما
وصل ، قال له عبد الواحد ما وراءك ؟ قال لا تسألني بأبي أنت وأمي ، فإن الدهر كذب أخنى عليّ فما وجدت
مستغاثاً غيرك . (٢)

وكان لأبي مضرٍ عليه مئة وخمسون ديناراً قضاها عنه الحسن بن زييد . (٣)

ومدح السري بن عبدالله في اليمامة ، فقال له السري : ما حاجتك ؟ قال : ما تركت لي مالا إلا رهنته
ولاصديقا إلا كلفته . فقال له السري : وما دينك ؟ قال سبعمئة دينار . (٤)

وبسبب الفقر والحاجة تنقل ابن هرمة ليمدح الخلفاء والأمراء والولاة ، وكانت تنقلاته كثيرة
سواء داخل الحجاز أو خارجها .

(١) الأغانى ١٢ : ٢٢٥

(٢) المصدر نفسه ٦ : ١٠٨

(٣) المصدر نفسه ٦ : ٣٧٦

(٤) المصدر نفسه ٦ : ٣٨٦ ، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٣٩

وفد ابن هرمة على الوليد بن يزيد بن عبد الملك في دمشق فأجازه (١) . ووفد على عبد الواحد بن سليمان
ابن عبد الملك في دمشق يوم أصابته خصاصة في المدينة . (٢)

ووفد على المنصور في بغداد سنة ست وأربعين ومثثة أو خمس وأربعين ومثثة ، فمدحه بقميدته
المشهوره : (٣)

له لحظات عن حفاقي سريره إذا كرها فيها عقابونائل

ووفد على السري بن عبدالله باليمامة (٤) غير مرة .

ووفد على المهدي في جماعة من أهل المدينة . (٥)

ووصل إلى الأندلس كما ذكر الضبي (٦) فلما سمع بيت أبي الخشبي (٧) :

هما مهديا لي العيش حتى كأنني

خفية زف بين قادمتي نمر

رجع من الأندلس إلى الحجاز .

(١) تهذيب ابن عساكر ٢: ٢٣٧ وتاريخ دمشق (مخطوط) ١: ٢٣٩

(٢) الأغاني ٦: ١٠٨

(٣) الأغاني ٦: ١٠٩ وتهذيب ابن عساكر ٢: ٢٣٧

(٤) الأغاني ٤: ٣٨٢

(٥) المصدر نفسه ٤: ٣٧٠

(٦) بغية الملتمس (ط . مجريط) ٥١٣

(٧) أبو المخشي : شاعر عربي ، قديم الجود والمنعة ، عربي الدار والنشأة ، تردد في بلاد الأندلس غريبا

وهو من فحول الشعراء المتقدمين . البغية ٥١٣ .

ولست أعرف مزيدا من التفاصيل عن رحلاته بعاقبة ، ولا عن رحلته إلى الأندلس بخاصة . متى كانت بالضبط ؟ ولمن كانت ؟ وهل مكث فيها طويلا ؟ وهل كان سماعه لهذا البيت أول وصوله إلى هناك ، أو كان بعد إقامة فيها ؟ وهل قابل أحدا من الأمويين هناك ؟

ولست أشك في أنه جمع أموالا طائلة في رحلاته ، إلا أنه لم يحسن استثمارها والتصرف فيها .

ولا أظن أنه مارس عملا اكتسب من ورائه رزقا . ولم يعمل ، وقد أُجريت عليه وعلى عياله أرزاق من ممدوحيه مادام حيا ؟

أمره أبو جعفر المنصور أن يمارس عملا يكسب منه قائله ، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم " يا ابن هرمة ، إن الزمان ضيق بأهله ، فاشتر بهذه ابلا عوامل ، وإياك أن تقول : كلما مدحت أمير المؤمنين أعطاني مثلها ، هيبات والعود إلى مثلها " . (١)

وحاول ابن هرمة أن يأخذ بنصيحة المنصور ، فاشترى غنما ليتاجر بها ، وأمر راعيها لــــه أن يبيعها ، فوقف رجل وقال له : يا أبا إسحق ، أين عزب عنك قولك :

لا غنمي مد في الحياة لها إلا دراك القرى ولا إبلي

وقولك :

لا امتع العود بالغمال ولا ابتاع الأقرية الأجل (٢)

(١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢٩

(٢) العود : الإبل التي نتجت ، واحدها عائد

ابتاع : اشترى

فقال ابن هرمة :

من أخذ منها شيئاً فهو له • فانتهبوها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء . (١)

وحاول ابن هرمة أن يلتمس العذر لفقره ، فادّعى أن ضياع أمواله كان بسبب كرمه ، وأشعاره فـ

ذلك كثيرة منها قوله : (٢)

انني إذا ما البخيل آمنها باتت ضموزا مني على وجل (٣)
كم ناقة قد وجاءت منحرها بمستهل الشوبوب أو جمل (٤)

وقوله : (٥)

فقلت لقينتي أرفعاها وحرّقا
لعل سنا ناري بأخر تهتف

وله في كلبسه واستقباله الضيوف وفرحته بقدمهم أشعار لطيفة • فكان الكرم صفة من صفاته

التي لازمته •

(١) الأغانى ٥: ٢٦١

(٢) المصدر نفسه ٥: ٢٥٩ وآمالى القالى ٣: ١١٠ والديوان ١٨٣

(٣) الضموز : الممسكة من أن تجتر : يريد أن الناقة من شدة خوفها على نفسها ممارأت من نحر نظائرها

قد امتنعت من أن تجتر ، فهي ضافره •

والوجل : الخوف

(٤) وجاء : نحرها بسكين أو نحوه

(٥) امالى المرتضى ٢: ١١٦ والديوان ١٥٣

ولم يقبل الناس أقواله السابقة ، بل اتهموه بالبخل مراحة . وذكروا روايات تدل على بخله ، من ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني والشريرسي " أن جماعة من قريش أحبوا أن يأتوا ابن هرمة ليخرج معهم للتنزه ، فلما خرج إليهم ، قال لهم : ما جاء بكم؟ قالوا : شعرك حيث قلت :
ان امرءا جعل الطريق لبيته
طنبا وانكر حقه للثيم (١)

وقولك :

وإذا تنور طارق مستنبح
وعوين يستعجلنه فلقينكه
نبحت فدلته علي كلابي
يضرئنه بشرائر الأذنب (٢)

وسمعناك تقول :

كم ناقة قد وجأت منحرها
لا أمتع العوذ بالفصال ولا
بمستهل الشؤبوب أو جعل
أبتاع الأقرية الأجل

فنظر إليهم ساعة ، وقال لهم " ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولا ولا أسخف دينا منكم ، أو ما سمعتم قول الله تعالى (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) (٣) . والله اني لأقول ما لا أفعل ، وأنتم تريدون مني أن أفعل ما أقول والله لا أغضب ربي في رضاكم " . (٤)

(١) الطنب : الحبل الذي تُشدُّ به الخيمة أو سرائق البيت

(٢) شراشر الأذنب : أطرافها

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٦ والمقمود هنا هم الشعراء

(٤) الأغانى ٥: ٢٦٢ وشرح مقامات الحريري (للشريرسي) ٥: ١٤٦

وقال يحيى بن عروة بن أذينة " خرجت في حاجة لي ، فلما كنت بالسيالة وقفت على منزل إبراهيم
ابن هرمة ، فمحت : يا أبا إسحق ، فأجابني ابنته : من هذا ؟ قلت : انظري ، فخرجت إلي فقلت :
أعلمي أبا إسحق . قالت : خرج والله أنفا . قلت : هل من قرى فإني مقيم من الزاد^(١) قالت : لا والله
مامادفته حاضرا . قلت : فأين قول أبيك :
لا أمتع العود بالفصال ولا
أبتاع الأقرية الأجل

قالت : بذاك والله أفناها .

فأخبرت أباها بقولها ، فضمها إليه ، وقال : بأبي أنت وأمّي أنت والله ابنتي حقا ، الدار والمزرعة
لك ."^(٢)

وهجاه ابن الكوسج واتهمه بالبخل في بيتين عرضنا لهما .^(٣)

وسمع أحد معاصري ابن هرمة قوله في البيت السابق ، فقال " صدق ابن الخبيثة ، إنما كان يشترى
الشاة للأضحية فيذبحها من ساعته ."^(٤)

وعده ابن عبد ربّه أحد البخلاء في الفصل الذي تحدث فيه عن البخل والبخلاء من الشعراء وغيرهم ،
فقال : " ومن أشعار البخلاء التي يتمثلون بها قول ابن هرمة :
قد يدرك الشرف الغنى ورداؤة
خلق وجيب قميصه مرقوع^(٥)

(١) القرى : الطعام ، وأقوى القوم : إذا فني زادهم

(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٠٠ ، والأغاني ٥ : ٢٦٠

(٣) هما قوله : ما يشرب البارد القراح ولا

كأنه قرده يلاعبها

(٤) الأغاني ٥ : ٢٦٢

(٥) العقد الفريد ٦ : ١٩٩ (كتاب الجمانة الثانية في المتنبيّين والبخلاء والطفيليين)

ظرفه :

كان لابن هرمة روح فكهة ، وكان الناس يعرفون فيه هذه الروح ، فيأتونه ليعيشوا به .
وبمازحوه .

وأخبار ظرفه كثيرة ، منها " أنه لما تزوج امرأته الثانية ، طلبت منه صداقا فقال لها :
والله مامعي إلا نعلاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتوركتها مرارا . فقالت له : أحفيتني (١) ، فقال لها :
الذي أحفى صاحبه منا يعرض (كذا) من أمه " . (٢)

وشرب مرة نبيذا ، فلما نفذ النبيذ والمال نزع رداءه عن ظهره وقال لفلان له . اذهب فارهنه
وأتنا بنبيذ ، ففعل ، وجاء ابن أبي راشد (٣) فجعل يشرب معه من النبيذ ، فانتبه إلى أن ابن هرمة
بغير رداء ، فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحق ؟ قال : نصفه في القدح ونصفه في بطنك . (٤)

وحين مدح الحسن بن زيد وعرض بأبناء (٥) الحسن بن الحسن بن علي في قوله :
الله أعطاك فضلا من عطيتته

على هن وهن فيما مضى وهن

لقيه عبدالله بن حسن فعاتبه في ذلك ، فسال ابن هرمة :

" ورب هذا القبر (٦) ما عنيت إلا فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم ، فضحك عبدالله بن حسن وقال له :
" والله ما أحسبك إلا كاذبا " . (٧)

(١) تريد : أجهدتني

(٢) الأغاني ٤: ٣٩٥

(٣) صديق كان يشرب معه

(٤) المصدر السابق ٤: ٣٧٣

(٥) أبناء الحسن هم : الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي ، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وعبدالله

بن الحسن بن الحسن بن علي .

(٦) يريد : قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة .

(٧) الأغاني ٤: ٣٧٧ وتاريخ ابن عساکر ٧: ٧٦٣ .

ولم يكن ابن هرمة يخلو من ذكاء . وتمثل ذكاؤه يوم مدح المنصور بأبياته المشهورة (١) ،
فلما انتهى ، قال له المنصور : " يا إبراهيم قد بلغتني عنك أشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك ، فأقبر
لي بذنوبك أعفها عنك ، فقال ابن هرمة في نفسه : هذا رجل فقيه عالم ، وإنما يريد أن يقتلني بحجة تجب
عليّ فقال : يا أمير المؤمنين ، كل ذنب بلغل مما عقوته عني فأنا مقرب به " . (٢)

(١) التي مطلعها :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل وقرب للبين الخليط المزابل^٢

(٦) تاريخ بغداد ٦: ١٢٩ وتهديب ابن عساكر ٢: ٢٤١

" وربيعة بن الأنبط الأشجعي من بني كلاب ، كان من الأشداء على الأُسراء " . (١)

ومن معرفته اللغوية أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله : (٢)

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهُ هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِماً بِالْبَابِ

فقال له ابن هرمة : ما هكذا قلت . أكنت أتصدّق؟ (٣)

قال الرجل : فقاعدا .

قال ابن هرمة : كنت أبول ؟

قال الرجل : فمـاذا؟

قال : واقفا ، وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى ؟

أدرك ابن هرمة ، إذن ، الفرق بين (قائماً، وقاعدا، وواقفا) ورفض البديلين الكلمة الأصلية ، وهو رفض

قائم على معرفة لغوية .

واطّلع ابن هرمة على الشعر الجاهلي والأسلامي ، ونهل منهما وحفظهما ، وهذا واحد من أدلّة

حفظه .

قال يهجو أحدهم : (٤)

فَهَلَّا إِذْ عَجَزْتَ عَنِ الْمَعَالِي وَعَمَّا يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْقَرِيعُ (٥)
أُخِفْتُ بِقَوْلِ عَمْرٍو حِينَ أَوْقَى (٦) بِهِ وَبِشَارِهِ الشَّرْفَ الرَّفِيعُ

(١) العباب الزاخر ١١١

(٢) كتاب الصناعتين ٦٨ ، والأحاجي النحوية (للزمخشري) ٥١ والمقتصد في شرح الإيضاح (عبدالقاهر الجرجاني)

٨٦٣:٢

(٣) أي طلب المدقسه

(٤) حماسة البحتري (تحقيق كمال مصطفى) ٣٧٥

(٥) الرجل القريع : الرجل الغالب القوى

(٦) هو عمرو بن معدى كرب الزبيدي الشاعر المخضرم .

والبيت الذي بين قوسين من قصيدة عمرو العينية التي خاطب بها أخته (ريحانة) بعد أن سبها الممّة

ابن بكر . وأولها : أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَوِّرُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعُ

والقصيدة في الأمصيات رقم (٦١) .

(إذا لم تستطع شيئا فدعه) وجاوزه إلى ما استطيع)

وأما معرفة بالفلك فيدلنا عليها أبيات (١) ستعرض لهما فيما بعد .

وله معرفة بالحيوان ، من ذلك قوله : (٢)
وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا (٣)
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

وهو يقصد النعامة ، لأنها من حمقها تنرك حن بيضها فإن رأت بيض أخرى حننته ، وسميت بيض نفسها . (٤)

وله معرفة دينية دقيقة مميزة للألفاظ ، ودلالاتها ، من ذلك ما فصح به إبراهيم بن عبد الله ابن مطيع : (٥)

إن ذا الجود والكارم أبرأ هيم يعنيه كل ما يعنني
قد خبرناه في القديم فالقي هنا مواعيده كعين اليقين (٦)

وعين اليقين لفظ قرآني (٧) يدل على علم المرء بالشيء ، عن طريق المشاهدة والمعانيثة بالبعث ،

(١) انظر الأزمنة والأمكنة ٢: ٢٣٣ ، والديوان ١١٤

(٢) الشعر والشعراء ٢: ٧٣٠ وثمار القلوب ٣٥٣

(٣) الزند الشحاح : الذي لا يورى

(٤) الحيوان ١: ١٩٩ والمناعتين ١٤٥

(٥) هو إبراهيم بن عبد الله بن مطيع بن الأسود ، من بني عدي بن كعب ، ولا يذكر عنه سوى أن أباه قُتل مع ابن الزبير ، وأن أولاده خرجوا مع محمد بن عبد الله (النفس الزكية) . جمهرة الأنساب (لابن حزم) ١٥٨

(٦) الأغاني ٤: ٣٨٥

(٧) من قوله تعالى : " لترونها عين اليقين " سورة التكاثر آية (٧)

وهي غير علم اليقين^(١) الذي يكون بالسمع والقياس ، وهي غير حق اليقين^(٢) الذي يدل على معاشرة
الشيء بعد سماعه ورؤيته •

فابن هرمة يقصد عين اليقين ، لأنه رأى مواعيد ممدوحه معرفة مشاهدة بالبصر •

(١) من قوله تعالى " لو تعلمون علم اليقين " سورة التكاثر آية (٥)

(٢) من قوله تعالى " إن هذا لهو حق اليقين " سورة الواقعة آية (٩٥)

تشيعة :

كل الذي وصل إلينا من شعره اللذهبي مقطوعتان (١)

أولاهما : بلغت ثلاثة أبيات ، وهي التي أنكرها زمن العباسيين حين سئل عن قائلها ، فقال : قائلها من
عَضَّ (كذا) من أمّه ، وهي قوله: (٢)

ومهما ألام على حبهم
فاني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكما
ت وبالدين والسنة القائمة
ولست أبالي بحبي لهم
سواهم من النعم المائمة

ثانيهما : بلغت أربعة أبيات ، وهو يفتخر فيها بالكرم ، ويدعي أن هذه الصفة لم تكن طارئة عليه ، وإنما
ورثها عن علي بن أبي طالب قال فيها: (٣)

وسل الجار والمعصب والأضياف
كيف يلقونني إذا نبح الكلب
ومشى الحالب الميسر إلى الناب
فلم يقر أصغر الحي رياء
لم تكن خارجية من تراث حادث
بل ورثت ذلك عليا
وهنا إذا تحيوا لدينا (٤)
وراء الكسور نبحا خفيا (٥)
فلم يقر أصغر الحي رياء (٦)

(١) قال الأستاذ المعين : إنه لم يصل إلينا من شعر ابن هرمة المذهبي إلا مقطوعة واحدة . يقصد أبياتسه

في بني فاطمة . انظر الديوان ٢٤

(٢) الأغاني ٤: ٣٨٧ وتاريخ ابن عساكر ٢: ٢٤٠ وخزانة الأدب ١: ٢٠٣

(٣) الحيوان ١: ٣٨٨ والديوان ٢٤٦

(٤) المعصب : الذي يعصب بالخرق جوعا

(٥) الكسور : أجزاء الإبل أو أعضاؤها بعد الذبح

(٦) يس الإبل : ساقها سوفا لينا ، والميسر : الحالب لها

والناب : الناقة المسنة . والأصغر : الرجل الجائع

ويبدو أن ابن هرمة ورث التشيع عن أبيه وراثته ، شأن كل الإبناء الذين يرثون مذهبهم الديني ، غير أنني أشك في صدق تشيعه وانتمائه للعلوية ، لأنه تخلى عن مواقفه منهم يوم أنكر أبياته السابقة في بني فاطمة ؛ ولأنه الخزم الحياض من ثورة محمد بن عبدالله المعروف (بالنفس الزكية) أول ظهورها ، حتى يرى ماتسؤول إليه ، فقال في ذلك : (١)

أرى الناس في أمر سجيلٍ فلا تزل
على حذر حتى ترى الأمر مبرماً (٢)
فإنك لا تطيع ردَّ الذي مضى
إذا القول عن زلاته فارق الغما
فكائن ترى من واقف العرض مامتا
وأخر أردى نفسه إن تكلمنا

ويقال إنه أيدّها أول قيامها ، وأخذ يحثّ صاحبها على الثبات والصمود . من ذلك ما رواه أبو بكر الصولي من أن ابن هرمة خاطب محمد بن عبدالله (النفس الزكية) في قوله : (٣)

أنتك الرواحل والملجَماتُ
وقال لي الناس ان الحباء
فدونكها يا ابن ساقى الحجيج
أبوك الوصي وأنت ابنه
بعيسى بن موسى فلا تعجبل (٤)
أناك مع الملك المقبل
فإني بها عنك لم أبخل
وصي نبي الهدى المرسل

(١) أمالي الزجاجي ٥ ، والديوان ٢٠٢

(٢) السَّحِيل : غير المُحَكَّم وعنئى به الاضطراب

(٣) أشعار أولاد الخلفاء ٣١٢

(٤) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، ولأه أبو العباس السفاح عهده . وتوفي بالكوفة

سنة ١٦٧ هـ . (أنساب الاشراف ٣ : ٢٨٠)

غير أن البلاذري^(١) جعل هذه الأبيات في مخاطبة عيسى بن موسى . وهو الصواب فيما يبدو، لأن السقاية

كانت للعباس بن عبدالمطلب .

وبعد فُشِلَ هذه الثورة ، ومقتل صاحبها عارضها وأنكر تأييده لها قائلاً : (٢)

دَعَوْنِي وَقَدْ شَالَتْ لِإِبْلِيسَ رَايَةَ

وَأَوْقَدَ لِلغَاوِيِينَ نَارَ الْحَبَابِ (٣)

أَبَا لَلِيثِ تَغْفَرُونَ يَحْمِي عَرِينَهُ

وَتَلْقَوْنَ جَهْلًا أَسَدَهُ بِالشَّعَالِ

فَلَا نَفَعْتَنِي السَّنُّ إِنْ لَمْ يُوَزِّكَمْ

وَلَا أَحْكَمْتَنِي مَادَقَاتِ التَّجَارِبِ

ووصل به الأمر حدًا هجا فيه بعض العلويين ، ولعل مواقفه منهم كانت وسيلة من وسائل التقيية

اتخذها ابن هرمة وغيره من الشعراء ليبعدوا عنهم عيون العباسيين التي ظلت تراقبهم ، أو لعل ابن هرمة

لم يكن من الغلاة المتطرفين في تشيعهم ، وإنما كان ميالا إلى العلويين دون أن يتخذ مذهبهم عقيدة

صحيحة له ، ولهذا قال الدكتور هدارة في شعره المذهبي " . . . فهو لا يُعتبر في الشعر المذهبي لأنه لا يَصوِّر

لنا عقيدة معينة ، ولا يرسِي أصول مذهب شأن الشعراء المذهبيين " . (٤)

(١) أنساب الاشراف (تحقيق . الدوري) ٣ : ٢٨٠

(٢) العقد الفريد ٥ : ٨٩ والديوان ٦٣

(٣) نار الحباب : تضرب مثلا للشئ ، يروق ولا طائل فيه

(٤) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٣٥٣

وفاته :

اختلف في تحديد سنة وفاته ، كما اختلف في تحديد سنة ولادته .

وأقرب التواريخ لوفاته كان سنة خمسين ومئة ، وأبعدها سنة ست وسبعين ومئة ، وبينهما تاريخان

آخران ولكنهما تقريبيان غير محددتين .

ذكر التاريخ الأول ابن شاعر الكتبي ، فقال في أحداث سنة مئة وخمسين " وفيها توفي إبراهيم

ابن علي بن سلمة الفهري المدني الشاعر المعروف بابن هرمة " . (١)

وقبل هذا التاريخ فريق من الباحثين المحدثين . (٢)

ولم يأخذ بهذا التحديد أكثر القدماء ، بل أثر بعضهم أن يقول " إنه مات بعد الخمسين ، ومئة

تقريباً . قال هذا المصدي . (٣) والسيوطي (٤) وعبد القادر البغدادي (٥) واختاره من المحدثين بروكلمان (٦)

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٦١ : ٣

(٢) من هؤلاء الدكتور عبد العزيز الدوري محقق كتاب (أخبار الدولة العباسية)

حاشية الصفحة ٣٨٠ ، والدكتور علي توفيق الحمد محقق كتاب (الجمل في النحو) للزجاجي حاشية صفحة

٢٧٨ ، والأستاذ محمد عبد الجواد محقق كتاب (المسلسل في غريب اللغة) حاشية الصفحة ٤٩ .

(٣) الوافي بالوفيات ٥٩ : ٦

(٤) شرح شواهد المغني ٦٨٢ : ٢

(٥) خزنة الأدب ١ : ٣٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٥ : ١٥٢

(٦) تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحلیم النجار) ٢ : ٧٠

وذكر ابن المعتز^(١) أنه بقي إلى آخر أيام المنصور .

وذهب الأرنؤلي^(٢) إلى أنه توفي سنة ست وسبعين ومئة . كما ذهب إلى ذلك ابن كثير^(٣) وابن تفرى بردي^(٤)

وإلى ذلك فريق من الباحثين المحدثين .^(٥)

وبدراسة التواريخ الأربعة نجد أن تحديد ابن شاکر لا يستقيم لنا لثلاثة

أسباب .

أولها : أن التاريخ الذي ذكره لم يقل به أحد من المتقدمين ولم يأخذ به أحد من المتأخرين .

وثانيها : أن أبا الفرج الأصفهاني قال في ترجمة ابن هرمة " وأنشد المنصور سنة أربعين ومئة ثم عُمر بعدها مدة طويلة " .^(٦)

وثالثها : أن ابن المعتز ذكر أنه بقي إلى آخر أيام المنصور^(٧) والمنصور توفي سنة ثمان وخمسين ومئة^(٨) .

(١) طبقات الشعراء ٢٠

(٢) الذهب المسبوق ١٢٠

(٣) البداية والنهاية " أحداث سنة ١١٧٦هـ) ١٠ : ١٧٠

(٤) النجوم الزاهرة ٢ : ٨٤

(٥) منهم الدكتور حسين عطوان في كتابه (شعر ابن هرمة القرشي) ص ١٣ ، ومحمد جبار المعبيد في (ديوان ابن هرمة) ص ٢٣ . والدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري في كتابه شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافت حاشيه ص ٦٧٤ .

(٦) الأغاني ٤ : ٣٩٧

(٧) طبقات الشعراء ٢٠

(٨) تاريخ الطبري ٥ : ٢٩٣ (أحداث سنة ١١٥٨هـ) ومروج الذهب ٣ : ٣١٩

(أحداث نفس السنة) . والكامل في التاريخ (لابن الأثير) ٥ : ٤٢

وتولى الخلافة بعده ابنه المهدي^(١) وكان ابن هرمة وفد عليه مع من وفد من أهل المدينة . (٢)

وأما الذين قالوا إنه توفّي بعد الخمسين ومئة فقولهم مطلق غير محدد .

بقي التحديد الرابع ، وهو سنة ست وسبعين ومئة^(٣) ، وهو التاريخ الذي أرجحه لتحديد وفاة ابن

هرمة لسببين :

أولهما : أن كلمة أبي الفرج السابقة^(٤) تقبل هذا التاريخ . فالفرق بين التاريخين^(٥) ست وثلاثون

سنة ، وهو فرق يمكن أن تقبل فيه صفتا التعمير والمدة الطويلة .

وثانيهما : ما ذكره ثعلب رواية عن الأصمعي ، أنه سمع ابن هرمة ينشد الرشيد بلغة تميم . (٦)

فإذا قبلنا سنة ست وسبعين تاريخا لوفاته ، فيكون عمر ابن هرمة - عند ذلك - مائة وستة

أعوام .

أما مكان وفاته ، فقد سكنت عنه الممادر القدسية التي عاصرت ابن هرمة ، والتي تأخرت عنه قليلا ،

وكل الذي ذكروه أنه دفن بالبقيع .

(١) تولى المهدي الخلافة بعد يومين من وفاة أبيه . انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٩٣

والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢

(٢) انظر الخبر كاملا في الأغاني ٤ : ٣٦٠

(٣) أنساب الاشراف (تحقيق . الدوري) ٣ : ٢٧٨

(٤) وهي قوله " ثم عمّر بعدها مدة طويلة "

(٥) وهما سنة ١٧٦هـ - و ١٤٠هـ

(٦) مجالس ثعلب ١ : ٨١

وتفرد السيوطي في تحديد مكان وفاته ، فقال " ومات بقربيا ودفن بالبقيع " (١)

وأحسب أن (قربيا) هذه مصحفة عن (قُريّة) لأني لم أجد في شعر ابن هرمة ولا في كتب البلدان اسم (قربيا) .

أما (قُريّة) فهي قرية ذكرها ابن هرمة في شعر له ، فقال :

انظر لعلك أن ترى بسُوَيْقَةَ أو بالقُريّة دون مفضي عاقل (٢)

والقرية بلدة من نواحي المدينة ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٣) .

وأكاد أميل إلى هذا التحديد في المكان ، وبزيدني ميلا إليه سببان :

أولهما : عبارة السيوطي في تحديد سنة وفاته ومكانها حين قال " ومات بعد الخمسين ومئة ومات بقربيا ودفن بالبقيع " (٤) فتكرار الفعل (مات) دليل على أن (قربيا) اسم مكان لا كلمة مصحفة عن تقريبا .
وثانيهما : ما ذكره بعض المصنفين في تحديد زمن وفاته ، فقالوا " فكانت وفاته بعد الخمسين ومئة تقريبا " (٥)

(١) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٢) ديوان ابن هرمة ١٩٦ ، وسويقة : جبل بين ينبع والمدينة ، وهو اسم مكان آخر بالقرب من السیالة وعاقل : اسم لكل جبل ، وقيل هو رمل بين مكة والمدينة وقيل جبل بنجد . معجم البلدان (قُريّة)

(٣) معجم البلدان (قرية)

(٤) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٥) الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩ ، وخزانة الألب ١ : ٣٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب (البغدادي) ٥ : ١٥٢

ولست أرى وجهاً لـ "تقريباً" هنا لأن الزمان في الرقم قبلها غير محدد على وجه اليقين .

وأرجح أن تكون تقريباً هنا مصحفة عن (قرية) وهي البلدة التي ذكرها ابن هرمة في شعره ، وحددها السيوطي مكاناً لوفاته .

ولم تكن وفاة ابن هرمة هرماً كما يمكن أن يفهم ، لأنه عمر مئة وستة أعوام ، بل كان مرضاً ألم به في أخريات حياته .

ذكر أبو الفرج أن ابن هرمة مدح محمد بن عبدالعزيز^(١) وكان ابن هرمة مريضاً ، فكتب إليه ، وكان آخر ما اكتسبه من شعره^(٢) .

إِنِّي دَعَوْتُكَ إِذَا جُفَيْتُ وَشَفَّنِي
مَرَضٌ تَضَاعَفَنِي شَدِيدُ الْمُشْتَكَا
وَحَبِئْتُ عَنْ طَلَبِ الْمَعِيشَةِ وَارْتَقْتُ
دُونِي الْحَوَائِجَ فِي وَعُورِ الْمُرْتَقَا

ولم يحدد ابن هرمة مرضه في هذه الأبيات ، إلا أنه ألح إلى طبيعة المرض ، وما يسببه من ألم شديد وهزال في الجسم .

ولم يذكر أبو الفرج أيضاً نوع المرض ، غير أنني وقفت في كتاب (التكملة) للمغاني على بيت لابن هرمة يقول فيه .^(٣)

وقول الكاشحين إذا رأوني
أُصِيبُ بَدَأَ يَأْسٍ فَهُوَ مُودِي^(٤)

(١) هو محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف ، كان قاضي المدينة للمنصور : انظر جمهرة أنساب العرب ١٣٤ .

(٢) الأغاني ٤ : ٣٧٤ ، والديوان ٥٤ .

(٣) التكملة (تحقيق : أبي الفضل ابراهيم) ٣ : ٣١٧ ، والديوان ١٠٣ .

(٤) الكاشحون : الأعداء ، ومودٍ : هالك .

وداء اليأس هو مرض السل .

وقال الصغاني معلقا على هذا البيت " إن ابن هرمة أول من أُصيب بالسل من العرب " (١).

فابن هرمة مات بداء السل ، ولست أظن أنه أول من أُصيب به من العرب كما ذهب الصغاني .

وقيل إنه لم يتبع جنازته إلا أربعة نفر يحملونها حتى دفن بالقيع . ذكر هذا مصعب الزبيري (٢) تعقيبا على قول ابن هرمة :

تاركاً إن هلكت من يبكيه

ما أظن الزمان يا أم عمرو

(١) المصدر نفسه ٣: ٣١٧

(٢) الأغاني ٤: ٣٩٧ ، والأياناس بعلم الأنساب ١٩٢

موقفه من الأمويين :

غلب الأمويون على الخلافة بعد مراعات دامية مع علي بن أبي طالب في موقعي الجمـسـل وصفين .

وكان الثأر من قتلة عثمان بن عفان هو الشعار الذي رفعه الأمويون لينتزعوا به الحكم ، ثم تحسّـول طلبهم من الأخذ بالثأر إلى نيل الحكومة . فزعموا أن الخلافة حق من حقوقهم ورثوه عن عثمان بن عفان لأنه نالها بالشورى ثم قُتل مظلوما ، فخرجت منهم وانتقلت إلى غيرهم فقاتلوا حتى استردوها . (١)

وكان الأمويون في صدر الإسلام وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على ألا يخرج الخلافة من قريش ، وكانوا أشد حرمًا على ألا يخرج من بني أمية .

روى المسعودي أنه لما بويع عثمان بن عفان بالخلافة ، دخل عليه أبو سفيان ، ومعه بنو أمية ، فقال " أفیکم أحد من غيرکم ؟ قالوا : لا ؟ قال : یا بني أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه " . (٢)

وأكد بعض الشعراء الموالين لهم هذا الحق ، فقال الفرزوق لعبد الملك بن مروان مقررا أن الخلافة جاءت الأمويين عن طريق عثمان ، وأنهم أحق الناس بوراثته ، لأنهم أهل بيته : (٣)

(١) الأمويون والخلافة ١٣

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٢ ، والشعراء . من مخضرمي الدولتين ٢٢

(٣) ديوان الفرزوق ١: ٢٥ وانظر ديوانه أيضا ١: ٢٥ ، ٢: ٩ ، ٢١٠

والأمويون والخلافة ١٤، ١٥

تراث عثمان كانوا الأولياء له

سربال ملك عليهم غير مملوب

ولم يتكى الأمويون على هذه النظرية ، لأن أقصى ما سيحصلون عليه هو المطالبة بقتلة عثمان ثم قتلهم .

وحاولوا إثبات حقهم عن طريق آخر ، ظنوا أنه أقوى في الدليل من سابقه ، فتقربوا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " بقربى العصبية ، فالأمويون والهاشميون أبناء عمومة ينتمون إلى عبد شمس ، وينحدرون جميعا من عبد مناف بن قصي .

وأخذ بعض الشعراء بهذه النظرية ، منهم الفرزدق الذي خاطب سليمان بن عبد الملك بقوله : (١)

ورثتم قناة الملك غير كلاله

عن ابن مناف عبد شمس وهاشم

ومرح به ، أيضا ، في مخاطبته لمعاوية بن هشام بن عبد الملك بقوله : (٢)

ورثوا تراث محمد كانوا به أولى وكان لهم من الأقسام

ويبدو أن الأمويين روجوا لهذا الادعاء ، فقد حدث عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال " دخل علي أبي العباس مشيخة من أهل الشام ، فقالوا : والله ما علمنا أن لرسول الله " صلى الله عليه وسلم " قرابة يرثونه إلا بني أمية حتى وليتم " (٣)

(١) ديوان الفرزدق ٢: ٣٠٩

(٢) المصدر نفسه ٢: ٢٨٣ والأُمويون والخلافة ١٨

(٣) أنساب الأشراف ٣: ١٥٩ ومروج الذهب ٣: ٤٣

وقد شك الدكتور حسين عطوان في هذا الخبر فقال " وقد يكون الخبر مما وضع على الأمويين للتشجيع عليهم والتشهير بهم بعد سقوط دولتهم ". (١)

ويُحتمل أن يكون أشياخ أهل الشام قالوه ليتنصلوا من مولاتهم للأمويين بسبب خوفهم من العباسيين إلا أنه عذر لا يثبت ، فهم يعلمون أن العباس هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الإسلام وحسن إسلامه وهو أولى الناس به . (٢)

ولئن صح أن يكون الأمويون ذهبوا هذا المذهب في تأييد حقهم في الحكم ، فإن ادعاءهم هذا لا يشكل لهم نظرية مميزة في الخلافة ، فالهاشميون والعباسيون أكثر قرابة لرسول الله فهم أسباطه وأبنائه عمومته . (٣)

من أجل ذلك مال الأمويون إلى مذهب الجبر في الخلافة (٤) وكان زياد بن أبيه أول من بشر به منهم ، فهو يقول في خطبته البتراء لأهل البصرة سنة خمس وأربعين " أيها الناس ، إنا أمبنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ، تسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بغي ، الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ". (٥)

(١) الأمويين والخلافة ١٧

(٢) ارجع إلى كتاب الدكتور حسين عطوان (الدعوة العباسية : تاريخ وتطور ص ٨٧ ، ومابعدها ففيه تفصيلات عن مواقف العباس بن عبدالمطلب في الإسلام ، وأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنوّه به .

(٣) انظر : الأمويون والخلافة ١٧ ومابعدها

(٤) السيادة العربية ٧١ ، والأمويون والخلافة ١٩

(٥) البيان والتبيين ٤٩:٢ ، وتاريخ الطبرى ٥:٢٢٠ ، جمهرة خطب العرب ٢:٢٧٣ ، والأمويون والخلافة ٢٥

وكان يزيد بن معاوية يقول بهذه النظرية ، فقد بعث بكتاب إلى عامل المدينة بعد وفاة أبيه يصـرّح فيه بأن الله اصطفى أباه ثم اصطفاه من بعده لولاية المسلمين ، قال فيـه :
" إن معاوية بن أبي سفيان كان عبدا من عبيد الله أكرمه ، واستخلفه ، وخوّله ، ومكّن له ٠٠٠ وقد قلّدنا الله عز وجل ما كان إليه " . (١)

ويقول الدكتور حسين عطوان " إنه لم يخرج أحد من الخلفاء الأمويين على نظرية الجبر في الخلافة إلا يزيد بن الوليد بن عبد الملك فإنه دعا إلى أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين ٠٠٠ ثم قصر عن تطبيقه لأن الأوضاع السياسية في أيامه كانت مضطربة اضطرابا شديدا " . (٢)

واستجاب الشعراء^(٣) الموالون للأمويين لهذه النظرية ، واتخذوها أساسا ليدافعوا عن حقهم في الخلافة فصاروا يدعون أن الخليفة ظل الله في الأرض ، وأنه حاز الخلافة لأن الله ساقها إليه واصطفاه من بين خلقه .

وحاول الخلفاء الأمويون أن يعلّلوا اصطفاء الله لهم ، فجعلوا ذلك لسببين :

أولهما : إسلامي يتمثل في صحة عقيدتهم وحسن سيرتهم .

وثانيهما : عربي يتمثل في صراحة أنسابهم وأصالتها ، وتبّل أخلاقهم وعفتها ، ومعنى هذا أن نظرية الأمويين في الخلافة كانت مزاجا من الأفكار الإسلامية والأعراف العربيّة^(٤) .

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٤ ، والأمويون والخلافة ٢٦

(٢) الأمويون والخلافة حاشية ص ٢٦٠ . وانظر الفصل الأخير من الكتاب نفسه .

(٣) انظر مثلا: ديوان الأخطل ٢٤، ٢٣ وديوان جرير ١: ٧٠ ، ٥٩، ٢٩٥، ٢٢٠ وديوان الفرزدق ١: ٢٤، ٢٥ و ٢: ٨٩

١٤٧، ٢١٠ وشعر الأحوص ١٧٣ ، ١٩٣ . والأمويون والخلافة ص ٣٠٠ فما بعدها

(٤) انظر : الأمويون والخلافة ٤٥

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة في العصر الأموي إلا أبيات قالها في الوليد بن يزيد
وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك .

وقد علل الدكتور عطوان سبب اختفاء كثير من أشعار الشعراء الذين قضوا الشطر الأكبر من
حياتهم في العصر الأموي وعرفوا بولائهم للأمويين بسببين اثنين :
أولهما : تكتم الشعراء أنفسهم على أشعارهم السياسية أشد التكتم ، وحرصهم على إخفائها أكبر الحرص ،
كما ابتعدوا عن العباسيين في أيامهم الأولى وانزوا عنهم حتى لا يراجعوهم فيها ولا يحاسبوهم عليها ،
فإنهم كانوا يعلمون علاقاتهم بالأمويين علما دقيقا ، يُخيل معه أن العباسيين كانوا يراقبونهم
ويرصدون كل حركاتهم وسكناتهم فليس من شاعر وفد عليهم بعد نجاح ثورتهم وقيام دولتهم إلا سألوه
عن ماضيه السياسي وكشفوا له عنه وعنّفوه وهدّدوه به " (١) .

وثانيهما : " إسقاط الرواة المتعممين للعلويين والعباسيين لغير قليل من قصائد الشعراء من مخزومي
الدولتين إسقاطا مقصودا ابتغوا فيه التعفية على آثار الأمويين وطمس كل شعر فيه تخليد لهم
أو ثناء عليهم ، ويتضح ذلك في إعراض أبي الفرج الأصفهاني وابن المعتز عن إثبات كثير من أشعار
هؤلاء الشعراء " (٢) .

وقد يضاف إليهما سبب ثالث وهو ضياع كثير من التراث العربي في تلك الفترة
والفترات التالية .

(١) الشعراء من مخزومي الدولتين ٣٥

(٢) المرجع نفسه ٣٦

ولئن كان السببان الأولان ينطبقان على ضياع كثير من أشعار الشعراء الموالين للأُمويين ، فإنهم ما أشد انطباقا وصدقا على ضياع شعر ابن هرمة . إذ لم يصل إلينا من شعره فيهم إلا بيتان قالهما في الوليد ابن يزيد وبضع وثلاثون بيتا في عبد الواحد بن سليمان والي المدينة لمروان بن محمد ، على الرغم من أنه ارتبط بهما طويلا وأجازاه .

وما وصل إلينا من شعره يبيِّن أنه كان يتمثل نظريتهم في الخِلافة ، تلك التي قيل فيها إنها كانت تقوم على أساسين أحدهما إسلامي والآخر عربي .

أما الأساس الإسلامي فتمثل في إضفاء الصفات والألقاب الدينية على الخليفة ، فقد قال في الوليد ابن يزيد إنه (خليفة حق) وبأنه (دافع عن قناة الدين) وأصلح أمور الناس بعد أن كانت فوضى (١) وكانت أمور الناس منبته القوي

فشدّ الوليد حين قام نظامها

(خليفة حق) لا خليفة باطل

رعى عن قناة الدين حتى أقامها .

ويبدو أن الصورة التي رسمها ابن هرمة للوليد بن يزيد تخالف الصورة التي رسمها له المؤرخون فقد جعلوا سيرته خليفة منحلّة ، وحكموا عليه بهذا الانحلال ، حتى إن بعض الباحثين لم يقبلوا قول ابن هرمة فيه ، من أن الوليد دافع عن قناة الدين حتى أقامها ، منهم الدكتور مصطفى الشكعة الذي قال

(١) الاغانى ٤: ٣٩٦

والديوان ٢١١

معلقاً على هذين البيتين " أما أن يكون الوليد قد دافع عن قناة الدين حتى أقامها حسبما قال ابن هرمة ، فلعل ذلك آخر شيء يمكن أن نُصدقه ، ونحن نعرف تاريخ الوليد " . (١)

ويقف الدكتور حسين عطوان موقفاً مغايراً لرأي الدكتور الشكعة فيقول " وأكبر الظن أن المؤرخين عيشوا بأخباره ومدّوا في غيها ومجونها ، وزادوا في ضلالها وانحرافها ، وقد اغراهم بتزييفها في العصر الأموي هشام بن عبد الملك ، فإنه كان يطمع في عزله عن ولاية العهد والبيعة لابنه مسلمة ، فلما أبى الوليد أن يخلع نفسه ويباع لمسلمة ، ورفض أن يكون الخليفة بعده ، تنكر له هشام ، وأضرّ به ، وتنقصه ، وذمّ أصحابه وزيّن لهم إفسادها في العصر العباسي تشجيع العباسيين لهم بتحريف تاريخ الأمويين فوجدوا في حريته الفكرية والعملية الوسيلة إلى التشهير به والقدح فيه فجعلوه خليع بني مروان " . (٢)

ولم تقف استجابة ابن هرمة لنظرية الأمويين عند حدود الألقاب والصفات الدينية ، فقد تجاوزها إلى صفات العروبة من شرف الأصل وعراقة الحسب وسعة الجود ، وكرم الأخلاق والإقدام والشجاعة عنسـد اللقاء ، فقال يذكر عبد الواحد بن سليمان مشيداً بشرف أصله : (٣)

أبوك غداة المرح أو رثك العُلا

وخاض الوغى إذ سأل بالموت رهطه

وكان أمراً أخواض كل كريبه

وفردى حروب يوم شر يفالطه (٤)

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ٨٨ ، وانظر ملاحظة (المعبيد) في حاشية الصفحة ٢١١ من الديوان حيث يجعل هذين البيتين في يزيد بن الوليد لا الوليد بن يزيد بشهرة الأول بالورع والتقوى وشهرة الثاني بالمجون والفسق .

(٢) الشعراء من مخزومي الدولتين ٤٧، ٤٨ ، وللدكتور عطوان كتاب بعنوان (الوليد بن يزيد : عرض ونقد)

(٣) العباب الزاخر (حرف الفاء) ١٥٤ والديوان ١٣٩

(٤) الفِلاط (بلغة هذيل) المفاجأة ويقال لقبته فلاطاً أي مفاجأة .

وذكر عراقه حسبه ، فقال : (١)

تحلّ الوقود بأبوابه
فتلقى الغنى قبل ارتاجها (٢)
إلى دار ذي حسب ماجد
حمول المغارم فراجها

وأثنى على كرمه وجوده في قوله : (٣)

يكاد بابك من جود ومن كرم

من دون بوابه للناس يندلق (٤)

وأشاد بحسن خلقه فقال : (٥)

لكن بمدنين من مفضى سويمرة

من لاينم ولايشنا له خلق (٥)

أهل المدائن تأتيه فتمدحُه

والمادحون إذا قالوا له صدقوا

(١) الأغاني ٦: ١١٢ ، والديوان ٨٥

(٢) الارتاج : الإغلاق

(٣) الأغاني ٦: ١٥٣ ، والديوان ١٥٦

(٤) يندلق : ينفثح سريعا

(٥) الأغاني ٦: ١٠٣ ، والديوان ١٥٧

(٦) مدّين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل

وسويمرة : موضع في نواحي المدينة - انظر (معجم البلدان) : (مدين) و (سويمرة).

وأعجب بشجاعته وإقدامه في الحروب في قصيدتين ، قال في الأولى : (١)

لايستقر ولا تخفى علامته

إذا القنا شال في أطرافها الحرق (٢)

في يوم لامال عند المرء ينفعه

إلا السنان وإلا الرمح والدرق (٣)

يطعن بالرمح أحيانا ويضربهم

بالسيف ثم يدانيهم فينعتق

وقال في الثانية : (٤)

لمعتز (فهر) ومحتاجها (٥)

إذا قيل من خير من يرتجى

بالجامها ثم أسراجها

ومن يعجل الخيل يوم الوغى

إليك به قبل أزواجها

أشارت نساء بني مالك

ويُحتمل أن يكون لابن هرمة أبيات فيها تأييده السياسي لبني أمية غير أن أبياته لم تصل إلينا . يرجح

هذا الظن نقمة العباسيين عليه وتتبعهم له ، فقد ظلوا يتفجرون غيظا كلما التقوا بابن هرمة" . (٦)

(١) الأغاني ٦: ١٠٣ والديوان ١٥٨

(٢) شال : ارتفع . والخرق : لهب النار

(٣) الدرق : القوس

(٤) أنساب الأشراف ٣: ٢٢٥ والأغاني ٦: ١١١

(٥) المعتر : الفقير المتعرض للمعروف من غير أن يسأل

(٦) الشعراء من مخزومي الدولتين ٦١

ويظهر سخط العباسيين عليه ما قاله المنصور له يوم بنى بغداد ، وكتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هم فكان فيمن وفد عليه ابن هرمة ، وكان آخر من أنشد ، فقيل للمنصور : هذا ابن هرمة ، فقال " لامرحبا ، ولا أهلا ولا أنعم الله به علينا " . (١)

ولما مدحه ابن هرمة بأبياته المشهورة^(٢) أمرسه بألف دينار فكلمه فيه المهدي ، واستقلها ، فقال له المنصور " يابني لو رأيت هذا بحيث رأيتك وهو واقف بين يدي عبدالواحد بن سليمان ينشده :
وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح^(٣)

لاستكفرت ما استقلته ، ولرأيت حياته بعد ذلك ربح كثير . والله يابني ، ما هممت له منذ يومئذ بخير ، فذكرت قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده ، وحتى أهدم بقتله ثم أعفو عنه ، فأمسك المهدي " . (٤)

وظل المنصور يحقد عليه ويراقبه من أجل موافقه من بني أمية ، من ذلك أنه وجه رسولا قاصدا ابنا هرمة ، ودفع إليه ألف دينار وخلعة ، وقال للرسول " امض إليه وانتسب لبني أمية أو مواليهم ، وسلّمه أن ينشدك قصيدته الحاثية^(٥) في عبد الواحد ، فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئتسي برأسه " . (٦)

(١) تاريخ بغداد ٦: ١٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٢: ٢٤٠

(٢) وهي قوله :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل البيت

(٣) الأغاني ٦: ١٠٦ والديوان ٨٧

(٤) الأغاني ٦: ١١٣ ، وهناك رواية أخرى للخبر في البيان والتبيين ٣: ٣٧٢

(٥) ومنها :

وجدنا غالبا كانت جناحا البيت

ولم يبق ابن هرمة على وفائه للأمويين بعد سقوط دولتهم ، بل إنه تنكر لهم وهجاهم هجاء مُرّاً ، من ذلك أنه حين أقبل دواد بن علي من مكة إلى المدينة ، ومعه بنوحسن جميعا ، فعُمل لداود مجلس (بالرواية^(١)) فجلس عليه هو والهاشميون ، وجلس الأمويون تحتهم ، فأنشده ابن هرمة قصيدة يقول فيها :

فلا عفا لله عن مروان مظلمة
ولا أمية بئس المجلس النادي
كانوا كعادٍ فأسى الله أهلكتهم
بمثل ما أهلك الغاويين من عادٍ
فلن يكذبني من هاشم أحدٌ
فيما أقول ولو أكثرت تعدادي

فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل بعض الأمويين (٢)

ولم يكن ابن هرمة الوحيد الذي تقلب في مواقفه منهم ، فقد عد الدكتور عطوان عددا من الشعراء غيره منهم حفص الأموي وأبو نخيلة وأبو العطاء السندي (٣)

(١) الرواية : موضع علي بعد ليلة من المدينة

(٢) انظر الأغاني ٤: ٣٤٧

(٣) الشعراء من مخزومي الدولتين ٦٨ وما بعدها

وكان يُظنُّ أن السبب في تغير مواقف بعض الشعراء من بني أمية وقلة وفائهم لهم بعد سقوط دولتهم إلى ضعف نظريتهم الدينية والسياسية في الحكم (١).

والموآب أن السبب يرجع إلى سياسة العباسيين في تتبع بني أمية والفتك بهم (٥) وتعقيبهم للشعراء الموالين لهم والتشديد عليهم .

(١) انظر في ذلك (اتجاهات الشعر في القرن الثاني) ٣٩١

(٢) انظر في ذلك الفصل الذي عقده الدكتور عطوان في كتابه (الدعوة العباسية تاريخ وتطور ص ٣٩٩

بعنوان (استعمال العباسيين للأمويين) .

موقفه من العباسيين :

تدل الروايات التي أثبتتها بعض المؤرخين على أن العباسيين كانوا يطمعون في تولي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله ، حريصاً على ألا تخرج الخلافة من بني هاشم ، فكان يسعى لعليّ فيها حتى تستقر فيهم ، ولا تخرج إلى غيرهم .

وتشير الروايات ، أيضاً ، إلى أن العباس هم بمبايعة عليّ بعد وفاة رسول الله ، قائلاً :
" أبسط يدك فلنبايعك " .^(١) وتدل ، أيضاً ، إلى أنه تخلّف عن مبايعة أبي بكر :^(٢)

وحاول العباسيون ، أثناء وبعد نجاح ثورتهم ، أن يقرروا أن الخلافة كان ينبغي أن تكون للعباس عسماً رسول الله ، ولكنهم أبعدها عنها .

واعتمدوا في إثبات ذلك على أساسين اثنين :

أولهما : أن النبي تنبأ أن تكون الخلافة فيهم من بعده ، بل إنهم زعموا أن الرسول صرح بأن يكون العباس وصياً على الأمر من بعده ورووا في ذلك أحاديث جمعها وأحاط بها الدكتور حسين عطوان^(٣) منها ما أخرجه ابن عساکر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس " فيكم النبوة والمملكة " .^(٤) وأخرجه البغدادي عن طريق عبد الله بن عباس بلفظ آخر ، قال قال العباس : " يا رسول الله مالنا في هذا الأمر ، قال : لي النبوة ولكم الخلافة . بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم " .^(٥)

(١) تاريخ ابن عساکر ٧ : ٢٤٨ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٦

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٦

(٣) انظر الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ص ٩٨ وما بعدها

(٤) تهذيب ابن عساکر ٧ : ٢٤٦ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٩

(٥) تهذيب ابن عساکر ٧ : ٢٤٦ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٩

بل إنهم رَوَوْا أحاديث زعموا فيها أن الرسول نص على أن العباس وصيه من بعده ووَارثه في الأمر، من ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن طريق الخطيب البغدادي عن أبي جعفر المنصور عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " العباس وصيّي ووارثي ". (١)

وشكّ الدكتور عطوان في صحة هذه الأحاديث وقال "إنها أحاديث وأخبار ملفّقة مختلقة، صنع علماء بني العباس أقلّها في المرحلة السريّة من دعوتهم، وصنعوا أكثرها بعد قيام دولتهم". (٢)

وأتى الدكتور عطوان بأدلة على شكّه فيها وأنها مَوْلدة توليدا، لأنه ليس لهذه الأحاديث والأخبار أمل في كتب الأحاديث الصحيحة. (٣)

وثانيهما: أساس شرعي. فالعباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو وارثه الحقيقي، وهو أولى من حفده النبي من أبناء فاطمة، يريدون بذلك أن يبعدوا العلويين عن مطالبتهم بها.

أما الأساس الأول القائم على مبدأ النص في الإمامة والحكم، فيقال إن العباسيين اعتمدوا في تقرير حقّهم في الخلافة على وصية أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، المتوفى سنة ثمان وتسعين للهجرة، لمحمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتت من جهته إلى أيام أبي جعفر المنصور.

(١) تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٤٣، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٠٠

(٢) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ص ١٠٧ وما بعدها

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٠٧ وما بعدها.

قال الأشعري " الفرقة التاسعة من الرافضة وهي الثامنسة من الكيسانية يزعمون أن الإمام ، بعد أبي هاشم ، محمد بن عبدالله بن العباس . قالوا : وذلك أن أبا هاشم مات بأرض الشراة منصرفه من الشام ، فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وأوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس ، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض . (١)

وأورد الدكتور عطوان مزيدا من التفصيل عن وصية أبي هاشم لمحمد بن علي فقال " وكان محمد بن علي وثيق الصلة بأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . . . ويقال إنه كان من تلاميذه ، فقد ذكر ابن عساکر أن أباه أرسله إليه فتعلم عليه بالمدينة ، وكان أبو هاشم قدّم على سليمان بن عبدالملك بدمشق فأكرمه وأجازه ، وسار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز ، فمرض في الطريق ، وأحس بالموت ، ولم يكن له ولد ، فعبدل إلى الحميمة ونزل على محمد بن علي وأوصى له بالإمامة" . (٢)

ويقال إن العباسيين سوّعوا حقهم في الخلافة على وصية أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وذلك أثناء الدعوة السرية ثم ادّعوا أن الخلافة جاءت بني العباس عن طريق جدهم العباس بن عبد المطلب وذلك بعد قيام دولتهم . وأشاعوا أن الرسول أوصى له . قال الأشعري " ثم رجع هؤلاء عن هذا القول (٣) وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على العباس بن عبد المطلب ، ونصّبته إماما .

(١) مقالات الاسلاميين ٩٢:١ والملك والنحل ١:١٢٤

(٢) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٦٦ . وانظر الشعراء من مخزومي الدولتين ص ٨٠

(٣) أن الوصية أتتهم عن طريق أبي هاشم

ثم نصّ العباس على إمامة ابنه عبدالله ، ونصّ عبدالله على إمامة ابنه علي بن عبدالله ثم ساقسوا الإمامة إلى أن انتهوا إلى أبي جعفر المنصور وهؤلاء الراوندية " (١)

ويبدو أن العباسيين روجوا لهذه الطريق في الوصية وأذا عوا بين الناس أن الخلافة وزئوها عن جدهم العباس بن عبد المطلب لأنه عم الرسول وهو أحق الناس بوراثته . قال صاحب أخبار الدولة العباسية " كان تشيع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية ، وإلى ذلك دعا أبو مسلم حتى كان زمان المهدي ، فردّهم المهدي إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب ، وقال لهم " إن الإمامة كانت للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان أولى الناس به ، وأقربهم إليه ثم من بعده عبدالله بن العباس ثم من بعده علي بن عبدالله ، ثم من بعده محمد بن علي ، ثم من بعده إبراهيم بن محمد ، ثم أبو العباس ، ثم أبو جعفر ثم المهدي ثم مدها في ولد المهدي " (٢)

وظل العباسيون يؤكدون حقهم في الخلافة عن طريق الوصية والوراثة ، وكانوا يطلبون من ولائتهم وعلمائهم ونقبائهم أثناء الدعوة ومن شعرائهم بعد نجاح الثورة أن يزيّنوا للناس حقهم في الإمامة ووراثة الخلافة .

واستجاب أولئك النفر لرغبة العباسيين ، فصار النقباء يبتئونها في لقاءاتهم مع أنصارهم ، مسن ذلك ما فعله خالد بن إبراهيم الربيعي أحد النقباء ، حين أخبر أن أبا مسلم قدّم إلى خراسان ليتسلم قيادة شيعة بني العباس فيها ، فأبى ذلك عليه سليمان بن كثير الخزازي ، وردّ أبا مسلم عنها ، ولم يكسرت لكتاب الإمام إبراهيم بن محمد إليهم بترئيسه عليهم ، فجمع خالد النقباء وناقشهم وسوّغ تولية الإمام إبراهيم لأبي مسلم عليهم قائلًا لهم " فهل فيكم أحد بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عترة النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : لا ، قال : اقتشكون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث الرسول صلى الله عليه وسلم " (٣)

(١) مقالات الإسلاميين ١: ٩٤ ومروج الذهب ٣: ٢٥٢ وأنساب الأشراف ٣: ٢٣٥ والدعوة العباسية

(تاريخ وتطور) ١٦٩

(٢) أخبار الدولة العباسية ١٦٥ وانظر : الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٧٠

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٠: ٢٠٧ والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٢٥٨

وتمثل الشعراء الموالون للعباسيين نظريتهم في الخلافة واستجابوا لها ودعوا إليها ، وأيدوها
في أشعارهم ، منهم بشار بن برد الذي قدم على سليمان بن داود أثناء ولاية أبيه على الكوفة زمن أبي
العباس السفاح فمدحه مشيراً إلى حقهم في الخلافة بقوله: (٢)

قل للغواة الطالبي شأوهم لا يدركُ الریحُ المجاميرُ
للملكِ عباسٍ وأبنائِهِ قَدَمَا وللحشِّ الخنازيرُ (٢)

ومنهم ابن ميادة حين مدح جعفر بن سليمان بن عليّ مشيراً إلى حق قومه العباسيين في الإمامة لأنهم
أحفاد العباس بن عبد المطلب عم النبي وواژه: (٣)

أنت الذي أَحْيَيْتَ بَنِيَّ النَّدَى
وقد كان مات فلا يذكُرُ
سليلاً عَبَّاسٍ وَلِيَّ الهُنْدَى
ومن به في المحلِ يَسْتَوَطِرُ

واستجاب ابن هرمة لنظرية العباسيين في الخلافة أشد الاستجابة ، وتمثلها أشد التمثل ، فبشعره الذي
بين أيدينا يصرح بها ويلج عليها ، بل إنه ذكر العباس بن عبد المطلب ، وفضله في الجاهلية ليرفع من شأنه ،
ويجعله أهلاً للخلافة والزعامة لما توافرت فيه من صفات الرئاسة ، فقد كان يمنع الجار ويبذل المال ويعطى

(١) ديوان بشار ٣: ١٩٧ وانظر الشعراء: من مخزومي الدولتين ١٠٠

(٢) الحش : مكان قضاء الحاجة

(٣) الأغاني ٢: ٣٣١ والشعراء من مخزومي الدولتين ١١٢

على النواصب ، وفيه يقول : (١)

وكانت لعباس ثلاث تُعَدُّها
فلسمة تُنهي الظلوم وجفنه
إذا ماجناب الناس أصبح أشهباً (٢)
تُبَاحُ فيكسوها السنامَ المرعباً (٣)
لعار ضريك ثوبه قد تهبباً (٤)
وحلة عصب ماتزال مُعَدَّةً

وأشار ابن هرمة إلى الشرف الذي كان يتمتع به العباس في الجاهلية ، وظل له في الإسلام ، وهو سقاية
الحجاج في المسجد الحرام : (٥)

لكم سقايتها قدما وندوتها
قد حازها والد منكم لمولود (٦)

ولم يقف ابن هرمة في ثنائه على العباس عند تلك الصفات بل إنه بالغ فيها وتجاوزها إلى حد أنه زعم
أن العباس قد ورث الحق الديني في الخلافة من ثلاثة أنبياء ، وأحسب أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام
وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

(١) الديوان ٥٧

(٢) جناب الناس : هو ماحولهم من الخصب ، وأشهباً : صار أبيض من الجذب لا يرى فيه خضرة .

(٣) المرعب : المقلع . يعان : سنام مرعب : إذا لا ينقطع .

(٤) حلة العصب : ضرب من البرود . والضريك : الفقير . وتهبب الثوب : إذا بلي .

(٥) الديوان ١٠٢

(٦) السقاية : ماكانت قريش تسقيه الحجاج ، وكان العباس يتولاهما في الجاهلية والإسلام .

والندوة : دار الندوة .

فقال: (١)

وقد ورث العباس قبل (محمد) نبيين حلابن مكة أحقبا (٢)

وأخذ ابن هرمة بنظرية العباسيين في الخلافة والحكم فأشار إلى أن العباس بن عبد المطلب هو الذي بنى لأبنائه من العباسيين هذا العز التالزم ، فأوصى لابنه عبدالله بن عباس من بعده ، فشد عبدالله أركانه ثم أوصى بالأمر من بعده لابنه علي بن عبدالله ، فزاد علي في صونه وحفظه ، ثم أوصى بالأمر لابنه محمدا بن علي الذي أوصى من بعده لابنه إبراهيم بن محمد (الإمام) .

ذكر هذا ابن هرمة حين مدح الإمام إبراهيم يوم قدم الأخير المدينة حاجا ، فأتاه الناس إلا ابن هرمة فسأل عنه ، فقيل له : إنه متوارٍ من الدين ، فأرسل إليه ، فأتاه فأنشده قصيدة منها قوله : (٣)

بنى لك (عباس) من المجد غايةً	إلى عزّ قديموس من المجد أُميدا (٤)
وشيدَ (عبدالله) أركانَ مثلها	وشدَّ بأطنابِ العلا فتشيدنا
وشدَّ (علي) في يديه بعسرةٍ	وحبلين من مجدٍ أغيرا فأحصدا (٥)
فكم من علاءٍ أو علاقدٍ ورثتها	بأحسن ميراثٍ أباك (محمدا)

وشك الدكتور عطوان أن يكون اختفاء ابن هرمة عن الإمام إبراهيم بسبب الدين ، وذهب إلى أنه

(١) الديوان ٥٧

(٢) الأحقب : جمع حقب : وهي ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك .

(٣) الديوان ٢٣٧

(٤) القديموس : القديم

(٥) أغار الحبل : فتله .

وأحمده : أحكم فتله وشده

كان متخوفاً من عاقبة الوفود عليه . (١)

وقد يكون هذا هو السبب في احتجابه عنه ، لأن الأمر لم يستتب بعد للعباسيين ، ولذا كان ابن هرمة متحرّجاً من القدوم عليه .

ومما يقوّي رأي الدكتور عطوان أن ابن هرمة لم يذكر في الأبيات السابقة مطالبة إبراهيم بن محمد (الإمام) بالخلافة ، ولاحق العباسيين فيها ، وإنما جعل مديحه له مديحا وسطا فيه الجانب التقليدي للمديح ، وفيه الإشارة الخفية لتسلسل الأمر من جدّه العباس حتى وصل الأمر إليه .

وما إن يتم الأمر للعباسيين ويجهر أبو العباس السفاح بإعلان الدعوة بعد مقتل الإمام إبراهيم في سجن مروان بن محمد حتى قال ابن هرمة يرثي الإمام إبراهيم ويمدح أبا العباس السفاح ذاكرا حقهم في الخلافة ونظريتهم في الحكم ، مشيرا إلى أن العباس بن عبدالمطلب وصيّ رسول الله ووارثه الحقيقي في الأمر من بعده ، لأنه ابن أخيه ، ثم انتقل الأمر من بعده إلى أبنائه حتى وصل أبا العباس السفاح الذي أخذه عن أخيه إبراهيم : (٢)

أتاني وأهلي باللوى فوق (مشعر)
وقد زجر الليل النجوم فبولت
وفاة (ابن عباس) وصي (محمد)
فأبت فراشي حسرة ماتجلست
أ (مروان) أولى بالخلافة منكم
أصيبت إن يمني يدي فثلست

(١) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٩٥

(٢) الديوان ٦٩

وأنتم بنو عم النبي ورهطه
فقد سئمت نفسي الحياة وملت
وقد كان (إبراهيم) مولى خلافة
بها خضعت صعب الرقاب وذلّت
وأوصى لعبدالله بالعهد بعده
خلافة حق لا أمانتي ضللت (١)

وظل ابن هرمة يصرّح بنظرية (الوصية) في خلافة العباسيين من ذلك ما قاله لعيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبدالله بن العباس بعد أن قضى على ثورة محمد بن عبدالله (النفس الزكية) حين خرج على المنصور : (٢)

أنتك الرواحل والملجمات . بعيسى بن موسى فلا تعجل
وقال لي الناس إن الحباء . أتاك مع الملك المقبل
فدونكها يا ابن ساقى الجحيم . فاتي بها عنك لم أبخل
أبوك الوصي وانت ابنه . وصي نبي الهدى المرسل

وتناول ابن هرمة مبدأ (الوراثة) في الحكم ، فقال يمدح المنصور بعد تغلبه على النفس الزكية : (٣)

غلبت على الخلافة من تمنى
ومناه المخل بها الضالول
فأهلك نفسه سفها وجبناً
ولم يقسم له منها فتيل
تراث محمد لكم وكنتم
أصول الحق إذ نفي الأصول

(١) عبدالله : هو أبو العباس السفاح أخو الإمام إبراهيم بن محمد

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ٢٨٠

(٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٦٢ والديوان ١٧٣

ويبدو أن العباسيين أخذوا بمذهب الجبر ، وتمسكوا به لتأييد حقهم في الخلافة ، لأنهم أدركوا أن نظرية الوراثة قد تُقبل في الأمور المادية ، ولكنها لا تُقبل في الحكم ، وأن فقهاء المسلمين لن يفوتهم ذلك . وبالفعل فقد سخر ابن حزم سخريّة لادّعة من نظرية العباسيين في وراثة الخلافة ، وهدمها بقوله " وهذا ليس بشيء لأن ميراث العباس لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات أنها تورث " . (١)

وكان أبو جعفر المنصور أول من نادى بهذا المذهب وأخذ به ، فقال في خطبته بمكة بعد انتمساره على (النفس الزكية) " أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ، وحارسه على ماله ، أعجل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله قفلاً إذا شاء أن يفتحنني لإعطائكم وقسم أرزاقكم ، وإذا شاء أن يُقفلني عليها أقفلني " . (٢)

وقد لفت المنصور أنظار الشعراء للأخذ بهذا المذهب حين اجتمعوا ببابه ، فقال لهم " من مدحني منكم فلا يمغني بالأسد ، فإنما هو كلب من الكلاب ، ولا بالحيّة فإنما هي دُويبة منتنة تأكل السراب ، ولا بالجبل ، فإنما هو حجر أضم ، ولا بالبحر فإنما هو عظام مطبوخة الجب ، ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في شعره فليصرف " . (٤)

(١) الفصل في العلل والأهواء والنحل ٤: ٩١ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٩٤

(٢) العقد الفريد ٤: ٩٩ ، وتاريخ الطبري ٨: ٨٩ -

(٣) العظامط : العظیم الأمواج

(٤) العقد الفريد ١: ٣٢٠ والشعراء من مخضرمي الدولتين ١٠٣

وقد وضح الدكتور حسين عطوان الأساس الذي يقوم عليه مذهب الجبر ، وهو ادعاء الخلفاء " أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك ، وأنهم يحكمون بإرادته ويتصرفون بمشيئته". (١)

ولابد أن يكون لاختيار الله لهم من سائر خلقه أسباب هي عندهم على نوعين : أحدهما : يقوم على إسباغ الصفات الإسلامية والألقاب الدينية ، والتنويه بها والنفخ فيها والتهويل لها ، والآخـر يقوم على ذكر الصفات العربية المتمثلة في أنهم أشرف العرب أصلاً وأعرقهم حساباً وأمضاهم هممة ، وأطولهم صبراً ، وأكثرهم حلماً وأوسعهم جوداً . (٢)

واستجاب الشعراء لرغبة العباسيين ، ووقف ابن هرمة في مصانف الشعراء الذين قالوا بمذهب الجبر ، وكان ممن استجاب له استجابة سريعة ، ذلك أن حياته مع الأمويين أكسبته خبرة في تناول هذه الموضوعات ولذلك فإنه حين اشترط المنصور على الشعراء أن يصفوه بالصفات السياسية انسحب كثير منهم وبقى ابن هرمة .

وقال ابن هرمة يخاطب المنصور مؤكداً أن الخلافة حق له منحه الله إياه : (٣)
وما الناس أعطوك الخلافة عنوةً
ولكنه من يعله الله يستعلي

(١) الأمويون والخلافة ١٩

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٣٩ وما بعدها

(٣) الديوان ١٩٠

وله في المعنى نفسه: (١)

وما الناس اختبوك بها ولكن

حباك بملك الملك الجليل

ومن الألقاب الدينية التي أضفاها ابن هرمة على الخلفاء منهم لقب (أمير المؤمنين) فقال

يثنى على منيع المنصور حين ولي جعفر بن سليمان بن علي المدينة: (٢)

وإن أمير المؤمنين برأفةٍ علينا وخصيماه أمر جعفرا
وثقنا بخير منك لاخر بعده فأسهل منا آمنا من توغرا

وقوله أيضا: (٣)

إليك أمير المؤمنين تجاوزت

بنا بيد أجواز الفلاة الرواحل

وخاطبهم بلقب (الخلافة) تهنئة لهم وتبريكا ، فقال يهنئي، أبا العباس السفاح

بعد إعلان دعوته. (٤)

أبلى الخليفة فيها وهو محتسب

بلاء من لم يرد لله إدهانا

والعدل والأمن صفتان محبتان لدى الخلفاء العباسيين لأهما من واجبات الخليفة أو الوالي ، فقال

ابن هرمة يخاطب المنصور. (٥)

رأيتك لم تعدل على الحق معدلا

سواه ولم تشغلك عنه الشواغل

(١) الديوان ١٧٣

(٢) أنساب الأشراف ٩٦:٣

(٣) الديوان ٢٢٧

(٤) الديوان ٢٢٨

(٥) الديوان ١٦٦

وقال في السرى بن عبدالله ، وكان واليا لليمامة : (١)

نفي الظلم عن أهل اليمامة عدلُهُ

فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله

وناموا بأمن بعد خوف وشدة

بسيرة عدل ماتخاف غوائله

بك الله أحيا أرض حُجرٍ وغيرها

من الأرض حتى عاش بالبقل الله

ومن صفات العروبة التي كاتف الشعراء يلتزمون بها في مخاطباتهم لممدوحهم ، شرف الأصل ،

من ذلك قوله في أبي جعفر . (٢)

له طينة بيضاء من آل هاشم ، إذا اسود من لؤم التراب القبائل

وقوله في السرى بن عبدالله : (٣)

يا ابن الأناة الشفاة المستخات بهم

والمطعمين ذرى الكوم المقاحيد (٤)

أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتكم

بطحاء مكة لاروس القراويد (٥)

(١) الديوان ١٧٤

(٢) الديوان ١٦٦

(٣) الديوان ١٠١

(٤) الذرى : جمع ذروة . وذروة السنام : اشرفها ، والكوم : الضخام الأسنمة . والمقاحيد : جمع مقحاد :

وهي الناقة العظيمة السنام .

(٥) المسلنطح من البطحاء : ما اتسع واستوى سطحه منها

والقراويد : جمع قردود وهو ما ارتفع من الارض وغلظ

موقفه من العلويين :

ظهرت الشيعة حزبا يعارض الأمويين بعد موقعتي الجمل وصفين ، وانتهاء الأمر إلى بني أمية .

ثم تفرّع هذا الحزب في نهاية القرن الأول الهجري إلى اتجاهين اثنين ، أحدهما : مال إلى التطرف والمبالغة ، بينما أخذ الآخر جانب الاعتدال .

وأصحاب الاتجاه المعتدل انقسموا إلى فرقتين اثنتين ، أولاهما سُميت الزيدية نسبة إلى زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهم أكثر الفرق الشيعة اعتدالا ، إذ يجوّزون إمامة المفضل مع وجود الأفضل (١) ولذا فإنهم يجوّزون خلافة أبي بكر وعمر .

وثانيتها سُميت إمامية نسبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه وأصحابها يقولون بإمامته بنص الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم هم يحصرون الإمامة من بعده في أبنائه من فاطمة وفي ذرية الحسين خاصة (٢).

وتختلف الزيدية عن الإمامية في أن الأولى أكثر عنفا في حين أن الثانية تقول بالتقية ، ولم تقل بوجوب الثورة لأخذ الخلافة من مغتصبها (٣).

من أجل هذا كانت سياسة العباسيين مع الزيدية أشد من سياستهم مع الإمامية لبرم الأولى بهم وخطرهما عليهم (٤).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥:٥

(٢) وفي الكيسانية من يقول إن الإمامة في ولد الحسن دون ولد الحسين انظر الممدر السابق ٤١:٥

(٣) انظر في ذلك : تاريخ الشعر السياسي ١٥٧ والشعراء من مخضرمي الدولتين ١٧٨

(٤) انظر : الشعراء من مخضرمي الدولتين ١٧٨

فقد امتنع محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) عن مبايعة السفاح ثم خرج على أبي جعفر المنصور . وبعد مقتله خرج عليه أخوه إبراهيم بن عبدالله .

وفي خلافة الرشيد خرج عليه بالديلم يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن طالب سنة ست وسبعين ومئة .

ويبدو أن نظرية العلويين في الخلافة لم تكن قوية فتصمد أمام احتجاج العباسيين لها، فهم أبناء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما العباسيون فهم عمومة رسول الله ، والعم أولى بميراث ابن أخيه .

وتبدى هذا في المكاتبة التي جرت بين محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وبين المنصور حين خرج الأول عليه فبعث إليه أبو جعفر " لك عملي عهد الله وميثاقه وذمته إن تبنت أن أؤمّنك وجميع ولدك وإخوتك. (١)

فكتب إليه (النفس الزكية) رافضاً دعوته محتجاً عليه بأنه صاحب الخلافة الشرعي قائلاً " إن الحق حقنا ، وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم إليه بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا علياً كان الوصي، وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ وإنّ بنو أم رسول الله فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم". (٢)

فأجابه المنصور برسالة أنكر فيها حق العلويين في الخلافة وأن العباسيين أولى منهم بوراثنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال " بلغني كلامك وقرأت كلامك ، فإذا جَلّ فخرك بقراية النسب ،

(١) تاريخ الطبري ٥٦٦:٧

(٢) المصدر نفسه ٥٦٧:٧

لتضل الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعنومة والآباء ، ولا كالعنبة والأولياء ، لأن الله جعل العنم
أبا . (١)

ويظهر أن الشعراء الذين اتملوا بالعلويين لم يستجيبوا لنظريتهم في الخلافة ، ولم يدافعوا عنها
على الرغم من نشوء بعض فرقهم واتضح نظريتهم في نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثاني .

وعلى الرغم من ميول ابن هرمة الشيعية واتصاله بزعماء الشيعة وسادتهم من الزيدية إلا أننا لانجد
له انتماء لفرقة من فرقهم ، فتارة يأخذ بمبادئ الإمامية كمذهب التقية مثلا ، فنراه ينكر أبياته التي قالها
في بنى فاطمة ويتنصل منها ويشتم قائلها . (٢)

وحين يُسأل عن رأيه في ثورة النفس الزكية لا يصرح بشيء حتى تنجلي الأمور عن موقف واضح ، فيقول: (٣)

أرى الناس في أمر سحيل فلا تزل
على هذرتي ترى الأمر مُبرما (٤)
وأمسك بأطراف الكلام فإنه
نجاتك مما خفت أمرا مجمما
وكائن ترى من وافر العرض صامتا
وآخر أردى نفسه أن تكلمما

(١) المصدر السابق ٥٦٨:٧

(٢) انظر في ذلك : الأغانى ٣٨٨:٤

(٣) تاريخ بغداد ٦: ١٣٠ ، وتهذيب ابن عساكر ٢: ٢٤١

(٤) الأمر السحيل : غير المحكم ، والمُبرم : المحكم

وتارة يميل إلى الزيدية فيتمل بهم ويمدح زعماءهم

ولسنا نرى لابن هرمة من أبيات في العلويين يذكر حقهم في الخلافة إلا بيتا واحدا من قصيدة بلغت اثني عشر بيتا ، اعتذر فيها لإبراهيم بن عبدالله بن الحسن ، ذكر فيه وصية النبي لعلي وأبنائه من بعده فقال : (١)

لم يومني الله إذ أوصى ببعضكم
ولا النبي الذي يهدي إلى النور

ويلاحظ على أشعاره في العلويين عامة أنها لم تتناول الجانب السياسي ، ولم يضمنها أية إشارة إلى حقهم في الخلافة ، لأن المجاهرة بالعلوية في زمن العباسيين كانت تقرب صاحبها من نهايته " ولأن الحزب العلوي بدأ يضعف في العصر العباسي بسبب ضعف حجتهم في الخلافة " . (٢)

لهذين السببين بدأ الناس ، وبخامة الشعراء ، ينصرفون عنهم ، ولم يتمل بهم إلا نفر قليل منهم .

وحتى هذا النفر القليل لم يكونوا متشيعين حقا ولم يكونوا ينطقون بنظرياتهم السياسية ومبادئ الإمامة كما يقول الدكتور حسين عطوان " وإنما كانوا يمدحونهم مديحا تقليديا فيه التعميم والإبهام وفيه الاحتياط والاحتراس حفاظا على أنفسهم وتجنبيا لسخط الحكام عليهم " . (٣)

وابن هرمة واحد من هؤلاء النفر الذين مدحوا العلويين والطلبية لاميلا إليهم أو حبا فيهم وإنما مدحهم رغبة في عطاياهم ، فقد اتصل بعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر

(١) الديوان ١٢٠

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٣٨٦

(٣) الشعراء من مخزومي الدولتين ١٨٢

ابن أبي طالب وأشبهه بنسبه وآبائه في قوله: (١)

كريم إذا ما شاء عد له أبا

له نسب فوق السماك المخلِّق

وأما لها فضل على كل حُصرة

متى ما تسابق بابنها القوم تسبق

فمن مثل عبدالله أو مثل جعفر

ومثل أبيك الأريحي المرهق (٢)

وأثنى على تمام عقله وترويضه في الأمور ، وأنه ذو تجربة في الحياة في قوله: (٣)

شديد التآني في الأمور مجرب

متى يغزُ أمر القوم يغزُ ويخلق (٤)

ومدحه بالكرم وحب الخير ، فمن قوله في الأول: (٥)

أحبُّ مدحا أبا معاوية لما جد لائقه حصورا عيبا (٦)

بل كريما يرتاح للمجد بسا ما إذا هزه السؤال حيبا

(١) الأغاني ١٢: ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٢) المرهق : الكريم الذي يفتشاه الناس

(٣) المصدر نفسه ١٢: ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٤) يغز : يشق ويقطع ، ويخلق : يقدر ، بمعنى يقلب الشيء قبل تنفيذه

(٥) المصدر نفسه ١٢: ٢٢٥ والديوان ٢٤٤

(٦) الحصور : الممسك البخيل

ومن قوله في الثاني: (١)

ترى الخير يجرى في أسرة وجهه

كما لأت في السيف جرية رونق (٢)

واتممل بالحسن بن زيد (٣) ومدحه بالكرم فقــــــــــــــــال: (٤)

وذاك من يأتيه يعمد إلى رجل

في كل مالحة أو صالح قمين (٥)

حازت يدا حسن قدهين من كرم

لم يعملنا نشبالمبرة والسفن (٦)

ما أطلعت رأسها كيما تهديني

حما تطرح من يبيي على شزن (٧)

إلا ذكرت ابن زيد وهو ذو صلة

عند السنين وعود على الزمن

طلق اليدين إذا أضيافه طرقوا

يشكون من قرّة شكوى ومن وسن (٨)

(١) الأثاني ١٢ : ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٢) أسرة الوجه ، خطوطه ، ولألأ البرق : إذا أضاء ولمع والرونق : ماء السيف وصفاءه وحسنه

(٣) هو الحسن بن زيد بن الحسن ، ولي المدينة لأبي جعفر المنصور سنة ١٥٠ هـ . ثم سخط عليه وسجنه ببغداد حتى توفي في السجن .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٣٥٩ والديوان ٢٢٩

(٥) قمين : جدير

(٦) السفن : ما ينحت به الشيء

(٧) الشزن : الغليظ من الأرض ، وقيل شدة الإعياء من الحفا

(٨) القرّة : ما أصاب الإنسان من البقر أي البرد الشديد

والوسن : أول النوم ، وقيل ثقل النوم

ومدحه بحسن الخلق في قوله : (١)

أوصاف زيد بأعلى الأمر منزلة

فما أخذت قبيح الأمر بالحسن

خلات صدق وأخلاق خُصمتَ بها

فلم يَضَعْنَ ولم يَخْلَطْنَ بالسُّرْنَ

وكان ابن هرمة عرف فيه الحزم حين هدده بسضاعفة العقوبة له إن أتى به سكران ، ثم نصحه أن يترك شرب

الخمير لله لا للناس (٢) ولهذا مدحه بالحزم . (٣)

ماقال " أفعل " أمضاه لوجهته

وما أبى لِح ما يَأبى فلم يَكُنْ

وهذا البيت يشبه إلى حد بعيد ما مدح به المنصور يوم وفد عليه ، فقال لــــه : (٤)

إذا ما أبى شيئا مضى كالذي أبى

وما قال إني فاعل فهو فاعل

ومدحه برجاحة العقل : (٥)

إذا خلوت به ناجيت ذا طبن

ياوى إلى عقل صافي العقل مؤتمن

(١) الأغاني ٤: ٣٩٧ والديوان ٢٢٩

(٢) انظر : عيون الأخبار ٣: ٣٠١ والكامل ١: ٢٠٧ والعقد الفريد ٦: ٣٤٠

(٣) تهذيب ابن عساكر ٧: ٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين) ١٥٩ والديوان ٢٣١

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٥ والديوان ١٦٧

(٥) تهذيب ابن عساكر ٧: ٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ١٥٩ ، والديوان ٢٣١

واتصل بمحمد بن عبدالله (النفس الزكية) ولم يخرج في مدائحه له عما مدح به سابقه ، فهو ملاذ الشاعر بل الناس جميعا إن أَلَمَّتْ بهم الممائب ، قال . (١)

إن كنت نحوى فإن الله جابرونا

ولا اجتبار لنا إن أنت لم تكن

فما أبالي إذا ما كنت لي كنفًا

من مد أو بيت في أقرانه قرني (٢)

وما أبالي عدو بعد شأحتني

أم زاحفت سعفات الصم من حَضن (٣)

أنت المرجى لأمر الناس إن أزميت

جدًا ، صرما ، لم تصرر على أبين (٤)

ومدح العباس بن الحسن بأربعة أبيات أشاد فيها بكرمه وشجاعته وقربه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (٥)

(١) تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ١٦٣ والديوان ٢٢٢

(٢) الكنف : الحافظ المعين ، بيت : قطع واستأمل

القرن : الحاجة

(٣) سعفات الصم : الصم : الحيات التي لا تقبل الرقبة ، وقيل العقارب ، وحَضن : جبل في أعالي نجد

(٤) الجداء : السنة الممحلة ، والأبين : العيب

(٥) هو العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قبض عليه العباسيون وسجنوه : ثم

قتل في السجن سنة ١٤٥هـ بأمر من المنصور .

(٦) مقاتل الطالبيين ١٩٧ والديوان ١٣٢

لما تعرضت للحاجات واعتلجت

عندي وعاد ضمير القلب وسواسا

سعت أبغي لحاجات وممدرها

براً كريماً لثوب المجد لباسا

هداني الله للحسنى ووقفني

فاعتعت خير شباب الناس عباسا

قدح النبي وتدح من أبي حسن

ومن حسين جرى لم يخر حناسا (١)

ومما يلاحظ على مدائحه فيهم أنها تميزت بكثرة ذكره لبني هاشم . فلم تكذ تخلو قصيدة من قصائده

فيهم من الإشارة اليهم ، من ذلك قوله في مدح عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر (٢) .

حللت محل القلب من آل هاشم

فَعَشَّكَ مَأْوَى بِيضِهَا الْمُتَفَلِّقِ

وقوله في مدح الحسن بن زيد : (٣)

أما بنو هاشم حولي فقد قرعوا

نبلي الصَّيَابِ التي جَمَعَتْ في قَرْنِ (٤)

وقوله في القصيدة نفسها في بيتين متباعديين : (٥)

(١) لم يخر : لم ينقص ، حناسا : شجاعا

(٢) الديوان ١٥٩

(٣) الأغاني ٤ : ٣٧٦ ، والديوان ٢٣٠

(٤) نبلي الصَّيَابِ : الصَّيَابِ (بالكسر) جمع صائب

(٥) الأغاني ٤ : ٣٧٦ والديوان ٢٣١

إذا بنو هاشم آلت بأقدحها
إلى العفيض وخافت دولة الغبن (١)
وأنت من هاشم حقا إذا انتسبوا
في المنكب اللين لآسي المنكب الخشن

وقوله في مدح النفس الزكية : (٢)

وأنت من هاشم في سرّ نبيعتها
وطينة لم تقارف هجنة الطيبين

ولعل في ذلك سره لنبي هاشم احتراس من غضب العباسيين وحقدهم عليه إذ يجمعهم والعلويين

أنهم ينتمون لهاشم .

(١) آلت بأقدحها : ضربت القداح عند القمار ، والقدح : السهم الذي يقامرون به .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين) ١٦٢ .

الغزل

الغزل من أكثر الأعراس الشعرية عدد أبيات عند ابن هرمة فقد بلغت أبياته فيه - مما وصل إلينا من شعره - مئة وخمسين بيتاً .

ويمكن تقسيم غزله إلى ثلاثة أنواع :

أولها : الغزل التقليدي أو المقدمات الطلبية والغزليد للقائد .

وثانيها : الغزل الحضري : وهو الغزل الذي عبر فيه عن مشاعر الحب . وفيه ذكر لصفات المرأة الجسدية والمعنوية .

وثالثها : الغزل الفني :

أما النوع الأول المتمثل بمقدمات القائد . فتكاد تمثل الجزء الأكبر من شعره الغزلي . فقد وقف فيه شأن الشعراء من مخضرمي الدولتين . على الأطلال فشكى وبكى . وذكر أسماء النساء والبقاع . وخاطب الآتسار الطرسة .

وعلى الدكتور شوقي ضيف سبب استيقاف بعض الشعراء المتحضرين لعناصر الأطلال ورحلة الصحراء ، بأن " الشعراء اتخذوه رمزاً . أما الأطلال فلحبتهم الدائر - وأما رحلة الصحراء فلرحلة الانسان في الحياة " . (١)

وشبيه به ماذهب إليه الدكتور عبد القادر القط حين قال " والطلل رمز لوقت سعيد وصحبة جميلة نعيم بها الشاعر ، وكان يدرك أنه برحيله عن هذا المكان سيترك فيه ذكريات جميلة ، وقد يعود إليه إذا ساقته إليه المحادفة أو فرسند طبيعة الحياة الصحراوية " .

(١) العصر العباسي الأول ١٦٣

(٢) في الشعر الإسلامي والأموي ١١٤

أما الدكتور البهيبيتي فقال " إن هذا الاستفتاح الغزلي في القصيدة يلائم الجو الذي يعيش فيه الشاعر ، وهذا الجو هو الذي يملي عليه شعره . فالمرأة في ذلك رمز وأسماء النساء أسماء تقليدية تجرى في الشعر دون وقوع على صاحباتها " . (١)

وهذا القول ينطبق على كثير من الشعراء في القرن الثاني . وهو أكثر قبولا على مقدمات قصائد ابن حرمة . لأنه هو الذي يعيننا من بين شعراء هذا القرن .

والمطلع على مقدمات قصائده . يجد من أسماء النساء خمس عشرة امرأة ذكهن في قصائده على نفاوت في العدد . فها سلمى (تكرر اسمها ثلاث عشرة مرة في إحدى عشرة قصيدة^(٢) . وذكر (أسماء) ثلاث مرات في ثلاث قصائد^(٣) . و (غلبية) مرتين^(٤) و (سعدى) مرتين^(٥) و (هند) مرتين كذلك ومثلها (شغفر)^(٦) .

أما (فاطمة) و (البلى) - وكنيتها أم محمود - و (سودة) و (أتلى) و (زينب) و (أميمة) و (رعموم) . و (أم بكر) و (ابنة السعدى) فمرة لكل واحدة . (٨)

ومما يلاحظ على مقدماته الطللية ، التي وصلت إلينا من شعره . أنها كانت قصيرة في الغالب . وخامة في مطالع قصائد المدح الرسمية والسياسية .

(١) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث ١١٠

(٢) الديوان ٤٨ ، ٦١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٩٩

(٣) الديوان ٧٥ ، ٩٧ ، ١٤٣

(٤) الديوان ٦٥ ، ٦٦

(٥) الديوان ٥٨ ، ١٨٢

(٦) الديوان ٨٢ ، ١١٢

(٧) الديوان ١١٢ ، ١٢١

(٨) الديوان (حسب ترتيب الأسماء) ٩٥ ، ١٠١ ، ١٧٩ ، ٢١٦

والأسماء الثلاثة التالية ذكهن في بيت واحد ٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٩٨

ومن الموضوعات التي تناولتها هذه المقدمات . الوقوف على الأماكن والسؤال عن أهلها . فممن ذلك قوله : (١)

أدار سُلَيْمِي بَيْن (يَمِين) فَلَمْتَعْر

أبِينِي فَمَا اسْتُخْبِرْتِ الْإِلْتِخْبِيرِي (٢)

وقوله أيضا : (٣)

عوجا على ربيع ليلي أم محمود	كيما نساثل من دون عبود (٤)
عن أم محمود إذ شط المزاربها	لعل ذلك يشفي دا معمود (٥)
فعرجا بعد تغوير وقد وقفت	شمس النهار ولاذ الظل بالعود (٦)
شيئا فما رجعت أطلال منزلة	قفر جوابا لمحزون الجوى فودي (٧)

وفي وقوفه على الأطلال دعا لها بالسقيا على عادة الشعراء الجاهليين فقال : (٨)

أدار سليمي بالوحيدة فالغمر أبيني سقاك القطر من منزل ففر (٩)

وقوله في قعيدة أخرى يخاطب ديار سلمي أيضا : (١٠)

أبيني حبتك البارقات بوبلها لنا منسما عن آل سلمى وشغفر

(١) الديوان ١٢١

(٢) يمين : ناحية من أعراف المدينة على بعد بريد منها

ومشعر : ماء لجهينة معروف إلى جنب منتخر . معجم البلدان (يمينه)

(٣) الديوان ١٠١

(٤) عبود : جبل بين المدينة والسيالة

(٥) المعمود : من حدّة العشق

(٦) التغوير : النزول وقت الهجرة

(٧) المودي : الهالك

(٨) الديوان ١٢٤

(٩) الوحيدة : موضع بين المدينة ومكة، وهو من أعراف المدينة والغمر : الماء الكثير، وهو بئر قديمة في مكة . معجم البلدان (المود)

(١٠) الديوان ١٢١

ثم تذكر من كان يقطن تلك الديار من النساء . وما تركنه من لوعة وأسى وصدّ وحجران . فمن ذلك قوله : (١)

أم لا تذكر سلمى وهي نازحة إلا أعتراك جوى نسقم وتسهب^(٢)
شطت وفي النفس معالستُ ناسيه هم بعيد وحاجات أطانيب^(٣)

ومن مظاهر تقليده للقصيدة الجاهلية ذكره الطعان والرحلة في شعره . من ذلك قوله : (٤)

غدا بل راح وأطرح الخلاجا ولما يقض من أسماء حاجا
وكيف لقاؤنا بعفاريات وقد قطعت ظعائنها النباجا^(٥)
يسوق بها الحدأة مشرفات رواحا بالتنوفة وادلجا
على أحداج مكرمة عواف تربعت اللقيطة أو سواجا^(٦)

وقوله أيضا : (٧)

تذكر بعد النأي هندا وشغفرا
فمصر يقضي حاجة ثم هجرا
ولم ينس أظعانا عرض عشية
طوالع من هرشى قواصد عزورا^(٨)

(١) الديوان ٦١ . ٦٢

(٢) التريبية : ذهاب العقل

(٣) الحاجات الأطانيب : هي الحاجات المتمثلة التي لا آخر لها

(٤) الديوان ٧٥

(٥) العفاريات : عقد بنواحي العقيق . وقيل هو واد

والنباج : عدد ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم في بلاد العرب . معجم البدياه (اللقيطة)

(٦) اللقيطة : ماء لغني بينها وبين (مذعا) يومان إلا قليلا

وسواج : اسم لعدة جبال في الجزيرة العربية . معجم البدياه (اللقيطة)

(٧) الديوان ١١٢

(٨) هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحدا منها أفضى

به إلى موضع واحد .

وعزور : موضع . وقيل ماء ، وقيل ثنية المدنيين إلى بطحاء مكة . معجم البدياه (عزور)

وأما النوع الثاني من غزله ، فهو الذئب، أسمىناه الغزل الحضري وقد ذكر فيه لوعته لفراق صاحبتسه
وسجل فيه ذكريات تلك العلاقة أملاً أن تعود اليه ، وتبر فيه عن آلام الحب وما ذرف على صاحبتته من دموع ،
من ذلك قوله : (١)

أرى الدهر ينسيني أمأديث جمّة
أتت من صديق أو عدوّ يشيعها
ولم ينسنيها الدهر إلا وذكرها
بحيث تحننت دون نفسي ضلوعها
وان لم يكن منها لنا غير ذكره
وقول لعل الدهر يوماً يريّعها (٢)
فقد احزرت منى فؤادا متيما
وعينا عليها لاتجف دموعها
أتنسين أيامي وأيامك التي
إذا ذكرتها النفس كادت تذيعها

ومن جميل أبياتة قوله معبرا عن مقدار حبه لها (٣)
غذوت لها تلالد الحب حتى نما في القلب وارتعج ارتعاجا (٤)

ويبدو أن ابن هرمة قد خبر أحوال العاشقين ، فهم بين حرمهم على كتمان السر في العلاقة مع ما يتحملونه
من آلام الكتمان ، وبين رغبهم في البوح لما فيه من راحة نفسية لهم ، فقال في ذلك : (٥)

وكم من محب أجنّ الهوى فودّ من الغم لو كان باحا
وآخر غم بأسراره فباح بمكثومة واستراحا

(١) الزهرة ١ : ٣٣٤ ، والديوان ١٤٣

(٢) يريّعها : يرجعها

(٣) الفائق في غريب الحديث (الزمخشري) ١ : ٤٩٠

(٤) ارتعج : ارتعد ، وارتعش

(٥) الديوان ٨١

وللوشاة حضور في أشعار الغزلين . ولعل أن تكون طبيعة المجتمع العربي آنذاك هي التي فرضت وجودهم فسي
أشعار المحبين ليلتقطوا أخبارهم فيفسدوا ما بينهم وبين ما حبايتهم . أو أن التقليد الشعري هو الذي فرض هذا
لوجود ، أو لعل الاثنين معا .

وكان ابن هرمة أحد المتألمين من دور هؤلاء ، إذ طالما حرموه متعة اللقساء ، بما حبايتهم (١) .
سمعت بنا فأحالها عن حالها لفتات مكر الكاشح المتسقط (٢)

ولم يقف ابن هرمة في غرله عند هموم الحب بل تعداه الى وصف المرأة على عادة القدماء . ولكنه لم يخرج
في وصفه لها على عادة الشعراء الجاهليين . فوصفها بصفات حسيه مادية من ذلك تشبيه ريق ما حبايته بالخمير
في قوله : (٣)

خود تعاطيك بعد رقتها اذا يلاقي العيون مهدؤها (٤)
كأسا بفيها صهبا معرقة يغلو بأيدي التجار مسبوها (٥)

ووصف وجهها بالشمس في قوله : (٦)

تبدت فقلت الشمس عند طلوعها

بلون غني الجلد عن أثر الورس

ووصفه بالنعومة والنقاء في قوله : (٧)

فكم بين الأقارع فالمنقى الى أحد الى أكناف ريم (٨)

(١) العباب الزاخر (حرف الطاء) ٨٧

(٢) المتسقط : الذي يطلب سقعات غيره

(٣) الديوان ٤٩

(٤) مهدأ العيون : نومها وكونها

(٥) المعرقة من الخمر : قليلة المزاج

وسبا الخمر : اذا اشتراها ليشربها ، يريد أنها من جودتها يغلو اشتراؤها

(٦) الديوان ١٣٣

(٧) الديوان ٢٢٠

(٨) الأقارع : جبل بين مكة والمدينة ، والمنقى : طريق بين أحد والمدينة . وريم : واد لمزينة قرب المدينة .
عجم الهذلي المنقى

إلى الجماء من خد أسيل نقي اللون ليس بذي كلسوم^(١)

وذكر جمال عينيها حتى انها لتندو مكحلة من غير كحل . وأشار إلى رقة خمرها في قوله :^(٢)

ومن عين مكحلة الأماقي بلا كحل ومن كشح هضيم

ووصف جيدها في موزنين ، إحداهما : تمثل التطور الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي في الحجاز خاصة . حيث كان يسمح للمرأة بالخروج مع الرجال إلى المجالس العامة والخاصة . وقد يظهر شيء من مفاتها وقد تتعمد المرأة فعل لذلك كما أشار ابن هرمة إلى أن صاحبتة وبعض أترابها قد أبدين شيئا من أجيادهن ليلفتن أنظار الرجال . فقال :^(٣)

أبدين للقوم أعناقا بها أود

عوج الطلى وغيونا ذات إسجاد

وثانيتها : بدوية . حين شبه صاحبتة بظبية ترعى ناضر السلم في قوله :^(٤)

صادتك يوم الملا من مشعر عرضا

وقد تلاقي المنايا مطلع اللم

بمقلتي ظبية أدماء خاذله

وجيدها يتراعى ناضر السلم^(٥)

ووصف أردادها وصفا تقليديا طالما كرره الشعراء في القرن الأول ، من ذلك قوله :^(٦)

ثم قامت حولها أترابها وعثة الأرداف غرثي الملغزم^(٧)

(١) الجماء : جبل مغير على ثلاثة أميال من المدينة من ناحية العقيق .

(٢) الديوان ٢٢٠

(٣) الديوان ١٠٨

(٤) الأود : الأعوجاج ، والإسجاد : فتور الطرف ، أو هو إدامة النظر مع سكون

(٥) الديوان ٢١٦

(٦) أدماء : سراء

(٧) وعثة الأرداف : لينتها . وغرثي الملغزم : دقيقة الخصر

غير أن ابن هرمد قد أضاف للقيم الجمالية شيئاً جديداً . ذلك أنه جمع صفات الحسن كله وانسجماه في وجهه
فأحبتته من غير معارض في قوله : (١)

من ذا رسول ناصح فمبلغُ
عني عليّة غير قيل الكسانبِ
أني عرضتالي تنامف وجهها
عرض المحب إلي الحبيب الغائبِ (٢)

وأما ومفغه المعنوي للمرأة فكان في عفتها . وحذرنا من الرجال ، من ذلك قوله : (٣)

ما أنس لا أنس يوم ذي يقسر
اذتقينا بالكف منصرفه
كما اشرايت علي وفازتها
أدما ، تخشى الرماة مشرفة (٤)

وأشار إلى عذوبة كلامها وجماله ، حتى إن الحيوانات الواقفة على جبل شاهق لو سمعت حديثها
لتحدرت إليها مغامرة فقال : (٤)

ولو سمعت عضم بقدم كلامها
اذن لتحدرن الشواهي من قدس

(١) الديوان ٦٥

(٢) عرضت : اشتقت . وتناصفا الوجه : حسنه ، أي أنها كلها حسنة ، ليس فيها الحسن والدون

(٣) الفائق في تريب الحديث (الزمخشري) ٣ : ١١٠ . والعباب الزاخر (حرف الفاء) ٦٠٨

(٤) الوفازة : العجلة من أمرها

ويلاحظ على غزل ابن هرمة أنه لم يسلك فيه سلوك الشعراء من معاصريه . بل أنه لم يتأثر بمطرازا على المجتمع الاسلامي من جديد في باب الغزل خاصة ، كالغزل الحسي الفاحش والغزل بالمدح .

وأغلب الظن أن ابتعاده عن النظم في ذلك اللون من الشعر يرجع إلى سببين :-

أولهما : أن كثيرا من قصائده كانت موجهة إلى شخصيات سياسية . ومعروف أن ابن هرمة وفد على كثير من تلك الشخصيات . فينبغي أن يكون كلامه لهم وشعره فيهم يليق بمستوى هذا النوع من الناس .

وثانيهما : أن ابن هرمة كان محافظا على القديم في معانيه وأساليبه وصوره ، فحتى صورة الشعرية كان حريصا على أن تكون جاهلية قديمة . والعجيب أن ابن هرمة لم يتعامل مع ما وجد في المجتمع الاسلامي من خروج على الأساليب والاوزان الشعرية المعروفة شأن كثير من الشعراء الذين عاصروهم ، ولذلك لا نجد في شعره مناظر الورد والبساتين والرباحين . (١)

وقد أشار الدكتور حسن عطوان إلى هذين السببين في معرض حديثه عن الغزل العفيف في مقدمات القوائد الرسمية فقال " ٠٠٠٠٠ " وهو غزل تقليدي في أسلوبه ومضمونه وفي مبانيه ومعانيه ، حمل الشعراء المجهولين في ميدان الحب عليه بصرفهم بالنماذج الغزلية القديمة ، وحرصهم على اظهار حذقهم بهن وبراقتهم في محاكاتها ، وحمل الشعراء المستهترين بالماجنين عليه احترامهم للخلفاء والامراء ، وهيبتهم لهم وانصياعهم للتقاليد والحرايم في مجالسهم . (٢)

(١) سنعرض لموضوعات الوصف في شعره حين نتحدث عن عرض الوصف عنده

(٢) الشعراء ، من مخضرمي الدولتين ٢٧٩

ومما لوحظ على شعر بعض الشعراء الذين عاشوا في العصر الاموي ، وأدركوا الفترة العباسية ، أنهم في الشطر الأول من حياتهم الشعرية كانوا أكثر التحافا بالتقليد الشعري . وكلما تقدموا في العصر العباسي تحفثوا من ذلك الالتزام .^(١)

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة في العصر العباسي ما يدل على هذا التخفف ، غير أن شعره الذي نظمته في الفترة الأموية يؤكد هذه الظاهرة ، فهو من الشعراء الذين التزموا بالتقليد الشعري الجاهلي التزاما دقيقا .

ومما لوحظ على غزلهم خاصة أنهم " وقعوا في ازدواج . فهم في غزلهم التقليدي الرسمي . وفسسي مقدمات قحائدهم يفرعون الى المعجم القديم ليعبروا عما في نفوسهم بلغة سهلة بسيطة ، وألفاظ منتقاه"^(٢) ولهذا فليست نجد في شعر الشاعر جزالة مطلقة ولا سهولة مطلقة ، وإنما فيه من الجزالة قدر يحدده طبيعة الموضوع ، وفيه من السهولة قدر آخر يحدده الموضوع أيضا .

وشعر ابن هرمة الغزلي يحمل هذه الازدواجية وما عرفنا له من مقدمات قحائده يدل على تلك الجزالة والفخامة وأما شعره الغزلي الذاتي ففيه من الرقة والعدوبة وسهولة الألفاظ ما يمثل ذلك .

(١) انظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٢١٩

(٢) المرجع نفسه ٣٥٨

وقد تنبه الى هذه الظاهرة من قبل الدكتور عبد القادر القط فقال " وكلما بدت ذاتية الشاعر في قصيدة اقترَب معجمها من الألفاظ الشائعة التي تعبر عن العواطف المشتركة في حياة الناس : أما إذا تناول الشاعر تجربته تناولا وصفيا موضوعيا ، فإنه يميل إلى استخدام لغة وتركيبات وتشبيهات خاصة ليس لها هـذا الشيوع". (١)

فمن أمثلة شعر الذاتي الذي تمثلت فيه العذوبة والرقّة مع سهولة الألفاظ قوله : (٢)

أقصرت عن جهلي الأتني وحلمني

زرع من الشيب بالفودين منقود

حتى لقيت ابنة السعدي يوم سفا

وقد يزيد صباي البدن الغيد (٣)

فاستوقفتني وأبدت موقفا حسنا

بها وقالت لقناص الصبا ميدوا

إن الغواني لاتنقك غانيسة

منهن يعترفني من حبها عيد

(١) في الشعر الإسلامي والأموي ٢٥

(٢) الديوان ٩٥

(٣) سفا : موضع بأطراف المدينة . تعجم البداهة (سفا)

والصبا : الشيباب

ومنه أيضا (١)

أفاطم إن النأي يسلي ذوي الهوى

ونأيك عني زاد قلبي بكم وجدا

أرى حرجا مانلت من ود غيركم

وناعلة مانلت من ودكم رشدا (٢)

وما نلتقي من بعد نأي وفرقة

وشحط نوى إلا وجدت لها بردا (٣)

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى

ندوبا وبعض القوم يحسني جلدا

أما ارتباط المقدمات الغزلية بموضوعات القصائد التي تجي، فيها فالمدح هو الفرض الذي لا يكاد يخلو من مقدمة غزلية أو طللوية في أوله منذ الجاهلية حتى آخر العصر الأموي . وبعض قصائد العصور العباسي .

ولم يخرج ابن هرمة على هذا التقليد فيما أظن ، وحتى قصيدته التي مدح بها المنصور يوم وفد عليه في بغداد والتي أولها :

* سرى ثوبه عنك المبدأ المتخايل *

(١) الديوان ٩٥

(٢) الحرج : الضيق

(٣) الشحط : البعد

لم يكن هذا البيت هو مطلعها ، وأحسب أن لها بداية غزلية وطليلية ولكنها ضاعت فيما ضاع من شعره . ولم يبق منها إلا بيت واحد وهو قوله : (١)

عفا النعف من أسماء نَعْفِ رواوة

فريم فهضب المنتضى فالسلائل^(٢)

فهو يتفق وأبيات القصيدة السابقة في البحر والقافية وحركة الروى . وإن كان الاستاذ المعيد جعله في مكان منفصل عن القصيدة السابقة .

وعرف الغزل ، أيضا ، في مقدمات قصائد الفخر في العصر الجاهلي . والفخر أقرب الأغراض ملاءمة للغزل . لما بين الفنين من وشائج وعلائق خاصة . كما قال الدكتور بكار . (٣)

واستمرت هذه الظاهرة في قصائد القرن الثاني ، ولست أدري لم قصرها الدكتور بكار على بشار دون غيره من شعراء القرن الثاني ، فقال " وانفرد بشار بن برد من بين شعراء القرن الثاني بافتتاح قصائد الفخسـر بالغزل في قصيدتين " . (٤)

والمصواب أن بشارا لم ينفرد بهذا ، فلا بن هرمة ، أيضا ، قصيدتان في الفخر بدأهما بالغزل أو لهما قوله : (٥)

ان سَلِمَى واللّه يكلّوها
ضفت بشيء ما كان يبرزوها (٦)

-
- (١) معجم البكري ١٢٦٦ ، والديوان ١٦٩
(٢) النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ ، وكان فيه صعود وهبوط ورواوة ، والمنضى ، وذو السلائل ، أودية بين الفرع والمدينة . وريم : واد لمزينة قبل المدينة . معجم البكري ١٢٦٦
(٣) اتجاهات الغزل ٦٦
(٤) المرجع نفسه ٦٦
(٥) الديوان ٤٨
(٦) يكلّوها : يحرسها ويحفظها ، وضنت : بخلت ، ويبرزوها : ينقصها

وعودتني فيما تعودني
لو تهنئ العاشقين ما وعدت
أظمء ورد ما كنت أجزؤها (١)
لكان خير العداة أهنؤها

وبلغت هذه المقدمة الغزلية تسعة أبيات ، ثم قال مفتخرا بعدها :

مرتع ذودي من البلاد إذا
يشع جرب البلاد أكلؤها (٢)
يكن ضيفي إذا تأوئني
أوسع أبياتنا وأدئوها (٣)
عندي لهذا الزمان آنية
أملؤها مرة وأكفؤها

وثانيتها : بدأها بالغزل أيضا في قوله : (٤)

طرقت عليّ صحبتي وركابي
أهلا بطيف عليّ المنتاب (٥)
طرقت وقد خفق العتوم رحالنا
بتنوفة بهما ذات خراب (٦)
فكأنما طرقت برّيا روضة
من روض عوهق طلة معشاب (٧)

(١) الاظمء : جمع ظمأ : يريد أنها تحله مرة وتقطعه أخرى وأجزؤها : أي أجزئها فيها كما تجتري الظباء بأكل الرطب من الكلا فلا تشرب الماء .

(٢) ذودي : نسبة إلى الذود ، وهو الإبل لايتجاوز عددها الثلاثين ولايقبل عن الثلاثة . وأكلؤها : أفدم لها الكلا .

(٣) تأوئني : طرقتني ليلا

(٤) الديوان ٦٦

(٥) المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى

(٦) اليهما : الفلاة التي لاما ، فيها ولايهتدي الي طرفها

(٧) روضة عوهق : موضع . وطلّة:كثيرة الندى

(١) ثم افتخر بعدها بكرمه قائلا:

هَلَّا سَأَلْتَ إِذَا الْكَوَاكِبُ أُمَحَلَّتْ وَعَفَّتْ مَطِيَّةٌ طَالِبِ الْأَسْبَابِ
وَعَدَا الرِّعَاةُ مَعْطَلِي أَقْدَامِهِمْ لثَعَالِبٍ يَشُوونَهَا وَنَسَابِ
هَلْ ذَمَّ مِنْ أَحَدٍ أَرَادَ خَلِيْعَتِي أَمْ هَلْ تَعَدَّوْا سَاحَتِي وَجَنَابِي
وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مَتْنُورٌ نَحَتْ فِدْلَتَهُ عَلَيَّ كَلَابِي

ومما يُسجّل لابن هرمة في موضوع الغزل ، أنه بدأ لونا جديدا فيه ، وهو ماسميناساه
الغزل الفني إذ لم يكن هـتمّ الشاعر فيه أن يصف متعسة أو يتحدث عن شهوة
أو يذكر محاسن صاحبه ذكرا حسيا ، وإنما كان همّه إثبات قدرته الشعرية . من ذلك قصيدته الهمزية،^(٢)
وقد قيل له إن قريشا لاتهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش .

وكانت هذه القصيدة مادة سالحة لعلماء اللغة والنحو ليجعلوا بعض أبياتها شواهد للدلالة على
معنى من المعاني أو لتقرير قاعدة نحوية .

ومن هذا اللون من الغزل أيضا قصيدته التي ذكرها أبو الفرج الأصفهاني ، وهي من الأبيات
غير المعجمة .^(٣)

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي : ٤٢

(٢) التي أولها

ضمنت بشيء ما كان يرزوها

إن سليمي والله يكلؤها

(٣) وأولها :

معطل رده الأحوال كالحلل

أرسم سودة محل دارس الطلل

الهجاء :

لم يكثر ابن هرمة من أبيات الهجاء ، على الرغم من سوء علاقته بالناس من حوله ، وسوء فهمهم ، وضجره منهم . صرح بهذا في بيتين . قال فيهما : (١)

ليت السباع لنا كانت مجاورة

وأنا لا نرى ممن نرى أحدا

ان السباع لتهدا عن فرائسها

والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وكل أبياته في الهجاء لم تتجاوز الثلاثة والأربعين بيتا .
ومما يلاحظ على أبياته الهجائية أنها مقطوعات قصيرة . لم تتجاوز في أكثرها الأبيات الثمانية . في حين كان أقلها بيتا واحدا .

ولم يخرج ابن هرمة ، في هذا ، على ذوق عصره إذ " كانوا يقصرون شعر الهجاء على المقطعات القصيرة التي قد لا تتجاوز البيتين إلا جريرا وبشارا فإنهما كانا يطيلان في شعر الهجاء " . (٢)

وفسر الدكتور هذارة قصر أبيات الهجاء " إلى رغبة الشاعر في سرعة انتشار أبياته بين جماهير الناس " . (٣)

وكان ابن هرمة يتهج بطريقة القدماء ، في هذا الغرض فتناول في المهجوخة بخله وضعة نسبه وخموله وجبنه ، من ذلك ما هجا به محمد بن عمران الطلحي ، حين نزل ضيفا على ابن هرمة . وكان ابن هرمة فرغ لـــــــ

(١) الديوان ٩٦

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٤١٩ ، وانظر الشعراء ، من مخزومي الدولتين ٣٣٩ .

(٣) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٤٢١ .

داره . واشترى له علفا حتى اذا انتهت مدة الإقامة ، لم يعط ابن هرمة شيئا . بل إنه شتمه وهم بضربه ، فقال ابن هرمة يهجوهُ : (١)

يامن يعين على ضيف ألم بنا
ليس بذى كرم يرجى ولا دين
أقام عندي ثلاثا سنة سلفت
أغضيت منها على الأعداء والدون
مسافة البيت عشر غير مشكلة
وأنت تأتيه في شهر وعشرين
لست تبالي فوات الحج إن نصبت
ذات الكلال واسعنت ابن حرقين
تحدث الناس عما فيك من كرم
هيهات ذاك لضيغان المساكين
أصبحت تخزن ماتحوي وتجمعه
أبا سليمان من أشلاء قارون

وهجا رجلا من قرين كان ابن هرمة مدحه ، فلم يشبهه ، فاتهمه بضعف الهمة والبعد عن الرجولة ، ودعاه إلى ترك ما لاطاقة له عليه . (٢)

(١) انظر القصة كاملة في الأغانى ٤: ٣٩٠

(٢) حماسة البحترى ٢٣٧ ، والديوان ١٤٦

والأبيات هي :

وعما يفعل الرجل القريع	فهلأ اذ عجزت عن المعالي
به وبناره الشرف الرقيق	أخذت بقول عمرو حين أوفى
وجاوزه الى ماتستطيع	(إذا لم تستطع شيئا فدعه

ومن المعاني التي اتجه اليها ابن هرمة في هجائه الناس . غير صفة البخل ، سخريته بالادعياء الذين ينتسبون الى أصل عربي . وما هم بعرب . ولعل هذا كان نتيجة لوجود مشكلة اجتماعية بالفعل ، وهي محاولة للموالي الانتساب إلى قبائل عربية . وربما كان المهجو صحيح النسب ، ومع ذلك هجاه يريد ان يشفي غيظ نفسه منه بالتشكيك في نسبه ، من ذلك قوله : (١)

هجوت الأدعياء فنامبتني معاشر خلتها عربا صحاحا

وكان المسور بن عبد الملك المخزومي عالما بالشعر والنسب . وكان يعيب شعر ابن هرمة ، فهجاه فنتهما إياه بضعف خبرته في هذه الصناعة ، وأن جهله في الشعر امس معروفًا بين الناس . وأن عيوب صناعته فيه واضحة بيته . وشبه ضعف صناعته بصاحب الدباغة الذي لا يتقن المنعة فيبدو فساد عمله أمام الناس . (٢)

قل للذي ظل ذا لونين يأكلني	لقد خلوت بلحم عادم البشم
إياك لا أُلزمن لحبيك من لجمي	نكلا ينكل قراما من اللجم (٣)
يدق لحبيك أو تنقاد متبعا	مشي المقيد ذي القردان الحلم (٤)
إن الأديم الذي أمسيت تقرظه	جهلا لذو نغل باد وذو حلم (٥)
ولا يئط بأيدي الخالقين ولا	أيدي الخوالق إلا جيّد الأدم (٦)

(١) الديوان ٨٢

(٢) الأغاني ٤: ٣٧٩ والديوان ٢١٣

(٣) اللجم : جمع لجام . والنكل : اللجام أيضا

(٤) القردان : جمع قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه

والحلم : الحفير من القراد ، وقيل هو الضخم منه

(٥) الأديم : الجلد . ويقرظه : يديغه بالقرظ لاصلاحه . والنغل ، والحلم : الفساد في الجلد .

(٦) يئط : يموت ، والخالقون : وصف من هولهم خلق الجرد ؛ اذا قدره قبل قطعه

فمن هجائه للخلفاء قوله في مروان بن محمد الخليفة الاموي : (١)

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ولا أمية بشس المجلس النادى

وهو من الهجاء السياسي .

ومن هجائه للأُمراء قوله في العباس بن الوليد بن عبد الملك . وكان العباس

بخيلا : (٢)

ومعجب بمدح الشعر يمنعه
يا آبي المدح من قول يحبره
من المدح ثواب الشعر والشفق
ذو نيقة في حواشي شعره أنسق (٤)

وهجا من القضاة عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله . وكان ولي قضاء مكة والمدينة للمنصور والهادي . هجاه مرتين ، مرة غمز في أمه ونسبه ، وكان عبد العزيز خطب إلى امرأة من ولد عمر فردته فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لؤي فزوجوه . فعاب عليه ابن هرمة ذلك : (٥)

خطبت إلى كعب فردوك صاغرا
وفي عامر عز قديم وإنما
فحولت من كعب إلى جذم عامر
أجازك فيهم هزل أهل المقابر

ومرة هجاه بالبخل حين أرسل إليه ابن هرمة كتابا يطلب منه شيئا من المال ، فبعث إليه عبد العزيز بخمسة عشر دينارا ، فمكث ابن هرمة شهرا ، ثم بعث إليه يطلب ما لا آخر ، فقال عبد العزيز " إنا والله لا نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب ، فقال فيه : (٦)

أيا البخل تطلب ما قدمت
فهيئات خالفت فعل الكرام
عرانين جادت بأموالها
خلاف الجمال بأبوابها

(١) انظر قصة هذا الهجاء في الاغانى ٤: ٣٤٧

(٢) هو ابن عم عبدالواحد بن سليمان ، كان قائدا أمويا ، اشترك في قتال يزيد بن المهلب ، وفتح حمونا في بلاد الروم ، سجنه مروان بن محمد ومات في سجنه سنة ١٢١هـ .

(٣) الديوان ١٥٦

(٤) ذونيقة : المبالغ في منطقه وملبسه ، والاتق : الروعة والحسن .

(٥) الاغانى ٤: ٣٩٤ ، والديوان ١٢٨

(٦) الاغانى ٤: ٣٩٥ ، والديوان ١٩٩

وهذه صورة مؤلمة في الهجاء ، إلا أنها صورة جديدة : حيث جعل المهجو لا يخرج منه شيء للنساء
ينفدون منه كالجمال لا تخرج أبوالها لتشربه في أنفارها البعيدة حين تحتاج إلى الماء .

وشبيه بهذه الصورة الشعبية . وإن كانت من عالم الجهاد : قوله في معاوية بن عبدالله بن جعفر بن
أبي طالب حين مدحه ولم يعطه شيئاً . فشبهه لشدة بخله بالحجر الذي لا يمكن عصره والاستفادة من نفسه
نقال : (١)

فاني ومدحك غير المصيد سب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجير

ووصل به الأمر أن هجا نفسه وأمه وقبيلته الحارث بن فهر . (٢)

ويلاحظ على غرض الهجاء عنده أنه كان هجاء شخصياً يعاب فيه الإنسان بمخازيه الذاتية لا بمخازي
قبيلته ، إلا أبياته في محمد بن عمران الطلحي فإنه ذكر آباءه بسوء في قوله : (٣)

مثل ابن عمران آباء له سلفوا

يجزون فعل ذوى الإحسان بالدون

ومما يسجل لابن هرمة في هجائه أنه لم يسف ولم يفحش ، وهي ظاهرة يشترك فيها شعراء الحجاز
خاصة . على العكس من شعراء الكوفة الذين كانوا يسفون كثيراً في هجائهم . (٤)

(١) الأغانى ١٢ : ٢٢٤

(٢) انظر الأغانى ٤ : ٣٧٠

(٣) الممدر السابق ٤ : ٣٩١ والديوان ٢٤١

(٤) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٥٣

ومن التطورات الجديدة التي نلاحظها على غرض الهجاء عنده ميله إلى الشعبية في معانيه وصوره ، وهذه الشعبية تعني الاقتراب من الهزل والمرح والترفيه وبساطة التعبير واختيار موره من الحياة اليومية ، من ذلك هجاؤه لبخيل تعتمد ان يخفض رأسه حين أتاه ابن هرمة سائلا . فشبهه بناظم الخرز الذي لا يرفع رأسه أبدا ، فقال : (١)

نكس لما أتيت سائله واعتل تنكيس ناظم الخرز

ومن الصور الشعبية في شعره ما هجابه أحدهم فقال : (٢)

وانك اذا أطمعتني منك بالرضا
وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كمكنة من ضرعها كف حالسب
ودا فقه من بعد ذلك ما حلسب

وأبياته التي عرضنا لها في هجاء معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (٣) نموذج آخر من نماذج الشعبية في صورته .

ولعل ألدع تصوير لتقلب أحوال البخيل واضطرب نفسيته . وأكثره واقعية وشعبية قوله في هجاء العباس بن الوليد بن عبدالملك : (٤)

انك والمدح كالعذراء يعجبها
مس الرجال ويثني قلبها الفرق (٥)

(١) الديوان ١٣٢ : والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٤٧

(٢) الديوان ٥٥

(٣) الديوان ١٠٩

(٤) الديوان ١٥٧ : والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٤٧

(٥) الفرق : الخوف

تبدى بذاك سرورا وهي مشفقة

كما يهاب ميس الحية الفرق (١)

وكرر الصورة نفسها في هجائه للعباس بن الوليد في قوله (٢):

ويفرق من صلة المادح	يحب المديح أبو خالد
وتفرق من صولة الناكح	كعذراء تبغي لذيد النكاح

(١) الفرق : الخائف

(٢) الديوان ٢٦٤

الفخر:

- لم يكثر ابن هرمة من أبيات الفخر ، فقد بلغت سنة وخمسين بيتا تقريبا .
- ولعل السبب في قلة أبياته في هذا الموضوع ، فيما أظن ، أنه لم يكن عنده من مقومات الفخر شيء ، فليس عنده من صحة النسب وحسن علاقته بقبيلته ما يدفعه الى الفخر في هذا الجانب . (١)
- ثم إنه لم يكن يملك من المقومات الشخصية ما يدفعه للفخر ، فقد تحدثت في فصل سابق عن ضعف هذه المقومات .
- وإذا أضفنا الى ذلك ضباغ جزء كبير من شعره . نكون وصلنا الى أسباب قلة أبيات الفخر عنده .
- بل إن ما وصل إلينا من فخره لا يتجاوز أبياتا متفرقة ذكرها في ثنايا بعض القصائد . وقل أن نرى له مقطوعات أو قصائد خصصها للفخر .
- وكان ابن هرمة متأثرا بطريقة القدماء في الفخر حين عرض للمعاني المعروفة كالكرم ، والإباء ، والصبر على المشاق والحلم والعزم في الأمور ، والدخول على الملوك .
- ويكاد الفخر بالكرم أن يكون من أكثر الموضوعات دورانا في شعره ، ولعل السبب في ذلك رغبة ابن هرمة في أن يجد تفسيراً لضياغ أمواله ، فادعى أن إتلافه لها كان على الأضياف والمحتاجين ، وإلى هذا أشار في قوله: (٢)

وقد كنتُ ذا مال فصيح وصامت

وذا إبل قد تعلمين وذا غنم (٣)

(١) ارجع الى الفصل الاول من هذه الدراسة ص ٨

(٢) الأمثال (للخبي) ١١٢ ، وأساس البلاغة ٢: ٢٠٢

(٣) المال الفصيح : الخيل والإبل

والمال المامت : الذهب والفضة والمتاع

ومن شروط الكرم عنده أن يكون البذل على الفقراء ، لحاجتهم إلى المال ولا يعطى الموسرون لعدم حاجتهم إليه ، وأن هذا الكرم وما سببه له من فقر لم يثنه عن عاداته ، فقد ظل يستقبل أضيافه على الرغم من فقره فقال: (١)

وإنَّ الكَريمَ من يُكرِّمَ معسِرا
على ما اعتراه لا يكرِّمُ ذا يسر
وما غيرتني ضجرة عن تكمسي
ولا عاب أضيافي غناي ولا قصري

ولعل من جميل شعره في الكرم . ما كنى به عن كرمه في حين كلبه وعدم نباحه على القادمين ، وهـ زال
ثمنه لانعدام فُرْسِ سمنها لكثرة الأضياف فيذبحها لوقتها في قوله : (٢)

ومايك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

وله أبيات مشهورة في الكرم تقدم ذكرها . (٣)

وعلى الرغم من فقره وضيق يده . فقد ظل يشعر بعزة في نفسه وإباء للخصم ، ومن مظاهر هذه العسرة أنه لا يحتاج أحدا من الناس ، ولا يريد منهم أن يشاركوه في أمر من أمور حياته : لأن في معاشرته لهمم إذلالا لنفسه ، وتقبيدا لحريته ، ولذا فهو يملك طريقا غير طريقهم : (٤)

إذا أنت لم تأخذ من الناس عصمة
تشدّ بها في راحتك الأصابع (٥)
شربت بطرق الماء حيث وجدته
على كدر واستعبدتك المطامع (٦)

(١) الديوان ١٢٦

(٢) دلائل الاعجاز ٢٣٧ ، ومفتاح العلوم (للسكاكي) ١٩١

(٣) وهي قوله :

لا أمتع العود بالغمال ولا أبتاع الا قريبة الاجل

وانظر الديوان ٢٤٦

(٤) الديوان ١٤٠

(٥) العصمة : الحفظ والمنع

(٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتدمر

وإني لعماء ألبس الثوب ضيقاً
وأترك لبس الثوب والثوب واسع
وأصرف عن بعض المياه مطيتي
إذا أعجبت بعض الرجال المزارع (١)

وأكد ابن هرمة هذه الفكرة غير مرة ، وأشار إلى أن القليل الذي يحمل عليه الإنسان بكده وجهده أفضل من الكثير الذي يأتي بذل السؤال : (٢)

إذا مطعم يوماً غزاني غزوته
كتائب ناس كرها واطرادها
أمن ثمادي والمياه كثيرة
أعالج منها حفرها واكتدادها (٣)
وأرضي بها من بحر آخر إنه
هو الرأي أن ترضى النفوس ثمادها

وكرر الفكرة نفسها مرة ثالثة ، فقال : (٤)

إني لأطوى رجالاً أن أزورهم
وفيهم عكر الاتعام والورق (٥)

(١) المزارع : جمع مشرع وهو مورد الماء

(٢) الديوان ٩٦

(٣) الثماء: الماء القليل يتجمع في الشتاء ، وينضب في الصيف

وكد ، واكتد : نزع الشيء بيده

(٤) الديوان ١٥٨

(٥) العكر : جمع عكرة ، وهو القطيع الضخم من الابل

والورق : المال من الابل والغنم

طَيَّ الثياب التي لو كَشَفْتَ وجدت

(١) فيها المعاوز في التفتيش والحرق

وأترك الثوب يوما وهو ذو سعة

وألبس الثوب وهو الضيق الخلق

أكرام نفسي واني لا يوافقني

(٢) ولو ظمئت فحمت ، المشرب الرنق

ولابنيني أن يفهم أن حذر ابن هرمة من الناس وعدم اختلاطه بهم سببه الضعف والخور ، بل أنه بتجنبيهم وهو القوي ، أشار إلى ذلك في قوله : (٣)

أغضي ولو أنسي أشاء كسوته

(٤) جريا وكنت له كشوك العرفط

ومتى ألق فحول قوم مسرة

(٥) عند الشدائد أطفأ أو أتخمط

(١) المعاوز : جمع معوز : وهو خرقان الثياب المبتذلة

(٢) الرنق : الكسندر

(٣) الديوان ١٣٦

(٤) العرفط : شجرة قميرة ذات شوك كثير

(٥) العباب الزاخر (حرف الطاء) ٥٨

ورجل متخمط : شديد الغضب له فورة وجلبة من شدة غضبه

والى نفس المعنى ذهب في قوله : (١)

ولست لأحنك العدو بعدوة ولا حمزة يفتابها المتملح (٢)

وافنخر ابن هرمة بدخوله على الملوك والخلفاء : (٣)

إذا هيب أبواب الملوك قرعتها بطرقه ولاج لها نابه الذكر

وكان ابن هرمة فخورا بموهبته الفنية وقدرته الشعرية ، وكان الناس يعرفون فيه هذه القدرة . فحاول بعضهم أن يسترق شعره ويستعير معانيه ، وهو الذى يقوم على شعره يملحه ويجمّله لينشره بين الناس شعرا متعدد الأغراض . وما إن يسمع به الناس حتى يهيموا بسرقة ويُدعوه لأنفسهم . ولكن عبثا يحاولون إخفاء هذه السرقات . لأنه قادر على تمييز شعره . قال في ذلك : (٤)

أغذو تلالا من الأشعار أصلحها

صلاح ذى الحزم للحاجات والرتل (٥)

أخذو قماند للراو ين باقية

كأنها بينهم موشية الحسل

(١) الفائق في غريب الحديث ٢ : ٤٧٣

(٢) الاحنك : جماعات من الناس ينتجعون بلدا يرعونه

والعدوة : الخلة من النبات

والحمزة : فاكهة الابل

والمتملح : السمين ، يقال : تملحت الابل إذا سمت

(٣) الديوان ١٢٧

(٤) الديوان ١٨٤

(٥) التلال والتلديد : القديم ، والرتل : الطيب من كل شيء

أَمَّا نَسِيْبَا وَأَمَّا مَدْحُ ذِي فَخْرٍ
بِيبَقِي وَأَمَّا أَخَارَا مِنْ ذَوِي خَطَلٍ
حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ أَسْمَاعُهُمْ عَجْبَا
وَاسْتَوْقَفَتْ فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ كَالْعَسَلِ
أَهْوُوا إِلَيْهَا لِفَوْصٍ فِي مَسَارِحِهَا
لَمْ يَقْرَعُوا أُمَّهَاتِ الشَّوْلِ لِلْحَبْلِ (١)
وَمَا أَشَارَكُهُمْ فِي طَرَقِ فَحْلِهِمْ
وَلَا بَسَلِ أَرَاغِيهِمْ وَلَا جَبَلِ
مَا إِنْ أَزَالَ أَرَى وَسَمِي فَأَعْرِفْهُ
فِي ذُودِ آخِرِ مَوْسُومَا عَلَى قَبْلِ (٢)
وَمَا وَسَمَتْ قَلَامَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ
حَتَّى أَتَتْ رَغْمَ الْأَقْيَادِ وَالْعُقُلِ (٣)

(١) الشول : جمع شائله : وهي من الابل ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجسف لبنها .

(٢) الوسم : العلامة

والذود : الابل لايتجاوز عددها الثلاثين ولايقبل عن الثلاث

(٣) القلاص من الابل : الطويلة القوائم

والأقياد : جمع قيد وهو حبل يوضع في رجل الدابة فيمسكها

ولسه في إعجابه بشعره بيتان آخران عرضنا لهما في الحديث عن ثقافته . (١)

ولابن هرمة فخر بلهوه ومجونه . وهي بعض أبيات ذكرها ضمن قصيدة بلغت عشرة أبيات ، قال فيها : (٢)

أما تريني شاحباً متبدلاً
كالسيف يخلق غمده فيضيحُ
فلربّ لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدقوعُ
بأوانس حور العيون كأنها
آرام وجرة جادهنّ ربييعُ (٣)

(١) وهما قوله :

ومن لم يرد مدحي فإن مدائحي
نوافق عند المشتري الحمدي
نوافق عند الأكرمين سوام
نفاق بنات الحارث بن هشام

(٢) الديوان ١٤٥

(٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة . بينها وبين البصرة أربعين ميلاً ، ليس فيها منزل ، فهي مرث للوحش . عجم البداره (كفانة

المدح :

يعتبر المدح من أكثر الموضوعات الشعرية التي نظم فيها ابن هرمة ؛ ذلك أن طبيعة حياته فرضت عليه هذا اللون من الشعر ، فهو دائم الحاجة لأنه مفسد أمواله على عبثه ولهوه . ثم إنه أراد أن يتلون بلون الظروف التي مرت به ، فقد سبق له أن مدح بعض الأمويين مديحا معجبا ، وارتبط ببعض العلويين ثم أدرك العباسيين فانظر ، حينئذ . أن يمدحهم لينال الثقة منهم والأمان لنفسه .

وكنت أقصمت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعباسيين والعلويين ؛ وأريد هنا أن أوجز القول فأقف على غرض المدح في غير المعاني السياسية ، أقصد المعاني التقليدية التي كان الشعراء يصفونها على ومدوحهم . ثم أريد أن أقف على بعض المعاني الجديدة التي نظم فيها ابن هرمة .

وأول ما نلاحظه على معاني المديح التقليدية عنده أنها دارت على نسب الممدوح وحملة وجزءه وكرمه ، وعبء أخلاقه وشرف نفسه ، ثم أضاف إليها معاني جديدة استمدتها من القيم والمثل الإسلامية كالحفاظ على الدين والتثبيت بالحق وتحرر العدل ، ومجانبة الهوى ، ورجاحة العقل وفضاد البصيرة .^(١)

ثم أضاف إلى هذه المعاني مصطلحات إسلامية جديدة كالمديح بلقب الخلافة ولقب أمير المؤمنين .

فمن المعاني التقليدية في المدح ، صفة الكرم ، وهي من أكثر الصفات التي مدح بها ، ذلك أن حاجته إلى كرم الممدوحين أكثر من حاجته إلى الصفات الأخرى فيهم . من ذلك ما أضفاه على الإمام إبراهيم بن محمد

(١) انظر الشعراء من مخزومي الدولتين ٢٩٥

من صفات تقليديه كوضاءة وجهه الذي يشبه ضوء الصباح على عادة الجاهليين ؛ وإشادة بكرمه ، وأرتياحسه للعطاء . حتى أصبح عادة يومية عنده . فهو يجزل للمحتاجين في كل يوم أضعاف ما بذله لهم في سابق يومه : (١)

أغرّ كضوء الصباح يستمطر الندى
ويهتز مرتاحا إذا هو أنفدا
وقلت امرؤ غمر العطيات ماجد
متى ألقه ألق الجوارى أسعدا .
إذا هو أعطى مرة هزه الندى
فعاذ وكان العود بالخير أحمدا
كريم إذا ما أوجب اليوم نائلا
عليه جزيلاً بث أضعافه غمدا

وليس كرم الإمام إبراهيم ككرم الآخرين بل هو يفوقهم فيه . ولا يكاد يلحق به أحد . حتى انه ليجود بما عليه من ثوب إن عز عليه العطاء . (٢)

وموقد نار لم يجد مطفئا لها
أناك فأطفأت الذي كان أوقدا
ولو لم نجد للواقفين ببابه
سوى الثوب ألقى ثوبه وتجردا

ولد في المنصور (٣) وداود بن علي (٤) والري بن عبدالله (٥) أبيات مدحهم فيها بالكـرم .

(١) الديوان ٩٠

(٢) الديوان ٩٠

(٣) انظر الديوان ١٨٩

(٤) انظر الديوان ١٧١

(٥) انظر أنساب الاشراف ٣: ٦٨

ومن ثنائه على ممدوحية بصفتي العفة والشرف ، قوله في محمد بن عمران الطلحي : وكان ابن هرمة هجاء بأبيات مر ذكرها^(١) : ثم أجبر على مدحه اجبارا ، وهو مدح يظهر فيه التكلف ظهورا واضحا :^(٢)

ألم تر أن القول يخلص مدقه
وتأبى فما تزكو لباغ بواطله
ذممت امرءا لم يطبع الذم عرضه
قليلاً لدى تحصيله من يشاكله
فما بالحجاز من فتى ذي إمارة
ولا شرف إلا ابن عمران فاضله
فتى لا يطور الذم ساحة بيته
وتشقى به ليل التمام عواذله^(٣)

وشبهه بهذا مدحه للحكم بن المطالب المخزومي :^(٤)

تصبح أقوام عن المجد والعلل
إذا كدحت أعراض قوم بلؤمهم
فأضحوا نياما وهو لم يتصبح
نجا سالما من لؤمهم لم يكدح

وأما مفتنا الحزم والحلم فأكثر ماتمئلتا في أبي جعفر المنصور ، من ذلك قوله فيه .^(٥)

إذا ما أبي شيئا مضى كالذي أبي
وما قال إني فاعل فهو فاعل

(١) انظر ص ١٦ من هذا الفصل ، وانظر قصة هجائه له في الأغانى ٤ : ٣٩٠

(٢) الديوان ١٧٦

(٣) لا يطور : لا يقرب ، وليل التمام : أطول ما يكون من ليالي الشتاء

(٤) الديوان ٨٣

(٥) الديوان ١٦٧

وهو مع حزمه يعفو عن المخطئين إذا تمكن منهم: (١)

وليس بمعطي العفو عن غير قدرة

ويعفو إذا ما أمكنته المقاتل

أما المعاني الجديدة في المدح فقد أكثر منها ابن هرمة . من ذلك مدحه لعبد الواحد بن سليمان مشيدا بحمافة رأيه ، وتفوقه في قومه وظفره بأعدائه وتغلبه على منافسيه : (٢)

من الجارات أو دمن الرسوم	فدع ما لا يرد عليك شيئا
بمدحه صاحب الرأي الصرور	وقل قولا تطبق مفعليسه
علا خلق النضورة والخصوم	لعبد الواحد الفلج المعلى
خطام المجد في سن الفطيم	دعته المكرمات فناولته

ومن مدحه لداود بن علي والي المدينة لأبي العباس السفاح مشيدا بعظمته واتصال معروفه ، ورجاحة عقله ، وضخامة مكانته: (٣)

تمنع منه سؤاله العلل ^(٤)	أروع لا يخلف العدات ولا
ولا ضعيف في رأيهم ^(٥)	لاما جز عازب مروءته
ويقتل الريث عرفه العجل	يسبق بالفضل ظن صاحبه
خير محل يحله رجل	حل من المجد والمكارم في

(١) الديوان ١٦٨

(٢) الديوان ٢٢٢ والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٧

(٣) الديوان ١٧١ والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٧

(٤) الأروع من الرجال : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤود

(٥) العازب : البعيد المطلب

ماقال أوفت به مقالته
عفوا ولم تعترض له العليل
سالت به شعبة الوفاء إلي
حيث انتهى السهل وانتهى الجبل

وقوله للسري بن عبدالله والي اليمامة للمنصور مشيرا إلى حراسته لعمله ، وعنايته بمصالح رعيته واجتهاده في تحقيق الأمن والاطمئنان لهم حتى ملحت أحوالهم وصفت حياتهم : (١)

نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله
فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة
بسيرة عدل ماتخاف غوائله
بك الله أحيا أرض حجر وغيرها
من الارض حتى عاش بالبقل آكله

ومدح داود بن علي بالهيبة والجلال في قوله : (٢)

والناس يرمون عن شر بأعينهم

كالمقر أصبح فوق المرقب العالي

وخاطب بعض ممدوحيه بالألقاب الاسلامية من ذلك قوله يهنئ أبا العباس السفاح بالخلافة ويعزى في الإمام إبراهيم :

أمروان أولى بالخلافة منكم
أصيبت إذن يمني يدي فشلت (٣)
وقد كان إبراهيم مولى خلافة
بها خضعت صعب الرقاب وذلت
وأوصى لعبدالله بالعهد بعده
خلافة حق لا أمانني ضللت

ومنه قوله يخاطب أبا جعفر المنصور بلقب أمير المؤمنين (٤) :

إليك أمير المؤمنين تجاوزت
بنا بيد أجواز الفلاة الرواحل

(١) الديوان ١٧٥ ، والشعراء ، من مخزومي الدولتين ٣٩٩

(٢) الديوان ١٧٨

(٣) الديوان ٧٠

(٤) الديوان ١٨٢

ووصل المديح عند ابن هرمة إلى درجة الاستجداء ، وإذلال نفسه في الطلب ، ولعل له عذرا في ذلك ، فقد
توصل إلى درجة كبيرة في السوء وبخاصة في مرض وفاته ، إذ أنه طلب المساعدة من بعض معارفه فلم يُؤبه له ، فمدح
محمد بن عبدالعزيز ، بل استجداه ليعطيه شيئا يسدّ به بعض مطالبه قائلا : (١)

إني دعوتك إذ جفيت وشفّني
مرض تضاعفني شديد المشتكى
وحبستُ عن طلب المعيشة وارتقت
دوني الحوائج في عور المرتقى
فأجب أخاك فقد أناف بصوته
ياذا الإخاءويا كريم المرتجى

ولقد جفيت صبيب عكة بيتنا
ذوبا ومزّت بمغوه عنك القذى
فخذ الغنيمة واغتنمني انني
غنم لمثلك والمكارم تُشعري
لا ترمين بحاجتي وقضائها
ضرح الحجاب كما رمى بي من رمي

فأعطاه مئة دينار وأعطاه جعفر بن سليمان مثلها ، ويقال إنه ما أنفق منها إلا دينارا حتى مات .

ومما يلاحظ على بعض مدائحه أنه كان يقدم لها بأبيات اعتذارية ، وذلك حين يكون أتى ذنبا أخطأ
عليه بعض ممدوحيه . فقد اعتذر لمحمد بن عبدالله الحسن حين عرض به وبأخويه في مدحته للحسن بن زياد
يقوله : (٢)

والله أعطاك فضلا من عطيته
على هن وهن فيما مضى وهن

فقال معتذرا في قصيدتين ، قال في الأولى : (٣)

ياذا المنوّه يدعوني لسمعني
مواظبا من جميل رأيه حسن

(١) انظر قصة هذه الأبيات في الاغانى ٤: ٣٧٤

(٤) الديوانه ٢٣

(٣) تاريخ مدينة دمشق (تراجم من العين) ١٦٠

- أقبلُ عليّ بوجهٍ منك أعرفه
لقد أتيت بأمرٍ ما شهدت به
إلا مقالة أقوام ذوى إحسن
لم يُحسنوا الظن إذا ظنوا بذى حسب
- (١) فقد فهمت وسدّ السمع للأذن
ولا تعمدته قمدى ولا سننسى
وما مقالُ ذوى الشحناء والإحْن
- وفيهمُ العذرُ مقرون إلى الطيبين (٢)
وكيف يأخذ مثلي في تخييره
وسط المعاشر محقورا من الثمن
وقد صحبت وجاورت الرجال قلم
أملل إخاءٌ ولم أُعذرُ ولم أُحْن
يا ابن الفواطم خير الناس كلهم
بيتنا وأولاهم بالفوز لا النجبن
إن كنت نحوى فإن الله جابرننا
ولا اجتبار لنا إن أنت لم تكن
وما لبست عناني في مساء تكم
ولا خلعت لغش نحوكم رسني

ففي الأبيات السابقة يعتذر ابن هرمة عمّا وصل إلى محمد بن عبدالله من أخبار لفقها بعض الوشاة الحاسدين لبياعدوا بينهما ، ثم هو ينفي هذه الإساءة عن نفسه إذ ليس من عادته أن يخون صديقا أو يغدر صاحبا له . وكان عليّ محمد بن عبدالله أن لا يؤاخذ ابن هرمة على إساءته تلك ، وإن ثبتت عليه ، لأن مثل ابن هرمة لقيمة له في أوساط الأشراف فيرفع من مستواهم أو يحط من قدرهم .

وتدخل المبالغة في اعتذاريته تلك فيجعل من رضى محمد عليه سببا في رضى الله عليه ، وفي غياب هذا الرضى يخسر شيئا كثيرا .

(١) سدّ : صار سديدا

(٢) الطيبين : الفطنه

وقال في الثانية يعتذر لإبراهيم بن عبدالله أيضا ، عمّا وصل إليه من أخبار سيئة عنه ، فيجعل سبب ذلك من منع الوشاة فبالخوا فيها وأكثروا منهسا ، ثم إنه يقبل أن يقام عليه الحد إن ثبت عليه هذه التهمة : (١)

يا ابن الفواطم خير الناس كلهم	عند الفخار وأولاهم بتطهير
إني لحامل عذرى ثم ناشسره	وليس ينفع عذر غير منشور
وحالف بيمين غير كاذبسة	بالله والبذن اذ كبت لتحرير
لقد أتاك العدا عني بفاحشة	منهم فروها بأسياف وتكثير
قتلت إن كان حقا ثم كان دمي	إلى ولي ضعيف غير منصور
والله لو كان أن ترضى فراق يدي	فارتها بعتيق الحد مطرور

واعتذر لعبد الواحد بن سليمان بعد أن عزل عن المدينة ، وولي عليها رجل من بني الحارث بن كعب فأتاه ابن هرمة ومدحه طمعا أن يهب إليه مثل عبد الواحد ، ولكنه لم يمنع له شيئا ، ثم مالبت أن عسزل الوالي الجديد وقدم عبد الواحد المدينة واليا عليها ، فكتب يعتذر إليه من قميدة أولها : (٢)

صرمت حياثلا من حب سلمى	لهند ما عمدت لمستراح
وفيها قوله يخاطب عبد الواحد :	
أعبد الواحد المحمود إني	أغص حذار سخطك بالقراح
فكلت راحتى وحال مهري	فألقاني بمشجر الرماح
وأقعدني الزمان فبت صغرا	من المال والمعزب والمراج
إذا فحمت غيرك في ثنائى	ونصحي في المغيبة وامتداحي
فإن أك قد هنوت إلى أمير	فمن غير التطوع والسماح
ولكن سقطة عيبت علينا	وبعض القوم يذهب في الرياح
إذا لم ترض عني أو تملني	لفي حين أعالجه متراح

(١) الديوان ١٢٠

(٢) الأغانى ٦: ١٠٧ والديوان ٨٥

الرثاء :

لم يشتهر ابن هرمة بمرثياته كشهرة بغزلياته ومدائحه . ولست أجد تفسيراً لهذه القلة سوى ضياع شعره ، أو قلة وفائه لمن وصله من الخلفاء والامراء والولاة وكبار القوم . إذ ينبغي أن يكون موضوع الرثاء ، منسائياً لموضوع المدح ، مادام الأشخاص الذين مدحهم قد فارقوه وبقي - هو - بعدهم طويلاً .

ومما يلفت النظر أنه أدرك بعض خلفاء الأمويين وبعض ولائهم ، واتصل بهم ، ولكن لم يصل إليهم من شعره في رثائهم إلا بيتان قالهما بعد أن بلغه مقتل الوليد بن يزيد .^(١)

ولسنا نجد مرثيات في العلويين على الرغم من اتصالهم بهم .

ولم يصل إلينا من مرثياته في العباسيين إلا ثلاث قصائد في رثاء الإمام إبراهيم بن محمد على الرغم من أنه أدرك أبا العباس السفاح وأبا جعفر المنصور والمهدى والهادي ومات في عصر الرشيد .

ومما يلاحظ على مرثياته أنها جاءت قصائد مستقلة في الغرض نفسه ، وليست جزءاً من قصيدة كاملة كما كان الأمر عند بعض شعراء الجاهلية والاسلام .

وليست المرثية عند ابن هرمة نوعاً من المشاركة الوجدانية أو المجاملة الإنسانية فقط ، بل إنها تأثرت بالأوضاع السياسيّة كما ذهب الدكتور حسين عطوان^(٢) ، حيث نادى بأن الامام إبراهيم هو صاحب الخلافة الشرعي ، ووارثها الحقيقي ، وأنه لاحق للأمويين فيها ، بل إنه هاجمهم لأنهم ادّعوا حقهم في الخلافة

(١) وهما قوله :

وكانت أمور الناس منبته القوي

فشدّ الوليد حين قام نظامها

خليفة حق لا خليفة باطل

رمى عن قناة الدين حتى أقامها

(٢) الشعراء ، من مخزومي الدولتين ٣٨١

دون العباسيين ، فقال بعد أن رثى الإمام إبراهيم بأبيات : (١)

أمروان أولى بالخلافة منكم
أصيبت إذن يمنى يدي فشلت
وأنتم بنوع النبي ورهطه
فقد سئمت نفسي الحياة وملت
وقد كان إبراهيم مولى خلافة
بها خضعت صعب الرقاب وذلت

وله مرثيتان تجريان على نمط واحد ، وإن تفاوتتا في عدد الأبيات ، فهو يتحسر فيهما على الإمام المقتول ظلما وغدرا ، ويظهر جزعه وجزع الناس كلهم لوفاته . ثم يحاول أن يثبت حق العباسيين في الخلافة ويختمها بمهاجمة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . قال في إحداها . (٢)

قد كنت أحسبني جلدا فضعضني
قبر بحران فيه عضة القين (٣)
فيه الإمام وخير الناس كلهم
بين المفاتيح والأحجار والطين
فيه الامام الذي عمت مصيبتة
وعيلت كل ذي مال ومسكين
إن الإمام الذي ولّى وغادرني
كأنني بعده في ثوب مجنون
حال الزمان بنا إذ بات يعركنا
عرك الصناع أربها غير مدهون

(١) الديوان ٧٠

(٢) الديوان ٢٣٧

(٣) حران : مدينة تقع على طريق الموصل والشام ، كان مروان بن محمد حبس الإمام إبراهيم فيها حتى مات بعد شهرين ، وقيل بل قتل سنة ١٣٢ هـ . معجم البلدان (ص ١١١)

وَأَعْقَبَ الدَّهْرَ رِيْشًا فِي مَنَاكِبِهِ
فَمَا يَزَالُ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَرْمِينِي
فَرَحْمَةَ اللَّهِ أَنْوَاعًا مَضَاعِفَهُ
عَلَيْكَ مِنْ مَقْعَصٍ ظَلَمًا وَمَسْجُونٍ (١)
فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً
لَكِنْ عَفَا اللَّهُ عَمَّنْ قَالَ آمَسِينَ

ومقطوعته الثانية تجرى على النمط نفسه . (٢)

أما قصيدته الثالثة فبلغت واحداً وعشرين بيتاً ، جعلها ابن هرمة قسمين ، قسماً رثى بها الإمام إبراهيم وهجا فيها مروان بن محمد وأثبت حق العباسيين في الخلافة ، وقسماً هنا فيه أبا العباس السفاح لتسلم الخلافة بعد أخيه إبراهيم . (٣)

ولابن هرمة أبيات متفرقة في رثاء أقاربه وبعض قومه . وهي في مجملها تمثل موقفاً فلسفياً تأملياً للدنيا ومن عليها ، وكيف تبدل بهم الحال فأمسوا عظاماً باليات تحت التراب بعد أن كانوا رجالاً أقوياء كالسيوف في المضاء ، فقال : (٤)

وَابْنُ عَمِّ كَالصَّارِمِ الْمَسْنُونِ	كَمْ أَخٍ صَالِحٍ وَعَمٍّ وَخَسَالِ
أَعْظَمًا تَحْتَ مَلْحَدَاتِ وَطِينِ	قَدْ جَلَّتْهُ عَنَّا الْمَنِيَا فَأَمْسَى
يَا الْقَوْمَ لِلْمَيِّتِ الْمَدْفُونِ (٥)	رَهْنِ رَمْسٍ بِبُهْرَةٍ أَوْ حَزِينِ

(١) قعصه : قتله مكانه

(٢) انظر الديوان ٦٩

(٣) انظر الديوان ٦٩

(٤) الديوان ٢٤٢

(٥) بهرة (بالضم) ماء يلي قرقرى لبني امرئ القيس بن زيد بن مناة باليمامة ، وبهرة الوادي : وسطه

وحزير : المكان الخليط المنقاد وجمعه حزان وأحزّه . وهو في مواضع كثيرة من بلاد العرب

سجهم البهراء (بُهْرَة)

ويبدو أن ابن هرمة فقد كثيرا من قومه في أحداث متتاليات فقال يرثيهم لكثرة من قُتِلَ منهم (١).

رِجَالِي أُمِّ هَمِّ دَرَجِ السِّيُولِ	أَنْصَبٌ لِلْمَنْيَةِ تَعْتَرِيهِمْ
وَأَجَلْتُ عَنِ فَوَارِسٍ غَيْرِ مَيْلِ	وَلَوْ كَانَتْ تَفَادِرُهُمْ لَضَجَّتْ
تَعْلَقُ بِالْعَزِيزِ وَبِالذَّلِيلِ	وَلَكِنَّ الْمَنْيَةَ حَبْلٌ قَسْرٌ

(١) شرح أبيات سيويه (لابن مرزبان السيرافي) ١ : ١٨٩

الوصف :

الوصف من أكثر الأغراض دورانا في الشعر العربي ، وإليه ترجع كل الأغراض الأخرى كما ذكر ابن رشيق (١) . إلا أن موضوعات الوصف اختلفت من عصر إلى آخر ، وهو اختلف فرضته طبيعة الحياة وتنوع البيئات ، فموضوعات الوصف في العصر الأموي تختلف نوعا ما عن موضوعات الوصف في العصر الجاهلي ، وهي في العصر العباسي تختلف عن العصرين السابقين . واختلف البيئة في الأندلس أحدث الوانا جديدة فيه .

ومما يلاحظ على غرض الوصف في الشعر الجاهلي والأموي بصورة عامة ، أنه لم يكن يشكل قصائد مستقلة ، وإنما كان جزءا من القصيدة ، فقد تظهر بعض صورته في المقدمات الغزلية والطلبية ، وما يتبع هذا الجزء من تصوير الرحلة في الصحراء ، فيصفون الأبل والخيل وبقر الوحش وحُمُرَه ، وقد يصفون شيئا من حياة الصحراء وما يقع فيها من صراع بين حيواناته .

وقد تظهر بعض صورته الأخرى في موضوعات المدح والرثاء والهجاء والفخر .

وابن هرمة واحد من الشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي شطرا من حياتهم ، ولست أشك في أنه اطلع على الشعر الجاهلي وحفظ منه الكثير . ولذلك ظل متأثرا بنموذج الشعر العربي التقليدي وخاصة شعر الوصف على الرغم من أنه أدرك جزءا من الحياة العباسية المتحضرة ، إلا أنه لم يتأثر تأثره بالحياة البدوية .

والمطلع على شعر الوصف عند ابن هرمة يدرك أنه شاعر تقليدي في موضوعاته ومصوره وألفاظه .

(١) انظر العمدة ٢ : ٢٢٦

وإذا استثنينا الوصف الذي يكون جزءاً من قصيدة ، فإننا نجد له أبياتاً في الوصف ليست مرتبطة
بغرض من الأغراض ، وإنما هي أبيات قصد فيها الوصف قصداً ، وهي الأبيات التي سنجعلها موضوع
حديثنا .

فمن الموضوعات التي تطالعنا في شعر الوصف عنده وتمثل تمسكه بالتراث الشعري الجاهليسي ،
ذكر القفار والفلوات والبوادي مبينا شدة حرها نهاراً وسوادها ليلاً . في قوله : (١)

وهاجرة تنجي من الصب جاره

قطعت حشاها بالعريدة الصهب

إليك ومسوداً من الليل دامس

إذا انتزع النوم العمي من الركب

أما حيواناتها فذكر منها الإبل والنياق . فناقته نشطه عند الرياح ، وهو الوقت الذي تكبل فيه الإبل .
وشبه ظلها الذي يلازمها بولدها الذي يمشي إلى جانبها ، وذلك من شدة سرعتها فقال : (٢)

ترى ظلها عند الرواح كأنه إلى دقها رأل يخب جنيب (٣)

(١) الزهرة ٢ : ٢٣٧

(٢) الديوان : ٦٠

(٣) الرأل : ولد الناقة

والدَّف : الجنب من كل شيء

وجنيب : الذي يمشي بجانبها

وشبه ناقته ، في صورة أخرى . بالسفينة العظيمة التي يصرّفها الربّان فقال : (١)

كأنّها قانس يصرّفها النـو
تي تحت الأمواج عن حشّفه (٢)

وله وصف للابل وما لاقتنه من التعب لكثرة السفر ، فتغير لونها من البياض إلى السواد ،
وقد دمي سنامها لثقل الحمولة وطول الرحلة ، قوله : (٣)

بدأنا عليها وهي عيس فأصبحت
من السير جونا داميات الغوارب (٤)

وذكر الكلب واستقباله الضالين في الصحراء ليلا فينبح ليوقظ أصحابه فينحروا لاضيافهم ، ولو
استطاع هذا الكلب حديثا لرحب بهم . فقال : (٥)

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه
ليسقط عنه وهو بالثوب معمم (٦)

(١) الفائق في غريب الحديث (للزمخشري) ١ : ٢٦٢ والغاب الزاخر ٩٨

(٢) القانس : السفينة العظيمة

(٣) والحشفة : صخرة تنبت في البحر . أو هي صخرة لينة حولها سهل من الارض

(٤) الديوان ٦٦

(٥) العيس : الابل البيضاء ، يخالط بياضها شيء من الشقرة

والجون : جمع جون وهو الاسود

(٦) أمالي المرتضى ٢ : ١١٣ والديوان ٢٠٠

(٦) المستنبح : الرجل التائه في الصحراء وينبح ليسمعه كلب في الليل فيرد عليه . وكانت العرب تزعم أن

سارى الليل إذا أظلم عليه وادلهم فلم يستنبح محجة وضع وجهه على الأرض وعوى عواء الكلب لتسمع ذلك

الصوت الكلاب إن كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الأبيات .

المعمم : الممسك بالشيء

- (٧) لينبح كلب او ليفزع نوم
(٨) له معاتيان المهيين مطعم
(٩) يكلمه من حبه وهو أعجم
- عوى في سواد الليل بعد اعتسافه
فجاوبه مستمع الصوت للقري
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا

ومن حيوانات الصحراء التي ذكرها ابن هرمة ، الأسد ، ذكره في بيتين هما
قوله : (١)

- أسد في الغيل يحمي أشبلا
مطرق يكذب عن أقرانه
قلما يعتاده فيه القرم
ينقض الكلم إذا الكلم التأم

ومن موضوعات الوصف عنده وصف الغيث والسحاب والمطر ، وجريان الماء في السيول ، فمن وصفه
الغيث وما سببه من كثرة ماء سالت به الأودية ، وكثرة نبات أفادت منه الإبل العشار فوضعت ولدها كأثام
ما يكون خلقا ونضجا ، وأفادت منه الأرض زينة وسهجة قوله : (٢)

- أم المخبر أن الغيث قد وضعت
منه العشار تماما غير إحداج
شقت سوائفها بالفرش من ملل
إلى الأعارف من حزن وأولاج
حتى كأن وجوه الأرض ملبسة
طوائفا من سدى عصب وديباج

(١) الديوان ٢٠٠

(٢) الديوان ٧٧

- (٣) العشار من النوق : هي التي مضى على حملها عشرة أشهر .
وأجدبت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام
(٤) شقت : انفطرت عن النبات ، والسوائف : جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد
والفرش : واد بين غميس الحمائم وملل .

وملل : واد ينحدر بين مكة والمدينة

والاولاج : ما غمض من الارض واحده ولجه

(٥) العصب : الشباب اليمانية ، وقبل هو الخرز يتخذ قلائد

وله أبيات في وصف سحابة منهادية ، كأن البرق يلعب في جنباتها ليلا ، فشبهه ببرص في عنق امرأة هندية سمراء ، ثم وصف ماسكبت هذه السحابة من ماء غزير غطى وجها لارض وأنزل الوعول من قمم الجبال يقول : (١)

ق في أسحم لمّاح	* ألم تأرق لضوء البرر
قد شيببت بأوضح (٢)	* كأعناق نساء الهند
ف يزجي خلف أطلاق (٧)	* توأم الودق كالزاجح
سلب بالعاء سخّاح	* و سخّ الماء من مستح
شجوج غير نشّاح	وحطّ العصم يهويها
ن يمشى خلفه الماحي	* ثقال المشي كالسكرا

وله في وصف الليل والمطرُ فيه قولسه : (٤)

ومصوّت والليل يرهى رحله

وسواد عيّته بسارى الققط (٥)

وذكر سيلا يجري فيه الماء : (٦)

ماحازت العفر من شعالة فالرو *

حاء منه مزعوبة المسل (٧)

(١) الحيوان ٦: ١٢٦ والديوان ٨٨

(٢) التؤام : جمع توأم وهو المزدوج، والرزق : المطر

والأطلاق : جمع طلح وهو البعير الذى لحقه الكلال والإعياء

(٣) النشّاح : قليل الماء

(٤) العباب الزاخر (حرف الطاء) ١٦٧

(٥) الققط : الصغير من القطر ، وقيل : صغار البرد الذى يتوهم بردا أو مطرا

(٦) تهذيب اللغة (للزهري) ٢: ١٤٩ وشرح أشعار الهذليين ٣: ١٤١ مع اختلاف الرواية في البيت

(٧) العفر : ناحية في المدينة

ومزعوبة : مملؤه

وأفرد ابن هرمة مقطوعة للنجوم والكواكب ، ووصف هيئاتها وألوانها وحركاتها العجيبة ، ولعل هذه الأبيات تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة في شعره . غير أنه لم يستجب لكل مظاهر الحياة الجديدة . فلسنا نجد في شعره من دلالات تطور الحياة غير هذه الأبيات على العكس من غالبية شعراء القرن الثاني . فإنهم " لم يدعوا مظهرا من مظاهر الحياة المادية الجديدة التي تقع تحت أبصارهم إلا وصفوه في دقة وتفصيل فوصفوا المتنزهات وأنواع الأزهار المختلفة والجسور والقصور " . (١)

وظل ابن هرمة مستجيبا للحياة القديمة مشدودا إليها ، ومقطوعته في النجوم والكواكب مليئة بالصورة القديمة ، فبنات نعش في استدارتها تشبه بقرات الوحش خلفها أولادها . ونجم الجدى كالرجل الوحيد الذي لا يجد من ينمره ويسانده، والعيوق الذي يبقى في السماء ولا ينيب مع نجوم المجرة الأخرى كالشور يُضرب بدل البقر حين تعاف الشرب ، قال في ذلك : (٢)

وبنات نعش يستدرن كأنها

بقرات وحش خلفهن جآذر^(٣)

والفرقدان كما حبين تعاقدا

تالله تبرج أو تزول عتايير^(٤)

والجدى كالرجل الذي ما إن له

عضد وليس له حليف ناصر^٥

وتزاور العيوق عن مجداته

كالشور يُضرب حين عاف الباقر^(٥)

(١) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٤٥٨

(٢) الأزمنة والأمكنة ٢: ٢٣٣ ، والديوان ١١٤

(٣) بنات نعش : سبعة كواكب تشاهد من جهة القطب الشمالي وهي بنات نعش الكبرى ، وبقرها سبعة كواكب

أخرى تسمى بنات نعش الصغرى . جآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقر الوحشية .

(٤) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي يُهتدى بهما

(٥) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة . والباقر : البقر وكانت العرب تضرب الثور بدلا من

ضربها البقر حين تمتنع عن الشرب لتفزع هي فتشرب .

ولعل أَوْضَحَ ما يُمَثِّلُ نَزْعَةَ حَبِّ القَدِيمِ وَالتَّمَسُّكَ بِهِ عِنْدَ ابْنِ هَرْمَةَ أَيْبَاتِهِ فِي وَصْفِ الأُتَاغِيِّ وَالرَّمَادِ: (١)

نَبْكِ عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ

(٢) وَجَوَاتِمِ سَفْعِ الخُدُودِ رَوَاكِدِ

عُرَّيْنِ مِنْ عُقْدِ القُدُورِ وَأَهْلِهَا

فَعَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لِابْسِدِ

فوقينه عبث الصبا فكأنه

(٣) دَنَفٌ يَرِنُّ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ

وَمِنْ جَمِيلِ قَوْلِهِ يَصِفُ حَيَا اِجْتَمَعُوا لَيْلَةَ سَكْرٍ فَاخْتَلَطَتْ فِيهِ أَصْوَاتُ الخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالنِّسَاءِ
يَنْظُرْنَ إِلَى القَوْمِ خَفِيَّةً: (٤)

فِي حَاضِرٍ لَجِبٍ بِاللَّيْلِ سَامِرِهِ

(٥) فِيهِ الصَّوَاهِلُ وَالرَّايَاتُ وَالْعُكْرُ

وَخَرْدٌ كَالْمَهَا حُورٌ مَدَامِعِهَا

(٦) كَأَنَّهَا بَيْنَ كَثَيَانَ النِّقَا البَقْرُ

(١) ديوان المعاني ١: ٢٨٩ والديوان ١٠٤

(٢) سفح: جمع أسفع وهو الأسود المائل إلى الحمرة

(٣) الدنف: المريض، رنّ الدمع: بكى بصوت مرتفع

(٤) الأغاني ٦: ١١٩، والديوان ١١٨

(٥) الحاضر: الحي العظيم، والسامر: المتسامرون، والصواهل: جمع صاهل وصاهلة وهو الفرس

والعكر: القطعة من الإبل قيل ما بين مئة إلى خمس مئة

(٦) الخرد: جمع خريدة، قصد بها الفتاة البكر

الشيب والخمر والحكمة :

ليس لابن هرمة من أبيات في ذكر الشيب إلا ثمانية عشر بيتا هي كل ما وصل إلينا من شعره المجموع .

وأرجح أن تكون الأبيات التي وصلت إلينا في ذكر الشيب أجزاء من قصائد لا أبياتا مستقلة بذاتها ، ذلك أن بعض الأبيات تدل على أنه مرتبط بكلام سابق عليه ، فمن ذلك قوله : (١)

سوى أن رأين الشيب أبيض واضحا

كأن الذي بي لم ينل أحدا قبلي

ومثله قوله : (٢)

فقلبت أما تريني قد تخونتي

دهر أئت بهذا الناس مقلوب

قد روج الشيب في رأسي غريبته

فما له عن شواة الرأس تغريب

والبيت فيه حوار كما يبدو ، فكانت قالت له قولا فرد عليها بهذا البيت .

وقد ربط ابن هرمة ، شأنه شأن غيره من الشعراء بين الشباب والحب واللذة ، فالشباب عنده هو المتعة والحياة . والشيب هو الحرمان والذبول والموت ، صرح بهذا في قوله : (٣)

ابيض ما اسود من فودية وارتجعت

جليّة الصبح ماقد أغفل السحر

وللغتي مهلة في الحب واسعة

مالم يمت في نواحي رأسه الشعر

قالت : مشيب وعشق رحمت بينهما

وذاك فسي ذاك ذنب ليس يُغتفر

(١) الديوان ١٨٩

(٢) الديوان ٥٩

(٣) الديوان ١١٨

وقد يكون الشيب عنده مصدرا من مصادر التوبة والرجوع عن الخطأ كما في قوله (١):

أقصرت عن جهلي الأنتى وحلمني

زرع من الشيب بالفودين منقود^٢

والشيب ينبغي أن يزجر صاحبه عن فعل السوء في قوله: (٢)

في الشيب زجر له لو كان ينزجر
وبالغ منه لولا أنه حجر

اذ لا عذر للشيوخ إن أخطأ . وغالبا ما تلتمس الأعذار للشباب حين يخطئون: (٣)

عجبت جارتى لشيب علائي
إنما يُعذر الوليد ولا يعر
عمرك الله هل رأيت بدياً
بذر من عاش في الزمان عتياً

والشيب عنده ، سبب في ابتعاد المرأة عنه وزهدا فيه: (٤)

لئن أيامنا أمست طوالا
رأيت الغانيات نفرن لماً
وما ينكرون من قمر منسیر
لقد كنا نعيش بها قصارا
رأين الشيب البسنى عذارا
بُعید شبابہ لقي السّارارا

أما الخمر فليس بين أيدينا من شعره المجموع ما يدل على أنه نظم فيها قصائد تدل على ولعه بها ، على الرغم من أنه كان منهوما بالشراب لا يكاد يبصر عنه .

وقد تكون له قصائد إلا أنها ضاعت فيما ضاع من شعره ورجح الدكتور حسين عطوان أن يكون شعر الخمر ضعف في كميته وكيفيته ضعفا واضحا عند الشعراء ، من مخضرمي الدولتين في مدن الحجاز . (٥)

(١) الديوان ٩٨

(٢) الديوان ١١٨

(٣) الديوان ٢٤٦

(٤) الديوان ١١٠

(٥) الشعر من مخضرمي الدولتين ٣٩٩

وتحدثت في الفصل الاول من هذه الدراسة أن ابن هرمة حُدّ في الخمر غير مرة ، وهُدده الحسن بن زيد ليضاعفن له العقوبة إن أتى به سكران ، وعاتبته زوجته على إدمانه الخمر .

ويبدو أن ابن هرمة كان شارباً للخمر لا واصفاً لها ، وقد وقفت له على أربعة أبيات افتخر فيها بكرمه ، وقمة الكرم عنده أن يسقي ضيوفه الخمر ، وهو حريص على أن يحسن الضيافة لندمائه ، فيسقيهم من أول الكأس لا من فضلته : (١)

هَلَمْ أَسْقِي كَأْسًا وَدَعَّ عَنْكَ مَا أُبِي

وَرَوَّ عِظَامًا قِصْرَهْنَ إِلَى بِلِي

فَبِإِنْ تَدِيئِي غَيْرِ شَكِّ مَكْرَمٍ لِسَدِي

وَعِنْدِي مِنْ هَوَاهُ الَّذِي ارْتَضَى

وَلَسْتُ لَهُ مِنْ فَضْلَةِ الْكَأْسِ قَائِلًا

لَأُصْرَعَةَ سَكْرًا تَحَسَّ وَقَدْ أُبِي

وَلَكِنْ أَحْيَيْهِ وَأَكْرَمِ وَجْهَهُ

وَأَشْرَبِ مَا بَقِيَ وَأَسْقِيهِ مَا اشْتَهَى

ولسنا نقف له فيما وصل إلينا من شعره الخمرى ، على صور ومعان جديدة ، بل هو يعرض بعض المعاني والصور الجاهلية المتداوله كما ذهب الدكتور عطوان^(٢) ، من ذلك قوله مشبهاً رائحة فم صاحبة بالخمر .^(٣)

بَعْدَ غُبُوبِ الرِّقَادِ وَالْعَلَلِ

شَبِيتُ بِمَاءٍ مِنْ مِزْنَةِ السَّبِيلِ

كَأَنَّ فَاهَا لَمَنْ تَوَنَّمَهُ

كَأَنَّ فِلَسْطِيَّةً مَعْتَقَةً

(١) قطب السرور في أوصاف الخمر - ١٢٠

(٢) الشعراء من مخزومي الدولتين ٢٩٨

(٣) الديوان ١٨٦

بنية القصيدة :

تكاد القصيدة الجاهلية تكون المقياس والنموذج الذي اتخذته الشعراء فيما بعد ، واتبعوه

في نظم قصائدهم .

وابن هرمة أحد الشعراء الذين تمسكوا بنموذج القصيدة الجاهلية ، وتمثلوه منهاجا وبنساء؛

ذلك أنه عاش شطرا كبيرا من حياته في العصر الأموي "إذ كان الشعر الجاهلي هو التراث الأ واحد للشعراء في العصر الأموي ، منه يتعلمون وعليه يتخرجون" (١) .

وتعترض الدارس لشعر ابن هرمة بعض الصعوبات من أهمها صعوبة الوقوف على قصائد كاملة

تمثل نمط القصيدة عنده من وقوف على الأطلال ، ومقدمات غزلية ووصف للمرحلة والظعائن ثم الانتقال إلى الموضوع الرئيسي فيها .

ثم إن الدارس لشعره سيجد أبيات القصيدة الواحدة موزعة في أماكن مختلفة في المصادر ،

لا يكاد يربطها بالأبيات الأخرى إلا الوزن والقافية وحركة الروي ، ولم يقم الدكتور المعبود ، جامع ديوان ابن هرمة ، بلم شعث القصيدة الواحدة في نسق واحد ، وإنما ترك كل بيت أو مجموعة أبيات فسي مقطوعات مستقلة . غير أننا نستطيع أن نقيم دراستنا الغنية لشعره على ما وصل إلينا من أشباه القصائد .

وسأتناول في الدراسة الغنية للقصيدة عنده المقدمة وحسن التخلص وطول القصيدة

والخاتمة .

أما مقدمات القصائد فقد تنوعت موضوعاتها ، فمنها ما كان في الوقوف على الأطلال ومنها

ما كان في الغزل ، وآخر تناول الشيب والطيف .

(١) في الشعر الاسلامي والأموي ٣١٣

ولست أشك في أن ابن هرمة اتصل بالتراث الشعري الجاهلي ، وحفظ منه الكثير ثم تمثله

تمثلاً واضحاً .

وأول دلالات هذا التمثل مقدمات قصائده ، إذ يغلب عليها المقدمات الطللية ، فقد بلغ

عدها عشرين مقدمة تمثل عشرين قصيدة ، غير أن جزءاً كبيراً من هذه القصائد لم يمل إلينا ، ولم يبق منها إلا هذه المقدمات التي قد تبلغ بيتاً أو أبياتاً معدودات . وبعض هذه المقدمات جاء مرتبطاً بموضوع القصيدة الرئيسي ، ولكن يبدو أن مقدمات قصائده سقطت منها أبيات كثيرة . كما سقط من موضوعات قصائده أبيات كثيرة أيضاً .

ومن أمثلة المقدمات الطللية عنده وقوفه على الديار بعد تغيير رسمها بفعل الرياح والأمطار

وما بعثه هذا الوقوف في نفسه من الحرقه والألم ، قوله (١) :

حيّ الديار بمنشد فالمنتضى	فالهضب هضب رواوتين إلسى لأى (٢)
لعب الزمان بها فغير رسمها	وخريقه يُفتال من قِبَل الصّبا
فكأنها بليّت وجوه عراصمها	فبكيّت من جزع لما كشف البلى

وذكر في مقدمة أخرى رحيل صاحبه إلى مكان آخر بعيد وأنهما عز عليهما اللقاء (٣) :

غدا بل راح واطّرح الخلاجـ	ولما يقض من أسماء حاجـ
وكيف لقاؤنا بعفاريسـ	وقد قطعت ظعائنها النباجـ (٤)
يسوق بها الحداة مشرقـ	رواحاً بالتنوفة وادلاجـ
على أحداج مكرمة عـ	تربعت اللقيطة أو سواجـ (٥)

(٢) منشد : موضع بين رضوى وبين الساحل ، وهو جبل من حمراء المدينة والمنتضى ورواه : واديان بين الفرع والمدينة .

ولأى : من نواحي المدينة .

(٣) الديوان ٧٥

(٤) العفاريات : واد بنواحي العقيق ، والنباح : ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم في الجزيرة القريبة .

(٥) اللقيطة : قيل ماء لغني بينها وبين (مذعا) يومان الا قليلا . وسواج اسم لعدة جبال في الجزيرة العربية .

ووقف على بعضها وسألها عن أهلها فلم تطق جواباً (١) :
أفي طلل قفر تحمّل آهلته
وقفت وما العين ينهلّ هاملته
تسائلُ عن سلمى سفاها وقد نأت

بسلمى نوى شحط فكيف تسائلته

وترجو ، ولم ينطق وليس بناطق

جواباً محيلاً قد تحمّل آهلته (٢)

ودعا لديار صاحبتة بالسقيا في مثل قولــــه (٣) :

أدار سلمى بين يئّن فمشمــــر
أبينى فما استُخبرت إلا ليتُخبري (٤)

أبينى حبتك البارقات بوبلهــــا
لنا منسما عن آل سلمى وشغفر (٥)

(١) الديوان ١٧٤ وانظر أيضاً عن ١٠١ ، ١٥٥ ، ٢٠٦

(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيّرتة

(٣) الديوان ١٢١

(٤) يئّن : ناحية من أعراض المدينة على بريد منها ، وهي منازل أسلم بن خزاعة ، ومثعر : مــــاء
لجهينة .

(٥) البارقات : جمع بارقة وهي سحابة ذات برفق ، والمنسم : العلامة أو الطريق .

أما مقدماته الغزلية فأنت في المرتبة الثانية ، إذ بلغ عددها في ديوانه عشر مقدمات فقط ، وما ذكره فيها وصرّفه لماحبته بالبخل في الوصال في قوله (١) :

(٢) إن سُلِمى والله يكلؤها
ضنّت بشئ ما كان يبرزؤها
(٣) وعودتني فيما تعودتني
أظماء وُرد ما كنت أجزؤها
(٤) وبكى من أجلها في قوله

ألا إن سلمى اليوم جذت قوى الحبيل
وأرضت بنا الأعداء من غير ما ذحبل
(٥) كأن لم تجاورنا بأكناف مشعل
وأخزم أو خيف الحميراء ذى النخيل
فان تيكها يوما تبتك بعولسة
على لطف في جنب سلمى ولا يسذل

وتمنى عودة أيامها معه وأن يجمعه بها مكان واحد (٧) :

هل ما مضى منك يا أسماء مرردود
أم هل تقضت مع الوصل المواعيد
أم هل لياالك ذات البين عائدة
أيام يجمعنا خلص قبل مرردود

-
- (١) الديوان ٤٨ وانظر أيضا ٢١٦
(٢) يكلؤها : يجرسها ، وضنّت : بخلت ، ويرزؤها : ينقصها
(٣) الأظماء : جمع ظمأ وأرلو أنها تمله مرة وتقطعه أخرى ، وأجزؤها : أى اجتزى منها كما تجتزى ،
الظباء بأكل الرطب من الكلال فلا تشرب الماء .
(٤) الديوان ١٨٨ وانظرا أيضا ١٤٣ ، ٢٠٩
(٥) الذحل : الشار
(٦) خيف الحميراء : في أرض الحجاز ، وأخزم : جبل قرب المدينة
(٧) الديوان ٩٧ ، وانظر أيضا ١٤٣
(٨) خلص موضع بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل ، وبلدود : موضع من نواحي المدينة .

وله مقدمة واحدة في الشوق فمدح بها السريّ بن عبد الله في اليمامة يقول فيها (١) :

إنَّ الحمامة في نخل ابن هسّاجٍ هاجت صباة عاني القلب مهتاجٍ

وله مقدمة أخرى في الشيب وهي قوله (٢) :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه هَجَّـرُ

وثمة شيء آخر يتعلق بمقدمة القصيدة وهو الحديث عن مطلعها ، واعتبر النقاد المطلع

مفتاحا للقصيدة (٣) ، واشتروا فيه شروطا منها أن يكون بارعا حسنا بديعا فيه تنبيه وإيقاظ لنفس

السامع ومدعاة إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده (٤) . ومنها أن يكون المطلع ملائما لموضوع القصيدة

ومما قاله حازم القرطاجني في هذا الصدد " ٠٠٠ وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتاح مناسباً

لمقصد المتكلم من جميع جهاته ، فإذا كان مقصده الفخر كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ

والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بها ، وتفخيم وإذا كان المقصد الشيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون

فيه رقة وعذوبة " (٥)

أما مطالع قصائد ابن هرمة فتمثلت فيها شروط النقاد القدامى إذ الحسن والبراعة صفة

واضحة من صفات بعض مطالعه ، يشهد بذلك قصيدته التي اعتذر فيها إلى عبد الواحد بن سليمان حين

ولي المدينة بعد أن كان عزل عنها ، وعين عليها غيره ، فمدحه ابن هرمة ، فما لبث أن عزل الوالسي

الجديد وأعيد عبد الواحد . ومقدمة القصيدة تظهر هذه البراعة في الاعتذار بعد أن تقلّب في مواقفه

من عبد الواحد ومال إلى الوالي الجديد ، فعبر عن ذلك تعبيراً فنياً جميلاً تمثل في معاتبته صديقا له

قطع علاقته بصاحبه سلمى ليرتبط بفتاة أخرى اسمها هند طامعا منها بمزيد من الوصال ولكنه لم يحفظ

منها بشيء ، فندم على ذلك حين خسر وصال الاثنين .

(١) الديوان ٧٦

(٢) الديوان ١١٨

(٣) انظر العمدة ١ : ٢١٧

(٤) كتاب المناعتين ٤٣٥

(٥) منهاج البلاغ ٢١٠

قال في ذلك (١) :

صَرَفْتُ حَبَائِلًا مِنْ حَبِ سَلْمَى لَهْنِدِيمَا عَمَدَاتٍ لِمَسْتَسْرَاحِ
فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُقِيمَ لَا تَلْقَ هُنْسِدَا وَأَنْ تَرَحَّلَ فِقْلَبِكَ غَيْرَ مَسْرَاحِ
يَظَلُّ نَهَارَهُ يَهْذِي بِهِنْسِدَا وَيَأْرُقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّبْرَاحِ

وأما مطابقة المطلع لموضوع القصيدة من الجزالة والفخامة في موضوع الفخر والمدح فتمثله

هذه المقدمة التي تميّزت بكثرة استعماله لحرف الطاء وهو الملائم للفخامة والقوة التي سيعبر عنها موضوع

الفخر في القصيدة (٢).

طَرَقْتُ عَلَيْهِ صَحْبَتِي وَرَكَابِي أَهْلًا بِطَيْفٍ عَلَيْهِ الْمُنْتَابِ (٣)
طَرَقْتُ وَقَدْ خَفِقَ الْعَتُومُ رِحَالَنَا بَتْنُوقَةٍ بِيَهْمَاءِ ذَاتِ خَسْرَابِ (٤)
هَلَّا سَأَلْتُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَحْمَلَتْ وَعَفَّتْ مَطِيَّةَ طَالِبِ الْأَسْبَابِ

وتستمر هذه الجزالة لتلائم الموضوع الرئيسي للقصيدة ، حيث استعمل المزيد من الحروف

القوية في مخارجها لتدل على قوة صاحبها. تمثل هذا في استعماله لحروف الدال والطاء والصاد والضاد في قوله (٥).

وَعَدَا الرِّعَاءَ مَعْطَلِي أَقْدَامِهِمْ لَشَعَالِبٍ بِشِوُونِهَا وَذُنُوبِهَا
وَمَكَاشِحَ لَوْلَاكَ أَصْبَحَ جَانِحَا لِلْمَلَمِّ يَرْقِي حَيْتِي وَضَابِيبِي (٦)
هَلْ دُمَّ مِنْ أَحَدٍ أَرَادَ خَلِيْعَتِي أَمْ هَلْ تَعَدَّوْا سَاحَتِي وَجَنَابِي

(١) الديوان ٨٥

(٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي ٤٣

(٣) المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى

(٤) اليهماء : الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرفها

(٥) المصدر السابق ٤٣

(٦) المكاشح : العدو

ومن أمثلة الرقة والعدوبة في مطالعة قوله متغزلا ، وقد استعمل منه الحروف السهلة المخارج

اللينة في النطق متمثلة بحرف النون المتكرر بث مرات في بيتين إضافة لحرف السين والهاء والشين (١)

أفاطم إنَّ النَّايَ يُعَلِّي ذوى الهوى

ونأيلك عني زاد قلبي بكم وجسدا

أرى حرجا ما نلت من ودِّ غيركم

ونافلة ما نلت من ودِّكم رشدا

ومن شروط المطلع أيضا أن يكون مصرعا ، والتصريع " تصيير مقطع المصراع الأول من البيت

الأول من القصيدة مثل قافيتها (٢)

والتصريع عند النقاد دليل على قدرة الشاعر وسعة فصاحته واقتدار بلاغته (٣) ، ونوعوا

بقيمته في مطلع القصيدة لأنه " يميّز بين الابتداء وغيره ، ويُفهم منه ، قبل تمام البيت رويّ القصيدة (٤) .

والتزم ابن عمرة بالتصريع في كثير من مقدماته التزاما دقيقا ، ومن أمثلة مطالعه المصرعة

قوليه (٥) :

قضى وطرا من حاجة فترّوحسا

على أنه لم ينسَ سلمي ويبدحسا

وقوليه (٦) :

هل ما مضى منك يا أسماء مرردود

أم هل تقضت مع الوصل المواعيسد

- (١) الديوان ٩٥
- (٢) نقد الشعر ٥١
- (٣) انظر العمدة ١ : ١٧٤
- (٤) بناء القصيدة ١٧٤
- (٥) الديوان ٧٨
- (٦) الديوان ٩٧

والأمثلة على ذلك في ديوانه كثيرة.

ولمّا كانت القصيدة العربية متعددة الأغراض في الغالب فقد اشترط النقاد على الشعراء حسن الخروج من جزء إلى جزء، خروجاً يُشعر بالتحام الأجزاء، وتماسكها، وهذا ما أطلقوا عليه "حسن التخلص" وعرفه ابن حجة الحموي بأنه "استطراد الشاعر المتمكن من معنى الآخر يتعلق بممدوحه بتخلّص سهلٍ جلتُه اختلاسا رشيقا، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقّع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما" (١).

ويستنتج من قول الحموي أن النقاد لم يحدّدوا الموضوعات التي يتخلص منها إلى غيرها، وهذا ما قاله أيضا ابن رشيّق "وأولى الشعر بأن يسمى تخلّصا ما تخلّص فيه الشاعر من معنى إلى معنى" (٢). وطريقة القدماء في التخلص من موضوع إلى آخر قولهم (رع ذا) أو (عدّ عن ذا) وقد يتخلصون ب (إنّ) المشددة.

ويبدو أن ابن هرمة أخذ بطريقة الشعراء القدامى في التخلص، فمن أمثلة تخلّصه من المقدمة الطللية إلى المدح ب (رع ذا) قوله يمدح السرى بن عبد الله (٣).

عوجا نحبي الطول بالكثب

لماجد الجد طيّب النسب

دع عنك سلمى وقل محبّرة

والوصفاء الحسان كالذهب

الواهب الخيل في أعنتها

(١) خزنة الادب ١٤٩

(٢) العمدة ١ : ٢٣٧

(٣) الديوان ٦٨

(٤) حبر الشعر : حسنه وأجاده

ومنه قوله يمدح عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (١) .

فَالَا تَوَاتِ الْيَوْمِ سَلَمَى فَرِيْمَسَا
شربنا بحوض اللهبو غير المر نسق
فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها
وأجريت فيها شأو غرب ومشرق
ولكن لعبد الله فانطق بمدحـة

تجيرك من عمر الزمان المطبـسق
وتخلص من الغزل المدح ب (إن) المشددة في قوله (٢)

أرقتني تلومني أم بكـسر	بعد هده واليوم قد يؤذيني
قلت لما هبت تحذرتني الدهر	دعي الطوم عنك واستيقيني
إن ذا الجود والمكارم إبراهيم	يعينه كل ما يعنيني

وإذا كان التخلص بغير تلك الأدوات سمي اقتضاباً واقتضاباً "أن يقطع الشاعر كلامه ، ويستأنف كلاماً غيره من مدح أو هجاء ، ولا يكون للثاني علقه بالأول (٣) .

(١) الديوان ١٥٩

وتخلص ابن هرمة من الغزل الى المدح بقوله (د ع)

في القطعة ٢٤٧ صفحة ٢٢٢ بيت ١٣

(٢) الديوان ٢٤٠

(٣) بناء القصيدة العربية ٢٢٨

من ذلك قول ابن هرمة يمدح السري بن عبد الله ، وقد بدأ القصيدة بمقدمة في الشوق ثم ذكر بعض الأماكن وما أصابها من مطر غير ملامحها فاكتست أرضها عشبا رائعا، ثم تذكّر ابنه (عبيا) وما هيّجه إليه من شوق في بعده عنه ثم ذكر رلو بيته ابن زبنج وبكائه في الليل وانتقل بعدها فجأة لمدح السري :^(١)

أأحمافة في نخل ابن هـداج	هاجت صباة عاني القلب مهتاج
أم المخبر أن الغيث قد وضعت	منه العشار تماما غير إحداج ^(٢)
شقت سوائفها بالفرش من ملل	إلى الأعارف من حـسـن وأولاج ^(٣)
حتى كأن وجوه الأرض ملبسة	طرائفا من سدى عصب وديباج
هاج العبي إلى شوق فهيجني	نعجت من قلب ماضي غير منعاج
وابن الزينج معا قد يهيجني	بخلق منتحب بالليل نشـاج
أما السري فإني سوف أمدحه	ما المادح الذاکر الإحسان كالهاجي

ولم يكن اهتمام النقاد بخاتمة القصيدة أقل من اهتمامهم بمطلعها ، ولئن كان المطلع عندهم

مفتاحا لها ، فقد اعتبروا خاتمتها قفلا :

واشترطوا في الخاتمة أن تكون مناسبة للمفروض الرئيسي ، ساراً في المديح والتهاني وحزينا في الرثاء والتعازي^(٤) . وأن يكون أجود بيتاً في القصيدة^(٥) وأن يشتمل على حكمة أو مثل سائر^(٦) .

(١) الديوان ٧٧ وأنظر أمثلة ذلك أيضا ص ٨٥ ، ١٧٤ .

(٢) العشار من النوق : هي التي مضي لحملها عشرة أشهر أو ثمانية وأخرجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تام الخلق .

(٣) شقت : أنبتت ، والسوائف : أراض بيزن الرمل والجلد ، والفرش وملل : واديان بيمكة والمدينة والأولاج : ما غصص من الأرض .

(٤) منهاج البلغاء : ٣٠٦

(٥) العمدة ١ : ٢٣٩

(٦) كتاب المناعتين ٤٤٢

أو أن يكون تشبيها حسنا (١).

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة ما يمثل قصائد كاملة لها نهايات محددة فنحسب عليها ، فقد يكون آخر بيت في المجموعة لا يمثل النهاية الحقيقية للقصيدة ، ولذا فإن من المعووبة أن نحكم على نهايات قصائده حكما دقيقا ، غير أن له أبياتا يمكن أن تكون خاتمة لبعض القصائده ، يتمثل فيها شيء من شروط النقاد القدامى من ذلك قوله (٢) :

وكل نفس على سلامتها
يميتها الله ثم يبرؤ هسسا
ومنها قوله في مدح السرى بن عبد الله (٣)

كم من يدلك في الأروام قد سلفت
عند امرئ ذي غنى أو عند محتاج

وأما طول القصيدة عنده فليست أستطيع الحكم عليه ، وقد ذكرت سبب ذلك غير مرة ، ولكن بعض ما وصل إلينا من قصائده يدل على أنها كانت متوسطة الطول ، حيث بلغت إحداها تسعة عشر بيتا . والنقص فيها واضح بيّن لأن أبياتها متناثرة في بطون المصادر . وقصيدته في عبد الواحد بن سليمان تنبئ أنها من المتوسطات في الطول ، فقد بلغت سبعة عشر بيتا في المجموع من أشعاره ، وأظن أنها كانت أكثر من ذلك غير أنها سقطت بعض أبياتها .

وله قصيدتان أخريان تدلان على طول فيهما ، إحداهما في مدح الحسن بن زيد (٤) ، إذ بلغت سبعة وعشرين بيتا والأخرى في مدح محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية (٥) إذ بلغت ثلاثة وعشرين بيتا .

(١) كتاب الصناعتين ٤٤٤

(٢) الديوان ٥٢

(٣) الديوان ٧٨

(٤) انظر الديوان ٢٢٩

(٥) انظر الديوان ٢٢٢

مع احتمال أن جزءاً كبيراً من أبيات هاتين القصيدتين قد ضاع . ويغلب على قصائد ابن هريرة أنها تناولت موضوعاً واحداً رئيسياً غير المقدمة الطللية أو الغزلية ، وهذا الموضوع إما أن يكون مدحاً أو فخراً أو هجاءً أو رثاءً ، إلا في قصيدة واحدة جمع فيها بين التعزية بموت الامام ابراهيم بن محمد ومدح أبي العباس السفاح منها قوله (١) :

وقد زجر الليل النجوم فولَّتِ	أتاني وأهلي اللوى فوق مشعرٍ
فأبت فراشي حيرة ما تجلَّتِ	وفاة ابن عباس وصي محمد
فقد أعظمت رزءاً به وأجلَّتِ	فإن تك أحداث العنايا اختر منه
بها خضعت صعب الرقاب وذلَّتِ	وقد كان ابراهيم مولى خلافة
خلافة حق لا أمانني فلَّستِ	وأوصى لعبد الله بالعهد بعده
لواقح من حربٍ زحول فجلَّستِ	فشمَّر عبد الله لما تجرَّدت

(١) الديوان ٦٩

وأمثلة الجزالة في الألفاظ مع وضوح المعنى ، فأكثر ما اتضحت في أبيات المديح ، من ذلك مدحه لعبس

الواحد بن سليمان : (١)

- | | |
|----------------------|--|
| وناجية صادق وخدمها | رَبَّيْتُ بِهَا حَدَّ إِزْعَاجِهَا (٢) |
| وكلفتها طامسات الصوى | بتجهيزها ثم إزاجها (٣) |
| إلى كلك لا إلى سوقسة | كسنته الملوك ذرى تاجها (٤) |
| تحل الوفود بأبوابه | فتلقى الغنى قبل إرتاجها (٥) |
- ولعل أوضح ما يمثل الجزالة مع وضوح المعنى أبياته في مدح عبد الله بن معاوية ومنها (٦)

أَحَبُّ مَدْحًا أَبَا مَعَاوِيَةَ الْمَا * جَد لَا تَلْفَهُ حَمُورًا عَيَّيَا

بل كريما يرتاح للمجد بئس * ما إذا هزه السؤال حبيبا

إن لي عنده وإن رغم الأعم * سدا وحظا من نفسه وقفيا (٧)

إن أمت تبق مدحتي وإخائي وثنائي من الحياة قليبا

والجزالة مع إقصوص ممتلئها أبيات متفرقات استشهد بها أصحاب المعاجم وعلماء اللغة من ذلك قوله (٨) :

فأهدر مكانك مطويا على حنق

كهدر المعنى على أذواده السسندم (٩)

(١) الحماسة البصرية ١ : ١٨٩ وانظر أمثلة ذلك في الديوان

ص ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

(٢) الناجية : الناقة السريعة ، سُميت بذلك لأنها تنجي بسرعتها صاحبها

والوخذ : ضرب من السير السريع .

(٣) طامسات الصوى : علامات الطريق المطموسة

والتهجير : سير الهاجرة أى الظهيرة .

(٤) ذرى التاج : أرفعه وأشرفه

(٥) الارتاج : الإغلاق

(٦) الديوان ٢٤٤

(٧) قنبا : إثرة

(٨) أساس البلاغه (نخس)

(٩) المعنى : الفحل اللثيم الذى إذا هاج رُبط في الحظيرة . والسدم : الهائج ، الأذواد : جمع ذود وهو القطيع من الابل

وقوله أيضا يصف سيلا (١)

ما حازت العفر من ثعالة فالرَّو * حاء منه مزعوبة المسلسل (٢)

وقوله يصف ناقصة (٣)

كأنها قانس يصرِّفها النو * تي تحت الامواج عن حُشْفِسِه (٤)

ويمكن تفسير هذه الظاهرة (٥) في شعر ابن هرمة إلى اختلاف الأسلوب في الموضوع الشعري ، فشعر

الغزل يحتاج إلى البساطة والرقّة ، وشعر المديح يحتاج إلى الجزالة . وقد أشار بعض النقاد القدامى إلى أن لكل موضوع شعري أسلوبا خاصا ، فشعر الشاعر لنفسه ومراده وأمور ذاته من فرح وغزل ومكاتبة ومجون وخرميسمة وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين (٦) .

وأما تفسير ظاهرة الجزالة مع صعوبة المعنى فيرجع إلى أن تلك الأبيات لم تكن ترتبط بشيء من أموره

الخاصة ، ولم يكن له فيها مطمع مادي ، إذ يبدو أنها قيلت في وصف أشياء مادية لا يربطه بها رابط ، فوصف سفينة وذكر ناقه وتحديث عن الأثافي .

وأظن أن ابن هرمة كان يعتمد نظم تلك الابيات على هذا الوجه من صعوبة بعض المفردات ، لأن له منافسين

من الشعراء والنقاد ممن كانوا يعيبون عليه قدرته الشعرية .

(١) شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٤١ وتهذيب اللغة ٢ : ١٤٩

(٢) العفر : ناحية بالمدينة ، ومزعوبة : مملوءة

(٣) الفائق في غريب الحديث ١ : ٢٦٣ والعياب الزاخر (حرف الفاء) ٩٨

(٤) القانس : السفينة العظيمة ، والنوتي : ربانها . والحشفة : صخرة تنبت في البحر ، وقيل هي صخرة رخوة

حولها سهل من الأرض .

(٥) ظاهرة وضوح المعنى وسهولة الألفاظ ، ووضوح المعنى وجزالة الألفاظ في بعض شعوره .

(٦) العمدة ١ : ١٩٩

والحديث عن اللفظة الشعرية وارتباطها بالمعنى يقودنا إلى الحديث عن الصنعة عنده ، إذ يعتبر ابن هرمة من الشعراء المحكِّكين ، وأصحاب الصنعة المنقحين لأشعارهم . وقد اعترف هو - نفسه - بهذا في شعر له يقول : (١)

أغذو تِلادا من الأشعار أصلحها

صلاح ذى الحزم للحاجات والرتل (٢)

أخذو قصائد للراويين باقيسة

كأنها بينهم موشية الحلل

إما نسيبا وإما مدح ذى فخر

يبقى وإما ادخارا من ذوى خطل

ومن نماذج الصنعة التي تعمدتها ابن هرمة في شعره قصيدتان الأولى : همزته المشهورة ومطلعها : (٣)

إن سلمي والله يكلؤها

ضنت بشيء ما كان يبرزؤها

نظمها حين قيل له " إن قريشا لا تهمز ، فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش " (٤) وبلغت

القصيدة تسعة عشر بيتا .

وعلق يوهان فك على هذا النوع من القصائد فقال " والأشعار على قافية الهمزة ، ما لم تكن همزة

الممدود ، جد نادرة . والأمثلة القليلة على ذلك النوع تبدو فيها الصنعة كثيرا أو قليلا " (٥) .

(١) الديوان ١٨٤

(٢) التلاد والتلديد : بمعنى القديم من المال ومن كل شيء ، وعكسه الطارف

والرتل : الطيب من كل شيء

(٣) شرح شواهد المغنى ٢ : ٨٢٦

(٤) المصدر نفسه ٢ : ٨٢٦

(٥) العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ١٢٠ .

وتحت عنوان (القصاصد المهوزات) لم يذكر ابن النديم إلا قصيدتين إحداهما لابن هرمسة والأخرى لحفص بن أبي النعمان الأموي منها قوله (٢) :

يا سَلْمُ كم قد لغأت عاذلة

لم أك لولا رضاك ألفاهما

والثانية (٣) ما ذكره أبو الفرج من أن لابن هرمة القصيدة نحواً من أربعين بيتاً ليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطاح عليه الكتاب من تصييرهم مكان ألف ياء مثل (أعلى) فإنها باللفظ بالألف وتكتب بالياء (٤)

والقصيدة في رواية الأصمعي ويعقوب ابن السكيت اثنا عشر بيتاً (٥) ومنها قوله (٦) :

أرسم سودة محل دارس الطلسل	معطل رده الأحوال كالحلسل (٧)
لما رأى أهلها سدوا مطالعها	رام المدود وعاد الود كالمهل (٨)

(١) العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ١٢٠

(٢) كتاب الافعال (للسرقطي) ٢ : ٤٣٤

(٣) مما تمثل الصنعة في شعره

(٤) الاغانى ٤ : ٣٧٨

(٥) المصدر نفسه : ٤ : ٣٧٨ وعنه نقل صاحب الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩

(٦) الاغانى ٤ : ٣٧٨

(٧) المحل : القفر . والمعطل : المهجور المتغير

(٨) سدوا : أغلقوا ، والمهل : ما ذاب من الحديد ، ولعله يريد انه لما حيل بينه وبينها عانسسى

من محبته لها ما يعانیه متجرع هذا الشراب (شعر ابن هرمة القرشي).

وعاد ودك داء لا دواء له

ولو دعاك طوال الدهر للرحيل

ومما يدخل في باب الصنعة استعماله للمحسنات اللفظية من جناس وطباق ، ومما تجدر ملاحظته أن ابن هرمة لم يكثر من استعمال الجناس إذ لم تزد أبياته فيه على الأربعة .
فقد جنس بين قوله (بين) الظرفية) و (بين) اسم موضع في قوله (١) :

أدار نُليعى (بين) فمتعسر

أبيني مما استخبرت إلا لتخبري

وجانس أيضا بين (دوايا) و (أداويا) في قوله (٢)

ودوايا وأداويا لم يعفها

ما مرّ من مطر وعام مقحط

وجانس بين (المصطفون) و (المصفون) فقال (٤) :

سليل ملوك سبعة قد تتابعوا

هم المصفون والمصفون بالكرم

وأما الطباق عنده فكثير إذا ما قون بأبيات الجناس ، فقد جاوزت أبياته فيه ستة وثلاثين بيتا (٥) . ومن أمثلته :

-
- (١) الديوان ١٢١
 - (٢) الديوان ١٣٨
 - (٣) الدوايى : جمع دواودة وهي أثر الأرجوحة والأداوى : جمع أداه وهي قربة الماء
 - (٤) الديوان ٢٠٠
 - (٥) انظر الديوان مثلا بيت ٣ ص ٥٠ ، ٥٢ ص ٨ ، ٥٥ ص ١ ، ٥٦ ص ٣ ، ٥٧ ص ١٦ ، ٥٧ ص ٣ ، ٦٨ ص ٣ ، ٧٥ ص ٢ ، ٧٧ ص ٣

(١) تعلق بالعريز والذليل

ولكن المنية حبل قـدر

وقوله (٢) :

وبيت رب بأجيادين معمور

وبالشاعر أعلاها وأسفها

وقوله أيضا (٣)

أتاك فأطفأت الذي كان أوقدا

وموقد نار لم يجد مطغئا لها

وعلى الرغم من هذه الصنعة إلا أنه لم ينج من مأخذ سجلها عليه النقاد والعلماء ، منها تناقض

المعنى في البيت ، قال المرزباني في بيت ابن هرمة :

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه

يكلمه من حبه وهو أعجم

من أن ابن هرمة "أخني الكلب في قوله" إنه يكلمه "ثم أعده إياه عند قوله " إنه أعجم" (٤) :

ومنها مأخذ نحوية كجزمه الفعل (تنبش) من غير أن يسبقه حرف جزم في قوله (٥) :

سألا عن الجود والمعروف أين هما

فقلت إنهما ما تامع الحكيم

ماذا بمنبج لو تنبش مقابرهما

من التهدم بالمعروف والكـرم

(١) شرح أبيات سيبوية ١ : ١٨٩

(٢) الديوان ١٣٠

(٣) الديوان ٩٤

(٤) الموشح ٣٤٩ ونقد الشعر ٢٣٨ تحت عنوان (ومن المتناقض قول ابن هرمة) .

(٥) الموشح ٢٥١

فقال ابن دريد "قالت أبا حاتم عن قوله "لو تُنبش" لمْ جزم فقال : قال قوم من النحويين : كراهة لكثرة الحركات ، ولو قال (نبشت مقابرها) استراح من تنبش وكان كلاما فصيحاً (١) .

ومن المأخذ على بعد التشبيه ما ذكره ابن طباطبا من أنه "ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها لتنظيم له معانيها ، ويتمل كلامه فيها كقول ابن هرمة :

وإني وتركي ندى الأكرميــــــسن وقدحي بكفي زندا شاحاــــا
كتاركة بيضها بالعــــســــرا وملبسة بيض أخرى جناحــــا

وكقول الفرزدق :

وإنك إذ تهجو تميما وترتشي

سراويل قيس أو سحوق العمائــــم

كمهريق ماء بالفلاة وغــــرّه

سراب أذاعته رياح السماــــم

كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة ، فيقال

وإني وتركي ندى الأكرميــــــن وقدحي بكفي زندا شاحاــــا
كمهريق ماء بالفلاة وغــــرّه سراب أذاعته رياح السماــــم

ويقال :

فإنك إذ تهجو تميما وترتشي سراويل قيس أو سحوق العمائــــم
كتاركة بيضها بالعــــســــرا وملبسة بيض أخرى جناحــــا

وحتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا وإلا كان تشبيها بعيدا غير واقع موفقه (٢) .

(١) الموشح ٣٥١

(٢) عيار الشعر ١٢٤ ، وانظر الموشح ٣٧١ ، وفي الاغاني ٤٣:٩ ، ٤٤

أن أبا نواس قال "شاعران قالوا بيتين وضعنا التشبيه فيهما في غير موضعه ، فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدعما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لمار متفقا معنى وتشبيها" .
ثم ذكر الابيات ولكنه جعل البيتين لجريو لا للفرزدق .

اللغة :

اشترط النقاد القدامى في لغة الشعر شروطا لا ينبغي للشاعر أن يعدوها أو يستعمل غيرها فسي
قصائده إلا أن يكون الخروج عليها ضرورة شعرية أو على سبيل الخطرة . (١)

ومن تلك الشروط أن يكون الكلام سهلا جزلا لا يشوبه من كلام العامة شيء، ولا تدخله الألفاظ
الوحشية .

يقول ابن طباطبا في ذلك " وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفميج لم يخلط
به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخوانها . وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ
الوحشية النافرة الصعبة القيادة " . (٢)

وأحسب أن ابن طباطبا أراد بهذا الشرط تجانس الألفاظ في البيت الواحد وفي القصيدة
كاملة .

وتجانس الألفاظ في البيت والقصيدة يدفعنا إلى الحديث عن تناسب الألفاظ مع موضوعات القصيدة .
فللغزل لغته الخاصة به وللغزل لغته ، وكذلك في سائر الأغراض وقد تنبه النقاد القدامى إلى هذا . يقول قدامه
ابن جعفر " لما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدمائة كان مما يحتاج فيه أن تكون
الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة ، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيبا " . (٣)

ويقول ابن رشيق في لغة قصيدة المدح " وسبيل الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإيضاح ،
وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية " . (٤)

(١) انظر العمدة ١: ١٢٨

(٢) عيار الشعر ٦

(٣) نقد الشعر ٢٢٤

(٤) العمدة ٢: ١٢٨

ويعد القاضي الجرجاني من أكثر النقاد القدامى تنبها لهذا التناسب حين قال " فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك ولاهجاؤك كاسبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثله تصريحك بل ترتب كلا مرتبته ، وتوفيه حقه فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتصرف للمديح تصرف مواقعه". (١)

أما لغة الشعر عند ابن هرمة فلم تخرج عما اشترطه النقاد فيها من شروط ، فلست ترى في ألفاظه ما يخرج عليها ، ولست ترى في شعره كله لفظة عامية ولا قريبة من العامية ، بل قد ترتفع اللفظة عنده من السهولة والجزالة إلى غموض المعنى ، غير أنك لاتجد فيه لفظا حوشيا واحدا .

ولشعر ابن هرمة ولغته قيمة عند علماء اللغة والنحو فلا تكاد تجد معجما في اللغة أو كتابسا في النحو يخلو من شاهد له . وهذا بيان ببعض الكتب اللغوية والنحوية التي حوت أبياتا لابن هرمة وهي مرتبة ترتيبا زمنيا حسب وفاة مؤلفيها .

فقد استشهد له الخليل بن أحمد (-١٧٥ هـ) في كتاب العين^(٣) بأربع مواد لغوية . وفي كتاب الفاخر^(٣) لأبي طالب المفضل بن سلمة (-٢٩١ هـ) ثلاث مواد ، وفي كتاب الجمهرة لابن دريد (-٣٢١ هـ) . والاضداد^(٥) لأبي بكر الانباري (-٣٢٨ هـ) وديوان الأدب^(٦) (وهو أول معجم عربي مرتب حسب الابنية) لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي (-٣٥٠ هـ) ثلاث مواد لكل منهما .

(١) الوساطة ٢٤

(٢) العين ١ : (رقع) (زعب) ، ٣ : (حضر) . ٤ : (هيد)

(٣) الفاخر ١٣ ، ٧٦ ، ١٠٧

(٤) الجمهرة : ٢ (كَلَهَ) ٣ : (غَلَوًا) ، (بَدَأُ)

(٥) الاضداد ٨٩ ، ١٠٧ ، ١١٥

(٦) ديوان الادب ٢ : ٢٢٩ . ٣٦٨ . ٣ : ٣٢٣

- وفي تهذيب اللغة للزهرى (١) (٣٧٠هـ) ثمانى عشرة مادة .
- وفي الخصائص لابن جنى (٢) (٣٩٢هـ) أربع مواد .
- وفي الصحاح للجوهري (٣) (٣٩٣هـ) ست مواد .
- وفي مقاييس اللغة لابن فارس (٤) (٣٩٥هـ) ست مواد ايضاً .
- وفي تهذيب اصلاح المنطق للخطيب التبريزى (٥) (٥٠٢هـ) مادتان .
- وفي المثلث لابن السيد البطليوسى (٦) (٥٢١هـ) مادة واحدة .
- وفي شمس العلوم^(٧) لنشوان بن سعيد الحميرى (٥٧٣هـ) ثلاث مواد .
- وفي الفائق في غريب الحديث^(٨) للزمخشري (٥٨٧هـ) خمس مواد .

(١) تهذيب اللغة ١: (قع) ، (ضلع)

٢: (عزز) ، (زعب)

٣: (شح) ، (قرح) ، (هلق) ، (رهق)

٦: (هداد) ، (كهى) ، (مهي)

٧: (عرض) ، (قلس)

١٠: (كلا) ، (صاج)

١٣: (سرى) ، (طفل)

١٤: (فتا)

(٢) الخصائص ١: ٤٢: ٣٠١٦٠١١: ٣٠٣١٦٠١١

(٣) الصحاح ١: (سبأ) ، (زعب) ، (شح) ، (نزح) ، (نفذ) ، (هيد)

(٤) مقاييس اللغة ١: (بوا) ، (سرو) ، (شح) ، (غلو) ، (عسق) ، (غرض)

(٥) تهذيب اصلاح المنطق ١٩١ ، ٢٧٣

(٦) المثلث ٤٦٠

(٧) شمس العلوم ١: ١٩٩: ٢ ، ٢٦٦: ٣١٦

(٨) الفائق في غريب الحديث : ١ : ٢٦٣ ، ٤٩٠ ، ٢: ١٦٤ ، ٤٧٣ ، ٣ : ١١٠

(١) وفي التكملة للحسن الصغاني (١٦٥٠هـ) اثنتا عشرة مادة .

(٢) وفي العباب الزاخر للمؤلف نفسه سبع وعشرون مادة .

(٣) أما لسان العرب لابن منظور ففيه سبعة وخمسون شاهداً من شعر ابن هرمة .

وكانت هذه الاستشهادات على نوعين ، أحدهما : ما كان البيت أو الابيات تدل على معنى أو لغسنة مشهورة في العربية اتفق عليها في الاستعمال . أو مواقف نحوي أجمع عليه علماء النحو . وأمثلة هذا النوع كثيرة .

فمن مطابقة معانيه لما عرف عند العرب قول ابن منظور في مادة (تور)^(٤) قال ابن سديدة : وعندى أن التور مقلوب من الوتر الذي هو الدم ، وإن كان غير موازن به ، وينتر الرجل : اصيب النار منه وهكذا جاء على منعة مالم يسم فاعله :

(١) التكملة ١: (دعب) ، (زغب) ، (غيب) ،

٢: (نرج) ، (رهنق) ، (أجل) ، (أول) ، (ضلل) ، (طفل) ،

٦: (كتن) ، (يله) ، (عيا) ،

(ج) العباب الزاخر: (حرف الهمزة) : سبأ . (حرف القين) : ولغ (حرف الغاء)

(أبط) ، (أقط) ، (بَقط) ، (خبط) ، (رهبط) ، (سبط) ، (سرت) ، (سقط) ، (شحط)

(ضبط) ، (عرفط) ، (غطط) ، (عوط) ، (فلسط) ، (فلط) ، (فحط) ، (قطط) ، (لقط)

(نبط) ، (ورط) .

(٣) لسان العرب . (سبأ) ، (هدأ) ، (حقب) ، (دعب) ، (سهب) (شرب) ، (مرت)

(امعج) ، (سمح) ، (شح) ، (قزح) ، (نرج) ، (نفد) ، (هيد) ، (تور) ، (طير) ، (نفسر)

(جهاز) ، (ورس) ، (غرض) ، (فلسط) ، (ربيع) ، (ضوع) ، (نسع) ، (وشع) ، (ولغ) ، (تحف) ،

(حلف) ، (نصف) ، (خلق) ، (رقق) ، (رهنق) ، (طلق) ، (يقل) ، (خيل) ،

(طفل) ، (ملل) ، (نحل) ، (ندل) ، (هدل) ، (هلل) ، (تخم) ، (خم) ، (سلم) ،

(نظم) ، (بين) ، (كتن) ، (يله) ، (ذرا) ، (سرى) ، (سى) ، (عرا) ،

(فتا) ، (قلا) ، (كها) ، (مها) ، (وهى) .

قال ابن هرمة :

حبي تقي ساكن القول وادع

إذا لم يترشهم إذا تير مانع

ومثل ذلك ، أيضا ، في مادة (وشع) ، قال ابن منظور : (١)

الوشيع : الشامم وغيره ، وقيل هو السعف تلقى على خشبات السقف . قال ابن هرمة :

بلوى سويقة أو ببرقة أحزم

خيم على آلهن وشيع

ومن أمثلة استشهاد علماء اللغة بأبيات هرمة على موافقتها لقاعدة لغوية قول ابن منظور في

مادة (فسط) فلسطين : اسم موزى فيما بين الأردن وديار مصر ، ونونها زائدة . قال أبو منصور : إذا نسبوا

إلى فلسطين ، قالوا فلسطي . قال ابن هرمة :

سجت بقاء من مزنة السبل

كأس فلسطينية معتقة

ومن أمثلة استشهاد علماء النحو بشعر ابن هرمة على موقف نحوى مشهور أو جائز في الاستعمال

مأذكرة الطبرى في تفسيره حين ذكر بيت ابن هرمة :

لريب الدهر أم درج السيول

أرجما للمنون يكون قومي

قال : وقد استشهد بالبيت سيبويه على نصب (درج) على الظرف ، وعلى رفعه على أنه خبر (هسم)

ومثله ، أيضا ، مأذكرة ابن منظور في مادة (بين) (٢) فقال : قال ابن برى : وهذا الذى قلناه يبدل

على فساد قول من يقول إن (إذا) لا تكون إلا في جواب (بينما) بزيادة (ما) وهذه بعد (بينما) كما ترى ، ومما

يدل على فساد هذا القول أنه قد جاء ب (بينما) وليس في جوابها (إذ) كقول ابن هرمة :

(١) اللسان : (وشع)

(٢) تفسير الطبرى ٧ : ٣٦٠ ، والبيت في كتاب سيبويه ١ : ٢٠٦

(٣) اللسان : (بين)

في باب النسيب :

- بينما نحن بالبلاث فالقا ■ ع سراعا والعيس تهوى هويًا
■ خطرت خطرة على القلب من ذك ■ راك وهنا فما استطعت مضيا

وثانيهما : ما استشهد به علماء اللغة على معنى من المعاني ليس مشهورا عندهم ، ولكنه ورد في شعسسر لابن هرمة أو في قاعدة لغوية لم تذكرها كتب اللغة واستعملها ابن هرمة .

فمن أمثلة النوع الأول ما ذكره أبو هلال العسكري^(١) في معنى (فلت) قال : الفلاط بلغة هذيل المفجأة ، وقيل لقبته فلاتا أي مفجأة ، وقال ابن دريد ، افتلظ بالامر : إذا فوجي، به (لغة هذلية) .
وقال ابن هرمة على لغة هذيل :

أبوك غداة المرج أو رثك العلا

وخاض الوغى إذ سال بالموت راهطه

وكان امرءا خواض كل كربية

وفردى حروب يوم شر يهالطه

ومنه ، أيضا ، قول ابن جرير الطبري في تفسير كلمة (الرجم) مستشهدا ببيت ابن هرمة السابق :

أرجما للمنون يكون قومي البيت

قال : ولم تذكر كتب اللغة (الرجم) بمعنى الشيء المنسوب الذي يبرجم ويقذف ، ولكن بيت ابن هرمة شاهد عليه وهو ضحبح في قياس العربية .

(١) المسائل العسكرية في النحو ١٣٨

(٢) تفسير الطبري ٧: ٣٦٠

ومن أمثلة خروج ابن هرمة على المشهور من لغة العرب تأنيثه (حراء) وُصِفَ لها . قــــــــــــــــال
أبو بكر الأنباري في بيت ابن هرمة :^(١)

وخيلت حراء من ربيع وميِّفٍ

نعامة رمل واقرا ومقرنصا

فأنث (حراء) وأجراه لضرورة الشعر ، والصواب ألا يجريه إذا أنثه وأجاز الفراء أن يقال : " هذه حراء " جعلت بعض الشعراء والنقاد واللغويين والخلفاء يعجبون بشعره إعجابا شديدا . فمن إعجاب بعض الشعراء به ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني أن جريرا " قدم المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشده فقال جريــــــــــــــــر القرشي أشعرهما والعربي أفصحهما " .^(٢)

وعن حماد بن أسحق الموصلي عن أبيه قال قلت لمروان بن أبي حفصة من أشعر المحدثين من طبقتكم لا أعنيك . قال : الذي يقول :

أبتاع الإهربية الأجل^(٣)

لا أمتع العوذ بالفصال ولا

يعني ابن هرمة :

ومن ثناء بعض النقاد عليه ما ذكره الخطيب البغدادي من أن ابن هرمة " شاعر مطلق فصيح مسهب مجيد حسن القول سائر الشعر " .^(٤)

(١) المذكر والمؤنث ٤٧٩

(٢) الاغانى ٤: ٣٩٣

(٣) الممدر نفسه ٥: ٢٦٤

(٤) تاريخ بغداد ٦: ١٤٧

وقال عنه ابن شاعر الكتبي " كان ابن هرمة شيخ الشعراء في زمانه " (١).

ومن رأى اللغويين فيه ماقاله الاصمعي عنه " ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهدده " (٢).

وأما إعجاب بعض الخلفاء بشعره فيمثله قول المنصور له بعد أن أنشده قصيدته المشهورة^(٣) " لولا أني
أكره تفضيل لاسي، على المحسن لفضلتك على نظرائك " (٤).

والدارس لشعر ابن هرمة يرى أن الجزالة صفة واضحة في شعره كله ، ولعل السبب في ذلك أنه ربسي
في قبيلة تميم ، إضافة إلى ما ذهب إليه في فصل سابق من أنه اتصل بالشعر الجاهلي وحفظ منه الكثير . (٥)

وإذا أردنا ان نقسم ألفاظه حسب الجزالة والسهولة مع وضوح المعنى أو غموضه ، فيمكننا أن نجعلها
في ثلاثة مستويات :

الأول : ما كانت فيه الألفاظ سهلة رقيقة وهي مع سهولتها ليس فيها لفظ سوقي أو مولد .

والثاني : ما كانت فيه الالفاظ جزلة مع قليل من غموض المعنى

والثالث : ما كانت فيه الالفاظ جزلة غامضة المعنى بحيث استعملها أصحاب اللغة والمعاجم شواهد لمعنى
من المعاني .

والأمثلة على سهولة الألفاظ مع رقتها وعذوبتها كثيرة ، إلا أن أبيات الغزل خاصة تصلح

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٦١ : ٢

(٢) الأغاني ٢٦٤ : ٥

(٣) وهي قوله : سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل البيت

(٤) الإيناس بعلم الانساب ١٩٤

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص ٣٢

لأن تكون أمثلة عليه ، من ذلك قوله : (١)

من ذا رسول ناصح فمبألتسع
عني علية غير قيل الكاذب
أني عرضت إلى تناصف وجهها
عرض المحب إلى الحبيب الغائب (٢)
وقوله أيضا : (٣)

فكم بين الأفاع فالمنقبي
إلى الجما ، من خد أسيل
ومن عين مكحلة الأماقي
إلى أحد إلى أكناف ريسم (٤)
نقي اللون ليس بذي كلوم
بلا كحل ومن كشح هضيم (٥)

وقد تكون بعض أبياته الاعتذارية نماذج لهذه البساطة ، من ذلك قوله يعتذر لابراهيم بن عبد الله أسن

الحسن بعد أن عرض به وبأخويه : (٦)

يا ابن الفواطم خير الناس كلهم
إني لحامل عذري ثم ناشره
وحالفُ بيمين غير كاذبة
لقد أتاك العدا عني بفاحشة
عند الفخار وأولاهم بتطهير
وليس ينفع عذر غير منبشور
بالله والبدن إذ كُبت لتخير
منهم فروها بأسياف وتكشير

(١) الديوان ٥٩

(٢) عرض : اشتاق

وتناصف الوجه : محاسنه أي أنها كلها حسنه ينصف بعضها بعضا يريد أن أعضاها متساوية الجمال الحسن ،
فكان بعضها أنصف بعضا ، فتناصف اللسان : (نصف) .

(٣) الديوان ٢٢٠

(٤) الأفاع : جبل بين مكة والمدينة ، والمنقى طريق " بين أحد والمدينة " . وريم : واد لمزينة قرب المدينة .

(٥) الكشح الهضيم : الخصر الدقيق الرقيق .

(٦) الديوان ١٣٠ .

الصورة الفنية :

عُرف عن ابن هرمة الكدّ في طلب الصورة والإلحاح عليها ، واشتهر بأنه من أصحاب الصنعة والتنقيح لشعره ، وكان يفخر بهذه الصنعة واتقانه لها ، من ذلك قوله : (١)

وعميمة قد سقتُ فيها عائرا
غفلا وفيها عائرٌ موسومٌ (٢)
طبقتُ مقلها بغير حديدة
فرأى العدو غفائٍ حيث أقومُ

ومنه قوله يهجو المسور بن عبد الملك المخزومي ، وكان المسور يعيب شعر ابن هرمة : (٣)

اني امروء لا أصوغ الحلبي تعمله
كفّاي لكن لساني مانع الكلم

والحقيقة أن شعر ابن هرمة يقوم على أساسين ، أحدهما تقليدي اعتمد فيه على النموذج القديم موسيقى ولغة وصورة ، وآخر : تجديدي استمد لغته وصورته من واقع الحياة التي عاش فيها في مجتمع الحجاز الذي أصاب حظا وافرا من التطور الحضاري الذي انعكس على أذواق ومشاعر وأخيلة الشعراء ، فيه مما كان لــــه أكبر الأثر في تجدد الشعر بمكة والمدينة .

وإذا كانت بعض مدائحه وأغزاله وأهاجيه تمثل الجانب التقليدي أوضح التمثيل فان له قوائد أخرى في موضوعات مختلفة توضح التيار التجديدي في شعره ، حيث استخدم فيها كثيرا من الخيوط والألوان والظلال الحضرية ، واخترع معاني طريفة وصورا نادرة .

(١) البيان والتبيين ١: ١١١

(٢) العميمة : الخطبة أو القميدة الطويلة

والسهم العائر : هو السهم الذي لا يدري من رماه

والسهم الموسوم : هو السهم الذي يميّزه صاحبه بعلامة

(٣) الديوان ٢١٥

أما الجانب التقليدي في شعره فأمثلته كثيرة ، ذلك أن ابن هرمة حفظ من التراث الشعري الجاهلي الكثير ، وتمثله تمثلاً ظهرياً في شعره حتى اتُّهم بالسرقة منه . من ذلك ما قاله أبو الفرج الأصفهاني (١) في بيت لابن هرمة مدح فيه عبد الواحد بن سليمان

" يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم
بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق^٢

من أن ابن هرمة سرق هذا البيت من زهير ومن مهلهل جميعاً فإنهما سبقا إليه قال مهلهل وهو أقدمهما :

أنبضوا معجس القسي وأبرق^٣ ■ غنا كما توعد الفحول الفحولا (٢)

وقال زهير :

يطعنهم ما ارتعوا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

ومن أمثلة التقليد الواضحة في شعره قوله يصف امرأة بالعفة والحياء : (٣)

مأنس لا أنس يوم ذي بقر

إذ تتقينا بالكف منصرف^٤

وهو شبيه بقوله النابغة الذبياني في الغرض نفسه : (٤)

نقط النصف ولم ترد إسقاطه

فتناولته واتقنا باليد

(١) الأغانى ٦: ١٠٣

(٢) أنبضوا : يقال أنبض الرامي قوسه : إذا جذب وترها لتخرج صوتاً .

والمعجس : مقبض القوس ، وأبرق الرجل : لمع بسيفه

ويعني بالبيت " أنهم لما أخذوا القسي ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها .

الأغانى ٦: ١٠٣

(٣) العباب الزاخر (حرف الغاء) ٦٠٥

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٦

ومن أمثلة الصور التقليدية المأخوذة في معظمها من طبيعة الحياة البدوية بما فيها من حيوان ونبات وجبال وأودية وشمس وكواكب أخرى وحياة متميزة في علاقتها مع غيرها قوله يمف النجوم والكواكب وأبراج السماء بصور بدوية ، فالنطع والبطين يشبهان في سرعتهما كبشا مطاردا يحاولون الإمساك به لذبحه ، وهو لخوفه سريع الحركة طلبا للنجاة ، وصورة النجم المتأخر عن مجموعة النجوم الكثيرة كالفحل الذي يسيير خلف مجموعة نياق يهدر غيراً عليها ، وصورة نجوم السعود العشرة مجتمعة تشبه ركبا سائرا في طريق جبلي . ومنظر سهيل يظهر بعيدا عن المجرة كأنه راع يشرف على رعيته يتفقد أحوالهم : (١)

والنطع يلمع والبطين كأنه	كبش يطرده لحتف تائر (٢)
وكأن مرزما على آثارها	فحل على آثار شول هاسر (٣)
وتعرضت هادي السعود كأنها	ركب تأ ب بطن تبع مائر (٤)
وبدا سهيل كالشهاب مشبه	راع على شرف العرينة سائر (٥)

ومن الصور التقليدية ، أيضا ، تشبيهة وجه ممدوحه بالبياض والسماحة بضوء الصبح أو اشراقسة الشمس في قوله يمدح الإمام إبراهيم بن محمد : (٦)

أغر كضوء الصبح يستمطر الندى

ويبتاش مرتاحا إذا هو أنفدا

(١) الديوان ١١٥

(٢) النطع : نجم يتشاءم به ، والبطين : نجم كذلك ، وقيل هما من منازل القمر ، والتائر : السريع الجري

(٣) المرزم : نجم . والشول : جمع شائلة : وهي الناقة التي أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فنقص لبنها .

(٤) السعود : كواكب عشرة تطلع في آخر الربيع

وتُبَّع : اسم مكان

(٥) سهيل : نجم

(٦) الديوان ٩١

(٧) هشتت للشئ ، واهتشتت : إذا ارتحت له واشتهيته

وهي صورة كررها الشعراء الجاهليون . من ذلك قول الخنساء ترثي أخاه
صخرا: (١)

أغرّ أبلج تأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نثار^(٢)

وعلى الرغم من هذه الصور التقليدية إلا أنه أبدع في بعضها إبداعا رائعا قل أن تجد له نظيرا
عند غيره من الشعراء المعاصرين له ، حيث جمع في هذه الصور بين الجزالة والبيئة البدوية وبين روعة
الصورة وحسن نسجها وذلك حين جعل المعروف بمصدر من ممدوحه بكثرة فيرى أثره في الناس كشعاع الشمس
يسقط على حد السيف فيصدر منه لمعان ينعكس على وجوه الناظرين وذلك في قوله : (٣)

تداوي بينها غبن القبيل^(٤)

شعاع الشمس في السيف المقييل

أشم من الذين بهم قريش

كأن تلالؤء المعروف فيه

وأما الجانب التجديدي في شعره فيظهر من خلال الصور والألوان والظلال الحضرية التي أصابت المجتمع
الحجازي عامة ومكة والمدينة خاصة .

ولعل من مظاهر هذا التطور ما أغدق على أهل مكة والمدينة من الأموال والثراء والحريات فظهر
هذا على سلوك أبنائهم وشبابهم ، من ذلك ما كانت تتزين به بعض النساء من حلي وجواهر فيتبرجن به أمام
الناس .

(١) ديوان الخنساء ص ٤٩

(٢) البلج : بُعد ما بين الحاجبين

(٣) الديوان ١٩١

(٤) الأشم : السيد ذو الأشفة . والغبن : ضعف الرأي

ومن مظاهر هذا التطور في شعره قوله يشبه نجوما متفرقة في السماء ، بغير نظام بسلك من اللؤلؤ
أو الجواهر تقطع فتناثر حبه : (١)

وبعد نجوم بين ذاك كأنها درّ تقطع سلكه متناثر

وشبيه به ، أيضا ، يصف دموعه الغزيرة عشيّة ولّت حمول صاحبته فبكى بكاء شديدا بعقد اللؤلؤ
تناثر حبسه : (٢)

كأن عيني إذ ولّت حمولهم عني جناحا حمام مادقا مطرا
أو لؤلؤسلس في عقد جارية ورها ، نازعها الولدان فانثرا (٣)

وكانت لابن هرمة ابتكارات رائعة في الصور الشعرية ، أشاد بها بعض القدامى . من ذلك ما قاله
أبو هلال العسكري (٤) من أن أبرع بيت قيل في الصباح من شعر المحدثين قول ابن المعتز .

والمصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشى في الدجى بسراج

والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره ، وإنما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب :

تؤام الودق كالسرا حف يزجي خلف أطلح (٥)
صدوق البرق كالسكرا ن يمشى خلفه الماحي
كأن العازف الجنبي أو أصوات نواح
على أرجائه والبر ق يهديه بمصباح

(١) الديوان ١١٦

(٢) الديوان ١١٢

(٣) السلس : السهل المنظوم في سلكه نظما جيدا ، والورها : الحمقاء

(٤) ديوان المعاني ١ : ٣٥٨

(٥) التؤام : جمع تؤأم وهو المزدوج ، والودق : المطر

والزاحف : البعير الذي لحقه الكلال والإعيا

والحق أن لابن هرمة صوراً شعرية نادرة لطيفة ، أعجب بها بعض النقاد والشعراء والخلفاء ، من ذلك
 مارواه حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّيت الواثق بهذين البيتين : (١)

عفا طرف القرية الكثيب إلى ملحاء ليس بها عريب (٢)
 تأبّد رسمها وجرى عليها سفّي الريح والترب الغريب (٣)

فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابن هرمة في البيتين ، فأى شيء هو أحسن فيهما من جميعهما ؟
 قال : قلت قوله . " الترب الغريب " يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت
 به من موضع بعيد .
 فقلت : صدقت وأحسنت وأمر لي بخمسين ألف درهم .

وأعجب أبو الفرج الأصفهاني بقصيدة ابن هرمة الحاثية في مدح عبد الواحد بن سليمان فقال "إنها
 من فاخر الشعر ونادر الكلام " وله ثناء أيضا بقصيدته التي منها :

إذا قيل من خير من يرتجى لمعترٍ فهِرٍ ومحتاجها
 فقال : "إنها من فاخر شعر ابن هرمة" . (٥)

(١) الأغاني ٥: ٣٦٨

(٢) عفا: تغير واندثر . والقرية: موضع بنواحي المدينة

الكثيب: قرية لبني محارب بن عمرو بن عبد القيس بالبحرين

وملحاء: واد من أعظم أودية اليمامة . وعريب: أحد

(٣) تأبّد رسمها: خلا من أهله وأقفر فصار مرتعا للوحوش ، سفّي الريح: التراب حملته الريح وذرتة على
 المنزل .

(٤) الأغاني ٦: ١٠٦ ويقصد بها قوله : صرمت حياثلا من حب سلمى لهند ما عمدت لمستراح

(٥) المصدر نفسه ٦: ١١١

ولعل السبب في إعجاب أبي الفرج بهاتين القصيدتين وثنائه عليهما راجع إلى ما فيهما من روعة الخيال وجمال الصورة ، يشهد بذلك قوله في عبدالواحد بن سليمان .

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

وكان ابن هرمة أنشد هذه القصيدة في مجلس عبد الواحد ، وعنده عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي وبعد أن سمع عبدالله القصيدة قام مغضباً ، فقال لابن هرمة " لأجزاك الله خيراً ، تقول لابن مروان (وكان أبوك قادمة الجناح) بحضرتي وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي بن أبي طالب " . (١)

غير أن ما يميّز الصور الشعرية عنده أربعة أمور :

أولهما : الاعتدال في المعاني والبعد عن التهويلات الزائفة والخيال الممجوج . والدارس لشعره لا يكاد يقف على مبالغة زائدة أو خيال خارج عن المألوف إلا في بيت أو بيتين سنعرض لهما في حديثنا عن المأخذ التي سجلها النقاد على شعره .

ولعل السبب في هذا الاعتدال يرجع إلى اعتماد ابن هرمة على النموذج الشعري الجاهلي والأخذ منه في بعض صورهِ ومعانيهِ مع إضافات محددة اقتضتها طبيعة العصر وثقافة الشاعر .

والدليل على هذه الظاهرة عنده ما ذكره ابن عساكر من أنه " لَمَّا ولي المنصور الخلافة حضر على بابهِ ثلاثمئة شاعر ، فأعلمه الربيع^(٢) بذلك ، فقال : اخرج اليهم فعرفهم أن جائزتنا ألف وعقوبتنا ألف ، مَنْ مدحنا فاقتصد أجزناه ، ومن أفرط وتجاوز عاقبناه . فخرج ، فعرفهم ، فقال بعضهم لبعض : ما منا إلا من أفرط فسبي

(١) انظر الخبر كاملاً في الأغاني ٦ : ١٠٦

(٢) هو حاجب المنصور

المدح . فانصرفوا إلا ابن هرمة فانه لم يبرح فلما دخل قال : عرفت شرطنا ؟ قال : عرفت . قال : هات ، فأنشده شعرا طويلا ، فلما بلغ إلى قوله :

إذا كرّها فيه عقاب وناشل

له لحظات في حفاقي سريره

قال له : بارك الله عليك . وأجازه بألف (١)

وثانيها : بحثه الدائب عن الصور الجديدة التي لم يطرقها أحد قبله من الشعراء ، وهو حريص على أن تكون هذه الصور من واقع الحياة ، فكانت تنقطع عليه الأبيات بحثا عن الصورة حتى يشاهدها في واقع المحسوس ، فيكمل ما انقطع عنه ، من ذلك مارواه المرزباني عن إسماعيل بن جعفر عن أبيه قال : (٢)
" مررت بابن هرمة جالسا على دكان في بنى زريسق ، فقلت : ما أقعدك هاهنا يا أبا إسحق ، فقسال ، قلت :

فإنك واطراحك وصل سعدي

لأخرى في فودّتها نكوب (٣)

ثم قطع بي ، فلم أستطع أن أجوزه ، فمرت بي وصيفة للحبي قد ثقت بأذنيها ، وفيها خيدعهن ، وقد فاحتنا ، فذرت عليهما آسا . فقلت : مالك ويحك يا فلانة ؟ فقالت : ألك شنوف . فقالت : لا ، ولكنني استعرتة ، فقلت :

بأذنيها فشانها الثقوب
وقد بقيت بأذنيها تدوب (٤)

كثاقبة لحلي مستعار

فردت حلي جارتها إليها

(١) تهذيب ابن عساكر ٢: ٢٤١

(٢) الموشح : ٣٥٠

(٣) الاطراح : الإهمال والمقاطعة . والنكوب : الانحراف عن الشيء

(٤) الندوب : آثار الجروح

ومما يمثل الجِدَّة في الصورة مع تحريسه الواقع قوله يهجو بخيلاً: (١)

وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا

وأياستني من بعد ذلك بالغضب

كمكنة من ضرعها كف حالب

ودافقة من بعد ذلك ما حالب

وثالثها: الحركة الدائمة في هذه الصور سواء كانت هذه الحركة حسية ظاهرة للعيان أم حركة معنوية تجري في

النفس، وما يختلج فيها من قلق وانتظار.

والأمثلة على الحركة الحسية في صورته كثيرة، ولكننا نكتفي بهذا المثل وهو قوله يمف أظعان صاحبه سودة وهي تتحرك من مكان إلى مكان: (٢)

أو بالقرية دون مفضى عاقل (٣)

انظر لعلك أن ترى بسويقه

يسلكن بين أبارق وخمائيل (٤)

أظعان سودة كالإشاء غواديا

وأما الحركة المعنوية التي تجري في النفس فيبدل عليها قوله في هجاء العباس بن الوليد

ابن عبد الملك. (٥)

من الرجال ويثني قلبها الفرق (٦)

إنك والمدح كالعذراء يعجبها

كما يهاب من يمين الحية الفرق (٧)

تبدي بذاك سرورا وهي مشفقه

(١) الديوان ٥٥

(٢) الديوان ١٩٦

(٣) سويقة: موضع قرب المدينة. والقرية: موضع قرب المدينة أيضا، والمفضى: المتسع. وعاقل: رمل بين مكة والمدينة.

(٤) الأظعان: جمع ظعينة، وهي المرأة في اليهودج. والإشاء: جمع أشاءة وهي الصغير من النخل. والأبارق: أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل. والخمائيل: جمع خميلة: وهي مَعْرَج بين هبطة وصلابة.

(٥) الديوان ١٥٧

(٦) الفرق: الخوف

(٧) الفرق: الخائف

وقل أن تجد في صورته ظاهرة الثبات ، إلا أن تكون طبيعة المعنى فرضت عليه ذلك ، ويظهر هذا في قوله يعرض بمعاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب : (١)

فإني ومدحك غير المصيد ■ حب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب ■ فكنت كعاصر جنب الحجر

ورابعها : الزخرفة في الألفاظ والتأنق فيها ، ويظهر هذا في شعره عامة .

وقد تحدثت عن الصنعة الشعرية عنده واتقانسسه لها ، وفخره بها .

وكننت أشرت أيضا إلى نوع من الغزل عنده أسميته الغزل الفني ، وهو غزل لم يقصد به الحديسث عن امرأة لذاتها وإنما أراد أن يظهر فيه قدرته الفنية .

ولعل براعة ابن هرمة في اختيار الصور جعلت الجاحظ يثني عليه بقوله " لم يكن من المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة " . (٢)

ولم يكن يقصد بكلمة (البديع) في القرن الثاني الهجري ما اصطلح البلاغيون عليه فيما بعد من جناس وطباق وسجع وتقسيم وغيرها ، وإنما كان يقصد به استخدام الشاعر للصور الشعرية من تشبيه واستعارة ومجاز (٣) وقد يدخل تحت كلمة (البديع) أيضا وجوه الميل بالمعاني القديمة إلى وجه جديد من الاستعمال مغاير لما جرى عليه العرف في تناولها " . (٤)

(١) الديوان ١٠٩

(٢) البيان والتبيين ١ : ٥١

(٣) انظر تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري (نجيب البهيتي) ٣٦٤

(٤) المرجع نفسه ٣٦٤

وأكد أميل إلى هذا الرأي في تعريف البديع ، لأنه لو كان يُقصد به الجناس والطباق وغيرها مسن المحسنات لم نجد لابن هرمة جديداً فيه ، ولم تكن له كثرة تميزه عن غيره .

وأما أن يكون المقصود بالبديع التشبيه والاستعارة وغيرها فنجد شواهد ذلك كثيرة في شعره . وأخذ بهذا الرأي في تعريف البديع الدكتور أحمد مطلوب فقال " وكان المولدون من شعراء الدولة العباسية قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية التي سماها الجاحظ البديع " (١).

وعلى الرغم من إعجاب النقاد بشعر ابن هرمة وصورة إلا أنهم أخذوا على بعض شعره الإقـراط في تحرى الصورة ، ومخالفة الواقع ، من ذلك أنه جعل الكلب يتكلم وهو أعجم^(٢) ، وفضلوا عليه قول عنـترة العبسي في وصف فرسه حين قال :

فازورّ من وقع القنا بلبانه

وشكا إليّ بعبرة وتحمم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكان لو علم الكلام مكلمي

قالوا " فلم يخرج الفرس من التحمم إلى الكلام كما فعل ابن هرمة " (٣).

والتشبيه أحد أركان الصورة الفنية عند النقاد ، وجعلوه من أسباب ذبوع القميـدة بين النـسـاس ، وفي ذلك قال ابن قتيبة " ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنـه يختار

(١) البلاغة عند السكاكي ٣٢١

(٢) وذلك قوله :

تره إذا ما أبصر الصنيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

(٣) الموشح ٢٢٣

ويُحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه". (١)

وقد أكثر ابن هرمة من التشبيه كثرة لافتة للنظر. وكنت أشرت إلى أن صورته وتشبيهاته كانت مزيجاً من البيئة البدوية ومظاهر التطور الحضاري الذي أصاب مجتمع الحجاز .

واستخدم ابن هرمة الاستعارة في شعره كثيراً ، إلا أنها أقل من التشبيه عدداً وأهمية ، إذ لم نجد عنده فيها جديداً يميزه على غيره من الشعراء المعاصرين له .

فمن أمثلة استعاراته قوله : (١)

فلم يعب خدنها ومنشؤها (٢)

شبت وشب العفاف يتبعها

وقوله يمدح المنصور :

ويقتل الريث عرفه العجل

يسبق بالفعل ظن صاحبه

ولعل هذا التردد في المحافظة على القديم في بعض شعره والتجديد في بعضه الآخر جعل الدكتور حسين عطوان يسلكه في " أصحاب المدرسة المتوسطة التي أقامت فيها على التواصل بين الأصول الموروثة والمحدثة". (٤)

ولامالة الجانب التقليدي في شعره سلكه القديماً ، إلا الجاحظ في طبقة الفحول ، فقد كان الأعمى وأبو عبيدة وابن الأعرابي يختمون الشعر به .

(١) الديوان ٤٩

(٢) الخدن : المديق

(٣) الديوان ١٧٢

(٤) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٤٦١

ولم يكثر ابن هرمة من الكناية، فلننا نقف له إلا على بعض أبيات، منها قوله يشير إلى كرمه: (١)

عندى لهذا الزمان أنية

أملؤها نارة وأكتومها

وقوله يشير إلى طول خبرته في الحياة: (٢)

حلبتُ هذى الدهور أشطرها

أبتر أخلاها وألبؤها (٣)

(١) الديوان ٥٠

(٢) الديوان ٥٢

(٣) حلبت الدهر أشطرها: مستعار من حلب أشطر الناقة. والمعنى أنه اختبر شطري خبره وشره، فعرف ما فيه، ويضرب للرجل المجرب.

الخاتمة

تناولت في هذا البحث حياة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قدمه بعض النقاد
القدامى على كثير من معاصريه وعدّه بعضهم شيخ الشعراء في زمانه .

وأقمت هذه الدراسة في خمسة فصول ، خصمت الفصل الاول لنسبه وأسرته ، فتبين لي أن هناك أخبارا
وروايات شككت في نسبة قبيلته (الخلج) في قريش ، وشككت أيضا في نسبة الشاعر في قبيلته .

وبعد دراسة الروايات المختلفة وتتبع مصدرها انكشف لي أن ابن قتيبة كان أول الأخباريين الذين
روّجوا لهذه التهمة حين استعمل صيغة التجهيل في نسبة الخلج إلى قريش .

وعنه أخذ أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني وأبو عبيد البكري في سمط اللآلي والقلقشندي في نهاية
الأرب والبغدادي في خزانة الأدب .

وثبت لي أن ابن هرمة نفسه قد ساهم في هذا التشكيك فيما ذكر عن نفسه من أنه دعي في الخلج
وأن الخلج أديعيا في قريش .

وتلقّف الناس عنه هذه التهمة فأشاعوها وصنعوا لها الأخبار لتأييدها .

وبعد دراسة الروايات والأخبار اتضح لي أن نسبة الخلج في قريش صحيحة ، قال بهذا كثير من
أصحاب كتب الأنساب والتراجم واللغة منهم ابن الكلبي في جمهرة النسب ، والمصعب الزبيري في نسب
قريش وابن دُرَيْد في الجمهرة وابن منظور في اللسان والفيروز ابادي في القاموس المحيط .

وأما اتهام ابن هرمة لنفسه وقبيلته فيبدو أنه كان من باب الحقد والانتقام من قبيلته ، لأنهم
حاولوا نفيه لسوء سلوكه وانحرافه وتجربته عليهم ، وأن تشكيكه في نسبه كان من باب العجث واللهسو
وإضحاك الناس عليهم .

وفي الحديث عن أسرته استبان لي أنه تزوج مرتين الأولى من أم عياله ويبدو أنها لم تكن راضية
عن سلوكه ، وكثيرا ما عاتبته على إدمانه الخمر .

والثانية لا يُعرف من أمرها شيء سوى أنه مهرها نعليه حين قالت له : أعطني شيئا ، قال والله
ما معي إلا نعلاني .

وصحّ عندي انه أنجب ولدين هما (إسحق) و (عبيّ) وله من البنات غير اثنتين ، وذكرت كتب الأدب والتراجم اسم واحدة منهن هي (عبيّة) وذكرها في شعر لسه .

ويروى أن لبراهيم بن هرمة عمّا اسمه هرمة الأعور وكانت قبيلته نَفْتَه لسوء سلوكه فهجاها . وله ابن أخ اسمه محمد بن مالك بن علي بن هرمة وكان يكنى أبا مالك .

وعرضت في الفصل الثاني لحياته ونشأته ، فتحدثت عن مولده وصحّ عندي بعد دراسة التواريخ التي ذكرها المؤرخون أنه ولد سنة سبعين للهجرة من غير تحديد لمكان ولادته ، وإن كنت أميل أن النّياالة هي موطنه الدائم ولعلها تكون مكان ولادته .

أما نشأته فرجح عندي أنه ربيّ في ديار تميم طفلاً ، وأنه عاش حياته شاباً في المدينة وما حولها من قرى الحجاز وأنه لم يكن راضياً عن الدنيا . وكان شاكاً في الناس فهجا بعضهم وهجوه ، وكان سيء السلوك مدمناً للخمر فحدّ فيه غير مرة . وكان يرتاد أماكن اللهو والفجور حيث يهلك ماله ونفسه ، فاضطر إلى أن يستدين مالا كثيراً ليلبي حاجته ، وبلغ به الأمر أن رهن رداءه ليشرب النبيذ .

وتحدثت عن ثقافته فبدأ لي أنه كان واسع المعرفة في التاريخ والشعر واللغة والدين وعلم الفلاسك وعلم الحيوان ، وأن أشعاره التي وصلت إلينا تثبت هذه المعرفة .

وأما مذهبه الديني فيظهر أنه لم يكن شيعياً ، لأنه غير متمسك بمبادئ التشيع إذ رأيناه ينكسر أبياته في بني فاطمه والتزم الحياء من ثورة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية . ثم تخلى عن صاحب الثورة بعد فشلها ، بل وصل به الأمر إلى أن هجا بعض العلويين .

وناقشت تاريخ وفاته ومكانها ، ووازنتم بين الروايات المختلفة فاستقام لي أنه توفي سنة ست وسبعين ومئة وذكر السيوطي ان (قريباً) كانت مكان وفاته ودُفِنَ بالبقيع .

وعقدت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعباسيين والعلويين ، فظهر لي أن نظرية الأمويين في الخلافة أخذت ثلاث مراحل : أولها زعمهم أنهم أحق الناس بالخلافة من غيرهم لأنهم ورثوها عن عثمان بن عفان الذي أخذها بالشورى ثم قتل مظلوماً فخرجت منهم فقاتلوا حتى استردوها .

وثانيها : تقربهم من الرسول بقربى العصبية ، فالأمويون والهاشميون أبناء عمومة ينتمون إلى عبد شمس وينحدرون جميعا من عبد مناف بن قصي .

وثالثهما : نظرية الجبر ، وهي النظرية التي تمسكوا بها فيما بعد لإثبات حقهم ، بعد أن تبين أن النظريتين الأوليين لا تشكلان دليلا قويا لحقهم ، إذ أقصى ما سيحملون عليه في الأولى المطالبة بقتلة عثمان ثم قتلتهم وفي الثانية بُدِّ القربا لأتهم يعلمون أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالناس بابن أخيه .

ونظرية الجبر تقوم على أساسين أحدهما : إسلامي ، يتمثل في صراحة أنسابهم وأصالتها ونبيل أخلاقهم وعفتها .

وقد استجاب الشعراء الموالون لهم لهذه النظرية ، ومن بينهم ابن هرمة ، فقد وصل إلينا من شعره في مدح الوليد بن يزيد ما يمثل الصفات الإسلامية وفي مدحه لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ما يظهر صفات العروبة من شرف الأصل وعراقة الحسب وحسن الخلق .

وفي علاقاته مع العباسيين تبين لي أن العباسيين حاولوا إثبات حقهم في الخلافة عن طريق الوصية، وللوصية عندهم طريقان ، أحدهما : ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس من بعده. وثانيهما وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد به الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

ويبدو أن الأخذ بمبدأ الوصية من أبي هاشم إلى محمد بن علي كان أثناء الدعوة السرية ، ولمَّا نجحت ثورتهم واستقامت أمور دولتهم أخذوا بمبدأ الوصية من رسول الله إلى جدهم العباس بن عبد المطلب . ولم يقف العباسيون عند مبدأ الوصية فقط بل أخذوا بنظرية الجبر أيضا ، وكان المنصور أول من نادى بها حين خطب الناس بمكة بعد انتصاره على النفس الزكية .

وكان ابن هرمة أحد الشعراء الذين استجابوا لنظريتهم ، فادعى أن الخلافة حق لهم من الله لا يجوز للناس أن يخوضوا فيه .

وفي علاقاته مع العلويين لاتكاد تجد له انتماء لفرقة من فرقهم فهو تارة يأخذ بمبادئ الإمامية كمذهب النقية وتمثل هذا في إنكاره لأبيات قالها في بني فاطمة ، والتزامه الصمت من ثورة النفس الزكية

وتارة يميل إلى الزيدية فيمدح زعماءها •

ومما يلاحظ على مدحه للعلويين أنه لم يتناول الجانب السياسي ، ولم يضمنه حقهم في الخلافة خوفاً من العباسيين حينذاك • ولذلك فإنه اقتصر في مدحه لهم على صفات العروبة من شجاعة وكسرم وحسن الخلق •

وجعلتُ الفصل الخامس لأغراضه الشعرية ، فتحدثت عن الغزل وقسمته إلى ثلاثة أقسام رئيسية، أولها : الغزل البدوي وهو الغزل الذي كان جزءاً من قصيدة كالمقدمة الطليعة والغزلية وقد تميز هذا النوع من الغزل بجزالة الألفاظ وغموض بعض المعاني •
وثانيهما : الغزل الحضري ، وهو ما كان غزلاً موجهاً لامرأة معينة ، فبث لهما هموم نفسه ولواعج قلبه وتعرض لمحاسنها الحسية والمعنوية ، وقد تميز هذا اللون بسهولة الألفاظ ورقتها ، وسهولة معانيها •

وثالثهما : الغزل الفني ، وهو ما كان قائماً على إظهار قدرته اللغوية والشعرية ، وتمثل هذا النوع في قصيدته الهمزية ، حين قيل له إن قريشا لا تهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش •
وقصيدته المهملة من الحروف نموذج آخر لهذا النوع من الغزل وقد تميز هذا اللون من الغزل بجزالة الألفاظ وصعوبة بعض المعاني مع ظهور واضح لفنون البديع من جناس وطباق •
وتناولت عرض المدح عنده ، وجعلته أيضاً في ثلاثة أقسام أولها : مدحه للأمويين وثانيها مدحه للعباسيين وثالثها مدحه للعلويين •

وأشرت إلى الصفات والصور التقليدية التي كان الشعراء يذكرونها في ممدوحيتهم من عراقية الحسب وشرف النسب والكرم والشجاعة • وما أضافه من جديد في معاني المدح كالممدح بالألقاب الدينية والألفاظ السياسية •

وفي عرض الرثاء تبين لي أن أبياته فيه لم تكن كثيرة على الرغم من اتصاله بشخصيات أموية وعلوية وعباسية كثيرة وكل ما وصل إلينا من رئاسة للأمويين بيتان اثنان قالهما حين بلغه خبر مقتل الوليد بن يزيد •
ولم تصل إلينا أبيات في رثائه للعلويين •

أما رثاؤه للشخميّات العباسية فكانت ثلاث قصائد ، كلها في رثاء الإمام إبراهيم بن محمد .
 ومما لوحظ على مرثياته أنها تأثرت بالأوضاع السياسية ، إذ تناول فيها حق العباسيين في الخلافة .
 ودرست غرض الوصف عنده فانكشف لي أن ابن هرمة كان متأثرا بموضوعات الوصف الجاهلية مسسن
 ذكر للمقفار والفلوات والبراري . ووصف بعضا من مظاهر الطبيعة من الغيث والسحاب وجريان الماء ، في
 السيول .

ومن الموضوعات الجديدة في غرض الوصف عنده إفراده مقطوعة للنجوم والكواكب ووصف هيئاتها
 وألوانها .

أما غرض الفخر فظهر لي أن ابن هرمة كان متأثرا بطريقة القدماء إذ عرض للمعاني المعروفة عندهم
 كالفخر بالكرم والإباء والصبر والحلم والحزم في الأمور والدخول على الملوك ، غير أنه أضاف إلى ذلك معاني
 جديدة منها فخره بموهبته الشعرية وقدراته الفنية . وفخره ببلهوه ومجونه .

وفي غرض الهجاء استبان لي أنه لم يخرج على ذوق عصره في جعله غرض الهجاء ، في مقطوعات قصيرة
 ولم تصل حد القصائد الطوال .

ومما يسجل لابن هرمة فيه أنه كان هجاء شخميّا يعاب فيه الإنسان بمخازيصة الذاتية لا بمخازي
 قبيلته .

ومما يلاحظ على أبياته الهجائية أنه لم يسف فيها ولم يفحش ، وهي ظاهرة تميز بها شعراء الحجاز
 عن غيرهم من شعراء الكوفة والبصرة .

أما موضوعات الشيب والخمر والحكمة فلسنا نجد له إلا أبياتا متفرقات في كل غرض ، يصعب معها
 إقامة دراسة وافية تكشف عن خصائصها ومميزاتها وكل ما يمكن القول فيها أنه كرر كثيرا من المعاني والمصور
 الجاهلية .

وجردت الفصل الخامس للدراسة الفنية ، وجعلتها في ثلاثة عناوين رئيسية هي بنية القصيدة واللغة
 والمصور الفنية .

ففي بنية القصيدة ظهر تمسك ابن هرمة بنموذج القصيدة الجاهلية ، وتمثلها تمثلاً واضحاً ظهر في

مقدمات قصائده ومطالعها وخواتيمها .

وفي جانب اللغة عنده أشرت إلى اهتمام علماء اللغة والنحو بلغته ومعانيه ، فلانكاد نجد معجماً

لغويًا أو كتاباً نحويًا يخلو من شاهد له . وقد استعرضت أهم الكتب اللغوية والنحوية والبلاغية التي حوت

أبياتاً تمثل شواهد على ظواهر متعددة .

وفي الصور الفنية كشفت عن جانبين هاميين في شعره ، الجانب التقليدي ، والجانب التجديدي

وضربت أمثلة على كل جانب .

ثم ختمت الفصل في خصائص شعره وجعلتها في أربع رئيسية هي الاعتدال في المعاني والبحث الدائب

عن الصور الجديدة التي لم يطرقتها أحد قبله . والحركة الدائمة في الصور سواء كانت حسية أم معنوية،

والزخرفة في الألفاظ والتأنق فيها .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة

- (١) أخبار الدولة العباسية ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطليبي دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١م.
- (٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي (٣٣٧ هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م
- (٣) الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار (- ٢٥٦ هـ) تحقيق الدكتور سامي مكي العاني مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢م
- (٤) الأزمنة والأمكنة ، أبو علي أحمد بن الحسن المرزوقي (- ٤٢١ هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢ هـ .
- (٥) الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (- ٣٢١ هـ) تحقيق عبد السلام حارون مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٨م
- (٦) الأشربة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (- ٢٧٦ هـ) تحقيق محمد كرد علي مطبعة الترقوي ، ١٣٦٦ هـ .
- (٧) الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (- ٣٥٦ هـ) دار الكتب المصرية ، القاهرة .

- (٨) أمالي القاضي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (- ٣٥٦)^{هـ}
مطبعة دار السعادة ، مصر ، ١٩٥٣م
- (٩) أمالي المرتضى (نور الثوائد ودرر القلائد)
الشريف المرتضى علي بن الحسين (- ٤٣٦)^{هـ}
تحقيق محمد أبو الفخيل ابراهيم
طبع عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٤م
- (١٠) الأمثال ، أبو بكرمة الضبي (- ٢٥٠)^{هـ}
تحقيق رمضان عبد التواب
مطبعة دار الكتاب ، دمشق
- (١١) أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (- ٢٧٩)^{هـ}
القسم الثالث ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٨م
- (١٢) الأيناس يعلم الانساب ، أبو القاسم ، الحسين بن علي بن الحسين (- ٤١٨)^{هـ}
تحقيق إبراهيم الإبياري
دار الكتب الإسلامية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٨٠م
- (١٣) البداية والنهاية في التاريخ ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (- ٧٧٤)^{هـ}
دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م
- (١٤) بغية الملتصق ، أحمد بن يحيى الضبي (- ٥٩٩)^{هـ}
طبعة **محرط** ، بموريد ١٨٨٤م
- (١٥) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥)^{هـ}
تحقيق عبد السلام هارون
دار الفكر ، بيروت

- (١٦) تاج العروس ، محمد مرتضى ، الزبيدي (- ١٢٠٥)^{هـ}
دار مكتبة الحياة ، بيروت
- (١٧) تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (- ٤٦٣)^{هـ}
المكتبة السلفية ، المدينة المنورة
- (١٨) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (- ٣١٠)^{هـ}
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف ، مصر
- (١٩) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساکر (- ٥٧١)^{هـ}
(قسم تراجم النساء)
تحقيق سكينه الشهابي
دمشق ، ١٩٨٢م
- (٢٠) التكملة ، والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية
الحسن الصفاني (- ٦٥٠)^{هـ}
تحقيق عبد العليم الطحاوي وراجعه عبد الحميد حسن
دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م
- (٢١) تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساکر (- ٥٧١)^{هـ}
هذبه عبد القادر بدران
دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م

- (٢٢) تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (- ٣٧٠هـ)
تحقيق عبد السلام هارون
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م
- (٢٣) ثمار القلوب في المصنف والمنسوب ، أبو منصور الشعالي (- ٤٢٩هـ)
المطبعة الظاهرية بالقاهرة ١٩٠٨م
- (٢٤) جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي (- ٤٥٦هـ)
تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف ، مصر ١٩٦٢م
- (٢٥) جمهرة اللغة ، أبو بكر بن دريد (- ٣٢١هـ)
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن (الهند) ١٣٤٥هـ .
- (٢٦) جمهرة النسب ، عشام بن محمد بن السائب الكلبي (- ٢٠٤هـ)
رواية محمد بن حبيب
تحقيق محمود فردوس العظم
دار البيقظة العربية ، دمشق
- (٢٧) جمهرة نسب قريش وأخبارها ، الزبير بن بكار (- ٢٥٦هـ)
شرحه وحققه محمود محمد شاكر
مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٣٨١هـ
- (٢٨) الحماسة البصرية ، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري (- ٦٥٩هـ)
تحقيق مختار الدين احمد
طبعة الهند ١٩٦٤هـ .

- (٢٩) الحيوان، الجاحظ (٢٥٥هـ)
تحقيق عبد السلام هارون
طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٨م
- (٣٠) خزانة الأدب وغابة الأرب، ابن حجة الحموي (٨٢٢هـ)، دار القاموس الحديث، لبنان،
المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.
- (٣١) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي (١٠٩١هـ)
المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.
- (٣٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)
تحقيق محمد النجار
دار الكتب، القاهرة ١٩٥٢م
- (٣٣) ديوان إبراهيم بن هروم جمع محمد جبار المعيبدي
مطبعة الآداب بالنجف، ١٩٦٩م
- (٣٤) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيبات (٨٥هـ)
تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم
دار مصادر ودار بيروت ١٩٥٨م
- (٣٥) زعر الآداب وثمر الألباب، أبو اسحق إبراهيم بن علي المصري القيرواني (٤٥٣هـ)
تحقيق علي محمد الجاوي
طبع عيسى البابي الحلبي، مصر
- (٣٦) سمط اللآلئ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧هـ)
تحقيق عبد العزيز الميمني
طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م

- (٣٧) سير أعلام النبلاء ، الذمهي (- ٧٤٨)^{هـ}
تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد
مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م
- (٣٨) السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن عمير (- ٢١٨)^{هـ}
تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي
الطبعة الثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥م
- (٣٩) شرح أبيات مغني المغيب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩١)^{هـ}
تحقيق عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق
دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م
- (٤٠) شرح أشعار الهدّ لبيّن ، منعة السكوي (- ٢٧٥)^{هـ}
تحقيق عبد الستار فراج ومحمود محمد شاكر
مكتبة دار العروبة ومطبعة المدني
- (٤١) شرح شواهد المغني ، السيوطي (- ٩١١)^{هـ}
تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود الشنقيطي
وتحقيق أحمد ظافر كوجان
- (٤٢) شرح مقامات الحريري ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشري (- ٦٢٠)^{هـ}
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة المدني ، القاهرة
- (٤٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (- ٦٥٥)^{هـ}
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
طبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠م

- (٤٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (- ٢٧٦)^٤
تحقيق أحمد محمد شاكر
دار المعارف ، مصر ١٩٦٦
- (٤٥) شعر ابن هزيمة القرشي ، جمع الدكتور حسين عطوان ، ومحمد نفاع
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩
- (٤٦) الصحاح ، الجوهري (- ٣٩٣)^٤
تحقيق أحمد عبد الغفار عطار
مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٧ م
- (٤٧) كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر ، أبو ملال العسكري (- ٣٩٥)^٤
تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الغنم إبراهيم
مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ م
- (٤٨) طبقات الشعراء ، عبد الله بن المعتز (- ٢٩٦)^٤
تحقيق عبد الستار أحمد فراج
دار المعارف ، مصر
- (٤٩) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الحسن المصغاني (- ٦٥٠)^٤
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
نشر وزارة الثقافة والاعلام ، مطبعة دار الرشيد ، بغداد ١٩٨١ م
- (٥٠) المعقد الغريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه (- ٣٢٨)^٤
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

- (٥١) عبار الشعر ، ابن طباطبا العلوي (- ٣٢٢)^{هـ}
تحقيق الدكتور طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام
المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٦م
- (٥٢) عيون الأخبار ، ابن قتيبة (- ٢٧٦)^{هـ}
طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٥م
- (٥٣) الفائق في غريب الحديث ، جاد الله الزمخشري (- ٥٣٨)^{هـ}
تحقيق علي محمد الجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٥م
- (٥٤) فحولة الشعراء ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (- ٢١٦)^{هـ}
تحقيق س . تورى ، تقديم صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد ١٩٧١م
- (٥٥) الفحل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم (- ٤٥٦)^{هـ}
طبع أحمد ناجي الجمالي ، و حمد أسمن الخانجي وأخيه ١٣٢١^{هـ}
- (٥٦) الشهرست ، ابن النديم (- ٣٨٥)^{هـ}
طبعة الرحمانية ، طهران ١٩٧١م
- (٥٧) فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الكتبي (- ٧٦٤)^{هـ}
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
- (٥٨) الكامل في اللغة والأدب والنحو والتعريف ، المررد (- ٢٨٥)^{هـ}
تحقيق أحمد محمد شاکر والدكتور زكي مبارك
مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٥٦^{هـ} - ١٩٣٧م

- (٥٩) لسان العرب ، أبو الفخل جمال الدين بن مكرم بن منظور (- ٧١١هـ)
طبعة المطبعة الأميرية ، بولاق ١٣٠١هـ
- (٦٠) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، ابن جنى (- ٣٩٢هـ)
مكتبة القدسي والبيدي ، دمشق ١٣٤٨هـ
- (٦١) مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (- ٢٩١هـ)
تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف ، مصر ١٩٤٨م
- (٦٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن بن الحسين السعدي (- ٣٤٦هـ)
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٨م
- (٦٣) المزهري في علوم اللغة وآدابها ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (- ٩١١هـ)
شرح محمد جاد المولى ورفاقه
تبع عيسى البابي الحلبي
- (٦٤) المعارف ، ابن قتيبة (- ٢٧٦هـ)
صححه وعلق عليه محمد إسماعيل الصاوي
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٠م
- (٦٥) معجم البلدان ، ياقوت الحموي (- ٦٢٥هـ)
دار صادر بيروت ١٩٧٧م
- (٦٦) معجم ما استعجم ، أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري (- ٤٨٧هـ)
تحقيق مصطفى السقا
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١م

(٦٧) مقاتل الطالبين ، أبو الفرج الأصفهاني (- ٣٥٦)^{هـ}

تحقيق أحمد صقر

دار المعرفة ، بيروت

(٦٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني (- ٦٤٨)^{هـ}

تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة

دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٦٦م

(٦٩) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (- ٣٨٤)^{هـ}

تحقيق علي محمد الجاوي

طبعة دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م

(٧٠) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (- ٣٣٢)^{هـ}

تحقيق كمال مصطفى

مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م

(٧١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، أبو العباس القلقشنوي (- ٨٢١)^{هـ}

تحقيق إبراهيم الإياري

الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م

ثانياً: المصادر المخطوطة

- (١) تاريخ دمشق، لابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسين (- ٥٧١هـ)
مصورة الجامعة الاردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.
- (٢) عيون التواريخ، محمد بن شاکر الکتبي (- ٧٦٤هـ)
مصورة الجامعة الاردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

ثالثاً : المراجع الجديده :

- (١) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ، الدكتور محمد مصطفى هداره - دار المعارف - مصر
الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ .
- (٢) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، الدكتور يوسف بكار - دار المعارف ،
مصر ، ١٩٧١ .
- (٣) الأمويون والخلافة ، الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت ١٩٨٦ م .
- (٤) بناء القصيدة العربية ، الدكتور يوسف بكار
دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ م .
- (٥) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان
ترجمة عبد الحلیم النجار
دار المعارف ، مصر
- (٦) تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، أحمد الشايب
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥ .
- (٧) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، الدكتور نجيب البهيتي
دار الفكر ، القاهرة
- (٨) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ، الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت
- (٩) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة
دار العلم للملايين ١٩٧٥ م .

- (١٠) الشعراء من مخزومي الدولتين الأموية والعباسية ، الدكتور حسين عطوان
دار الجليل ، بيروت ١٩٨١م .
- (١١) في الشعر الاسلامي والأموي ، الدكتور عبد القادر القط
دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م .
- (١٢) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ، الدكتور وهب رومية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨١م .
- (١٣) معجم الثغاب الشعراء ، الدكتور سامي مكي العاني
مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٧١م .
- (١٤) الوليد بن يزيد (عرض ونقد) الدكتور حسين عطوان
دار الجليل ، بيروت ، ١٩٨١م .

VIA 337

The University of Jordan

Faculty of Arts

Department of Arabic

Ibraheem Bin Harma
His Life and Poetry

By

Shoukri D. Jaber

Supervisor

Professor Husein Atwan

" This thesis has been submitted in Partial
fulfillment of the requirment for the
degree of Master of Arts, in Arabic at
Faculty of Arts, university of Jordan"